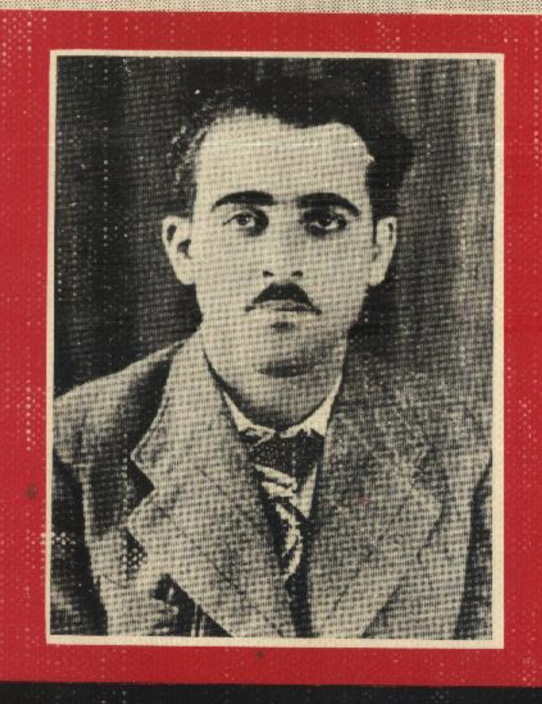
الأعمال الكاملة

للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

(القصائد - المقالات)



تحقيق وتقديم: عز الدّين المناصرة



الأعمال الكاملة

للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

الأعمال الكاملة

للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود

(القصائد - المقالات)

تحقيق وتقديم: عز الدّين المناصرة

دار الجليل

□ الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود
□ تحقيق وتقديم: عز الدين المناصرة
□ الناشر دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ ص. ب ٤٦٤٨ ـ هاتف ٤١٥٠٨٩

□ الطبعة الأولى ـ دمشق ١٩٨٨
□ ١٠٠٠ / ١٩٨٨

الإهـــداء

أهدي هذا العمل إلى الشجرات الثلاث :

ابراهيـم طـوقـان : شجرة البرتقال

أبـــو ســـلمى : شجرة الزيتون

عبد الرحيم محمود : شجرة السنديان .

عز الدين المناصرة
أيلول (سبتمبر) **١٩٨٥**
قسنطينة ــ الجزائر

○ مقـدمـــة :

عبد الرحيم محمود : مشروع الأعمال الكاملة

بقلم : عز الدين المناصرة

نستطيع الآن وبعد جهود امتدَّتْ منذ يناير / ١٩٨٢ في بيروت .. وحتى ٢٥ / سبتمبر / ١٩٨٥ في الجزائر ــ نستطيع القول : إننا قد قمنا بتأسيس مشروع الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود (١٩١٣ ــ ١٩٤٨) . وهذا المشروع يتكون من : **٦٩** قصيدة ، يصل مجموع عدد أبياتها إلى ــ **١٨٧٤** بيتاً شعرياً . ويمكن تحديد عدد الأبيات التي أضيفت وتنشر لأول مَرَّة ــ بِـ : **٩٥١** بيتاً شعرياً . كما يمكن تحديد عدد القصائد التي تنشر لأول مرّة **بثلاث وعشرين قصيدة** ، يصل عدد أبيات إحدى هذه القصائد إلى ــ ١٠٠ بيت .

وهذا معناه أنّ طبعتنا هذه تفوق طبعة مركز إحياء التراث في الطيبة بالمثلث بتحقيق الأستاذ حنّا أبو حنّا ، الصادرة هذا عام ــ ١٩٨٥ ــ بنسبة الضِعفْ أو يزيد . باعتبارها أفضل طبعة صدرت من بين الطبعات الأخرى .

وقد تميزت طبعتنا هذه باكتشاف مثير لخمس مقالات نقدية طويلة تنشر لأول مرّة . وكانت قد نشرت في مجلة الأمالي البيروتية في نهاية الثلاثينات باسم مستعار هو « مريم » . أما المقارنة مع الطبعات الأخرى : الأردنية ــ ١٩٥٨ ــ كامل السوافيري ــ ١٩٧٤ ــ مكتبة بلدية نابلس ــ ١٩٧٥ ــ نافع عبد الله ــ ١٩٧٩ .. فهي تظلم واضعي هذه الطبعات باعتبارهم بذلوا جهداً ملموساً تميز بحسن النيّة والإخلاص .

إن العمـــل في هذا المشروع قد بدأ منـــذ مطلـــع عام ١٩٨٢ في بيروت . وفي مارس / ١٩٨٢ أمسكت بطرف الخيط ولكن في ظل ظروف عامة صعبـــة ، حيث كانت « إسرائيل » قد بدأت قبل ذلك تهديداتها بإشعال الحرب . وفي ذلك الوقت بدأت مراسلاتي مع الأستاذ مروان راضي الطاهر المقيم في السعودية . كما أجريت إتصالات مع بعض أصدقاء الشاعر وتلاميذه . كما قمت بمراجعة وتصوير نتاجات عبد الرحيم محمود الشعرية والنثرية المنشورة في مجلة الأمالي البيروتية . وفي حصار بيروت ، وصلت شظية من قذيفة إسرائيلية إلى مكتبي حيث استلقت على أوراق عبد الرحيم محمود بالتحديد ، فقد كان منزلي مواجهاً تماماً للمدينة الرياضية . وخرجنا من بيروت عراةً في البحر الأبيض المتوسط . وتناثرنا في المنافي . لكنني استطعت تجديد الأمل بالعمل مرة أخرى في هذا المشروع . وفي أيار / ١٩٨٥ كنت قد إنتهيت من إعداد الطبعة الأولية (أنظر : **عز الدين المناصرة : عبد الرحيم محمود : إضافات هامة لكن الشعر لم يكتمل ــ مجلة «الحرية» بتاريخ ٣٠/حزيران/١٩٨٥**) . فوجئت بعدها بكنز ثمين جديد من القصائد والمخطوطات . وأصبح لديّ ــ ٦٥ قصيدة تتكون من ــ **١٨١٤** بيتاً ، وكدت أدفع بما لدي للطباعة للمرة الثانية ، لكنني فوجئت بخبر في إحدى الصحف يقول بصدور طبعة جديدة من ديوان عبد الرحيم محمود في المثلث ـــ الطيبة بفلسطين بتحقيق الأستاذ حنّا أبو حنّا . وهنا قررت إرجاء الطبع . وفي ٢٢ / سبتمبر / ١٩٨٥ تلقيت نسخة من هذه الطبعة فقمت على الفور بالمقارنة والتدقيق ، فلم أجد فيها شيئاً ليس موجوداً لدي سوى أربع قصائد تتكون في مجموعها من ــ ٦٠ بيتاً وهي :

١ ــ ثورة العاملين ــ ٢١ بيتاً
٢ ــ حوشوا البنات ــ ٢٢ بيتاً
٣ ــ نشيد ــ ١٠ أبيات
٤ ــ أبيات متفرقة ــ ٧ أبيات

حيث قمنا بإضافتها إلى طبعتنا هذه . وبهذا تكوّن الديوان من ــ ٦٩ قصيدة تتكونُ من : **١٨٧٤ بيتاً** . وبطبيعة الحال لا يمكن المقارنة في مجال (**عدد القصائد**) ، لأن من سبقوني وقعوا في خطأ تجزيء بعض القصائد إلى عدة قصائد انطلاقاً من أبيات

متفرقة سموها قصائد وهي في الحقيقة تكوّن قصيدة واحدة أحياناً ، فقد قمت بدمج بعض الأبيات المتناثرة التي سموها قصائد في مكانها الصحيح من نصوص أخرى . كما أن من سبقوني تبنوا قصائد ليست لعبد الرحيم محمود مثل قصيدة « الخذلان » التي تبناها نافع عبد الله ونقلها عنه حنا أبو حنا . بينما قمت بحذفها لعدم وجود أي دليل يثبت صحة نسبتها لعبد الرحيم محمود ولأن الأسباب التي قدمها نافع عبد الله وتبناها حنا أبو حنا غير مقنعة . بينما أوافق حنا أبو حنا على تبنيه لقصيدة « ثورة العاملين » ، لأن ما قدمه من أسباب تبدو لي مقنعة .



لتحقيق ما نشر سابقاً ، لجأنا إلى المراجع التالية :

أولاً : الطبعة الأردنية ـــ ١٩٥٨ :

تتميز هذه الطبعة بميزة إيجابية واحدة وهي أنها كانت أول إلتفاتة لشعر عبد الرحيم محمود .. ولجنة التكريم الأردنية تشكر على الجهد الذي قدمته . لكن مصيبة هذه الطبعة تتمثل في أن « لجنة التكريم الأردنية » تحولت إلى « لجنة ضبط وتنسيق » . أكثر من كونها لجنة تكريم لشاعر وشهيد . وقد أعطت هذه الطبعة إنطباعاً سلبياً حول شخصية عبد الرحيم محمود الشعرية . فالقصائد المنشورة تعطي إنطباعاً أن عبد الرحيم محمود شاعر عادي متوسط الأهمية ، وهذا الإنطباع أثّر سلبياً على تقويم شعر عبد الرحيم محمود طيلة الفترة من صدور الديوان عام ١٩٥٨ وحتى الآن . وسأعترف أنني كنت من الذين تأثروا بهذا الإنطباع ، إذ كنت أعتبر أن عبد الرحيم محمود أقل أهمية من إبراهيم طوقان ـــ وأبي سلمى مثلاً من الناحية الشعرية . لقد مورست الرقابة على شعر عبد الرحيم محمود أكثر من مرّة : مرةً حين كان أصدقاء عبد الرحيم محمود يحاولون نشر بعض قصائده في الخمسينات ، حيث كانت الرقابة على الصحف تحذف أبياتاً وتجيز أبياتاً أخرى .

وحدثت الرقابة مرةً أخرى حين مارست لجنة التكريم الأردنية حقاً ليس لها ، حين مسخت القصائد بالحذف والتشطيب . وهذه التشطيبات بخط أحد أعضاء اللجنة ،

وأعتقد أنه الأستاذ عيسى الناعوري . كما قامت اللجنة بإخفاء قصائد هامة وقوية جماليا بينما نشرت قصائد أقل قوة . تقول اللجنة :

« ... ونود أن نعترف هنا أنّ اللجنة لم تر من الصواب أن تجمع في هذا الديوان كل قصائد الشاعر ــ ولا حتى القسم الأكبر منها ــ ولم تر كذلك أن تنشر كل قصيدة له بأكملها ، بل آثرتْ أن تترك ما تجده ضعيف الصياغة أو المعنى سواءً أكان ذلك الضعف في قصيدة كاملة أو في أجزاء أو أبيات من القصيدة . وهكذا اجتمع في هذا الديوان أحسن القصائد التي نظمها عبد الرحيم محمود وأمتنها صياغة وأجودها معاني وأدلها على روح عبد الرحيم محمود القوية المجاهدة المحبة للجمال والعدالة والإنسانية » .

لكن من سوء حظ اللجنة ، أنني استطعت الحصول على النصوص التي قامت بحذفها . فالنصوص المحذوفة تفضح سرّ الحذف وأسبابه وتؤكد عكس ما تزعمه اللجنة عام ١٩٥٨ . لقد تم الحذف لأسباب مزاجية شخصية . والأهم من ذلك تم الحذف لأسباب سياسية وأيديولوجية وتم ذلك انطلاقاً من مراعاةِ اللجنة للظروف السياسية في الأردن عام ١٩٥٨ . ولكن هذه ــ المراعاة ــ جاءت للأسف على حساب الأمانة العلمية وعلى حساب تراث الشاعر والشهيد . ومن المؤسف أيضاً أن الأستاذ عيسى الناعوري يعود في عام ١٩٨٥ ، أي بعد ــ ٢٧ سنة ــ من الخطأ ، إلى الإصرار على تبريراته وأسبابه ، حيث يقول : « .. فلم تشأ اللجنة أن تقدم ديواناً ضخماً يحوي الغث والسمين أنظر : **صحيفة الدستور الأردنية بتاريخ ٩/٨/١٩٨٥** » .

إننا نقدم هنا في طبعتنا ما يسمّيه الأستاذ الناعوري « بالغَثّ والسمين » من القصائد ونترك الحكم النقدي للمثقفين ليتأكدوا بأنفسهم أن ما حذف في معظمه هو من النوع « السمين » وللأسباب التي ذكرتُها . ويبقى بعد ذلك أن أنبّه إلى نقطة خطيرة وهي أن اللجنة : أخفت قصائد ومذكرات سياسية هامّةً ، كما قامت بدَسّ بعض القصائد بين أوراق الشهيد ، وهذه القصائد المدسوسة تم تسريبها من قبل بعض المتعاونين مع اللجنة وهي ليست من تراث الشاعر ، بل تم توزيع نسخ منها للتغطية على القصائد المختفية التي تتناقض مع الخط السياسي للقصائد المدسوسة . ويقصد من

ذلك جرّ الباحثين إلى مجال الحوار حول هذه القصائد المدسوسة .

ثانياً : طبعة كامل السوافيري ــ ١٩٧٤ : أسوأ ما في هذه الطبعة هو مقدماتها الكثيرة وغير المفيدة على الإطلاق ، والتي تزيد على ست مقالات ، إضافة للأخطاء المطبعية وغير الطباعية . كذلك اعتماد السوافيري اعتماداً كلياً على ــ الطبعة الأردنية ــ إلى درجة الإعجاب . إذ لم يُضِفْ السوافيري للطبعة الأردنية سوى ــ ٦٨ ــ بيتاً بعد ــ ١٦ ــ عاماً من الطبعة الأردنية التي تكونت من : ٤٢٨ بيتاً فقط . أما طبعة السوافيري فهي تتكون من ٤٩٦ بيتاً فقط . وقد رجع السوافيري إلى ــ ١٥ ــ مرجعاً .. فكيف يقول : إنه جمع قصائد الديوان !!! والأدهى من ذلك ، ذلك الأسلوب الإنشائي غير المفيد في المقدمات .. وسأضرب مثلاً واحداً على ذلك . يقول السوافيري عن الشعر الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ : « ... ولطالما أرّقتْ قصيدة واحدة منه أجفان جنود بريطانيا ، وأقضّتْ مضاجعهم وعكرت صفو أمن البلاد ، وأثارت القلاقل والاضطرابات ... » . وكنا نتمنى لو أن السوافيري نشر مقالاً واحداً فقط من المقالات الست وهو الخاص بذكر المصادر التي استقى منها ما أضافه وطريقة تحقيق النصوص ، بدلاً من الخلط بين الفعل الإبداعي وبين الفعل الثوري ، وبدلاً من تسمية ثورة ١٩٣٦ بالقلاقل والإضطرابات . وبدلاً من الحديث عن جغرافية وتاريخ فلسطين وبدلاً من الإنشاء الذي لا يفيد النصوص إطلاقاً .

والأهم من ذلك أنه يسمي أبياتاً من إحدى قصائد عبد الرحيم محمود « من شعر عبد الرحيم محمود » ، وكأن كل الديوان ليس لعبد الرحيم محمود ، ثم لأن هذه الأبيات ليست قصيدة مستقلة ، لأنها جزء من قصيدة « في حالة غضب » . كذلك زعم السوافيري أنه رجع إلى مجلة « الأمالي » البيروتية (**أنظر مثلاً : هامش قصيدة الشهيد**) . ومع هذا فنحن نؤكد أنّ السوافيري لم يَرَ مجلة الأمالي إطلاقاً ، لأنه لو رجع لهذه المجلة لاكتشف أن عبد الرحيم محمود لم ينشر قصيدة الشهيد فقط في هذه المجلة ، بل نشر ١٢ قصيدة وخمس مقالات . فكيف وجد السوافيري قصيدة الشهيد ولم يجد غيرها ؟؟؟!!! . ولا نريد أن نقول ما هو أكثر من ذلك عن طبعة السوافيري .

ثالثاً : طبعة مكتبة بلدية نابلس ــ ١٩٧٥ : هذه الطبعة مزيج من النصوص الشعرية والتأريخ لحياة الشاعر وبعض التعليقات الإنشائية على القصائد . وقد اعتمدت أيضاً على الطبعة الأردنية وعلى بعض الإضافات من الرواة وهي قليلة . كما لم تطلع على طبعة السوافيري . كما لم ترجع هذه الطبعة **مباشرة** إلى مجلة الأمالي البيروتية . ولهذا جاءت ناقصة من حيث النصوص . لكن ميزة هذه الطبعة أنها لم تزعم أنها قدمت ديوان عبد الرحيم محمود ، لأن طبعة مكتبة بلدية نابلس لم ترفع شعار إعادة تحقيق ديوان عبد الرحيم محمود .

رابعاً : مجلة الأمالي البيروتية : صدرت مجلة الأمالي البيروتية (١٩٣٨ ــ ١٩٤١) في بيروت ، وكان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها هو الدكتور عمر فرّوخ . وقد نشرت المجلة ــ ١٢ قصيدة للشاعر عبد الرحيم محمود . ويجد القارىء هذه المجلة في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت تحت رقم : 059-A48aA.

خامساً : طبعة نافع عبد الله ــ ١٩٧٩ هذا الكتاب عبارة عن أطروحة ماجستير قدمها مؤلفها في الجامعة اليسوعية في بيروت قبل نشرها بسنوات . وهي ــ كما هو واضح ــ قدمت من أجل جمع وتحقيق نصوص الشاعر الشعرية والنثرية ، إضافة لدراسة شعر الشاعر وسيرته الذاتية . وما يهمنا طبعاً هو ــ النصوص الشعرية والنثرية ــ وهي هدف أساسي للأطروحة .

وميزة هذه الطبعة تتمثل في انتباه المؤلف ــ نافع عبد الله ــ للنتاج الشعري الذي نشره عبد الرحيم محمود في مجلة الأمالي . إضافة للقليل من القصائد المنشورة في الصحف الفلسطينية ومن الرواة . وهي بلا شك أفضل من المحاولات السابقة . ولكن :

أولاً : نشر نافع عبد الله عدداً من القصائد التي لا تتجاوز بيتاً أو بيتين أو حتى نصف بيت على أنها قصائد مستقلة وكانت هذه الأبيات تحسب كقصائد كاملة مستقلة . مع أن الأفضل هو دمجها مع المقدمة حتى تثبت صحتها ومكانها الصحيح .

لقد اعتبر المؤلف أن مقطع « تمور البصرة » يشكل قصيدة مستقلة ، ثم ثبت أن هذا المقطع هو إحدى لزوميات قصيدة اللزوميات . ونشر قصيدة « عيد الجامعة العربية » ناقصة .. ثم نشر قصيدة « طريق الحياة » على أنها قصيدة مستقلة . مع أنها أبيات من القصيدة الأولى . ثم يخطىء في ذكر مناسبة الأبيات .

ثانياً: لقد رجع الباحث بنفسه إلى مجلة الأمالي .. وما دام قد قدّم أطروحته في بيروت فهو لم يخطر بباله أن يسأل رئيس تحرير المجلة ــ عمر فروخ ــ الموجود في بيروت أيضاً . وما دام الباحث قد وضع فصلاً من أطروحته بعنوان « المقالات » إلا أنه عثر على مخطوط لمقال واحد ناقص ــ من خارج الأمالي ، فلم يخطر بباله أن كنزاً ثميناً من مقالات عبد الرحيم محمود موجود في الأمالي نفسها ــ أعني مقالات عبد الرحيم محمود النقدية الموقعة باسم مستعار هو « بقلم : مريم » .. ما دام المؤلف نفسه قد عاد إلى قصائد منشورة باسم مستعار هو « س » واهتم بالتحقق من نسبتها للشاعر .

ثالثاً: تبنى المؤلف ــ قصيدة « الخذلان » ــ ٢٣ بيتاً ــ المنشورة في مجلة الأمالي ــ السنة الأولى ــ العدد ٤٨ ــ سنة ١٩٣٩ ، بتوقيع « س ... دمشق » ، معتمداً على إشارة أخرى وهي أن الشاعر سبق أن وقّع بتوقيع « س » تحت قصيدته المعروفة « نفس الشريف » في الأمالي ــ عدد ــ ٢ ــ سنة ١٩٣٨ . ويضيف نافع عبد الله قائلاً :

« لأن الشاعر غادر فلسطين إلى دمشق بعد توقف الثورة وهو حائر . ولأن القصيدة من الناحية الفنية تتفق مع روح شعره » .

لكني أعترض اعتراضاً كبيراً على هذه القصيدة ، لأن مجلة الأمالي نفسها نشرت في عددها العاشر قصيدة مترجمة للشاعر الفرنسي لامرتين بتوقيع « س ... دمشق » .. فلماذا لم يضفها نافع عبد الله إذن ؟!!!. ونشك كذلك في صحة نسبة هذه القصيدة لعبد الرحيم محمود لأن عمر فروخ في رسالته الموجهة لأديب مهيار بتاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٥٤ ، لم يورد هذه القصيدة ضمن قصائد الشاعر المنشورة في الأمالي . ثم لو قلنا بتطابق القصيدة مع الروح العامة لشعر عبد الرحيم محمود وهو سبب ضعيف

ليس له ما يبرهنه ، فإننا انطلاقاً من هذا «الإحساس العام» يمكن أن نضيف أبياتاً لم تنشر حتى الآن تتطابق مع روح بعض قصائد عبد الرحيم محمود ، مثل الأبيات التي تروى أحياناً على أنها لعبد الرحيم محمود لتشابهها مع قصيدة من قصائد عبد الرحيم محمود ، تقول هذه الأبيات :

قد قلتُ لما أن رأيت صليبها ذَهَباً تدلّى فوق صفحة عاج
يا ليتني كنت المسيح لساعةٍ متعلقاً في صدرها الوَهّاج
لم أخشَ قطفهما وحق عيونها رمانتين ولو بغير نضاج

إذن لقلنا إن هذه الأبيات تتطابق مع أبيات قصيدة عبد الرحيم محمود « بيني وبين قلبي » التي مطلعها :

قلتُ لقلبي إنّها كافرةْ تعبدُ يا قلب صليبَ المسيحْ

ولكن هذه الأبيات هي أقرب لشعر إبراهيم طوقان منها إلى شعر عبد الرحيم محمود . أما ما هو سرّ قصيدة عبد الرحيم محمود « بيني وبين قلبي » . ولماذا تتشابه مع شعر إبراهيم طوقان ، فهذا يعود لسببين :

ــ **أولاً** : إن عبد الرحيم محمود كان تلميذاً لإبراهيم طوقان وهو متأثر به .

ــ **ثانياً** : لأن حبيبة عبد الرحيم محمود ، كانت مسيحية المذهب مثل حبيبة إبراهيم طوقان .

واسمها (سلمى سليم القَرّةْ) وهي ممرضة لبنانية كانت تعمل في نابلس . ويمكن ملاحظة أن إبراهيم طوقان تغزل بأكثر من ممرضة وقد كان من المراجعين الدائمين للمستشفيات بسبب مرضه .

نقول كل هذا لنؤكد أنّ مقولة « الحس العام » لا تكفي في النقد الأدبي إذا لم تدعمها البراهين .

سادساً : طبعة ــ حنّا أبو حنا ــ ١٩٨٥ : هذه الطبعة هي نتاج عمل مشترك أشرفت عليه لجنة خاصة بدعم من مركز إحياء التراث في الطيبة ــ المثلث ــ بفلسطين . وقد أضافت هذه الطبعة على الطبعات السابقة بعض الأبيات على

النصوص المنشورة سابقاً . ولقد استفدنا من هذه الطبعة ما مجموعه ٦٠ بيتاً فقط من أربع قصائد ليست موجودة لدينا . ورغم أن هذه الطبعة نسخت ما قبلها بالفعل ، إلا أن ملاحظاتنا عليها تتمثل في التالي :

أولاً : إنّ مجموع ما قدمته هذه الطبعة هو ٨٩١ بيتاً شعرياً . أي نصف ما قدمناه في طبعتنا هذه . ولهذا نقول إن طبعة مركز إحياء التراث ناقصة أيضاً .

ثانياً : تبنت هذه الطبعة قصيدة ــ الخذلان ــ ٢٢ بيتاً نقلاً عن نافع عبد الله دون تحقيق ، مع أن هذه القصيدة ليست لعبد الرحيم محمود .

ثالثاً : قالت هذه الطبعة إن قصيدة « نحن المصادر والموارد » هي من الإضافات الجديدة (**أنظر : صفحة ٣٤١**) . ونحن نستغرب ذلك لأن هذه القصيدة منشورة سابقاً في الطبعات السابقة (**أنظر : نافع عبد الله صفحة ١٥٦**) ، وهي منشورة أيضاً في الطبعة الأردنية وفي طبعة السوافيري وفي الطبعة النابلسية .

كذلك فإن قصيدة عبير منشورة في بعض الكتب سابقاً .

رابعاً : تسمي مجموعة من الأبيات المتفرقة وعددها سبعة أبيات بثلاث قصائد مستقلة ، مع أن الأصح هو وضع كافة الأبيات المتفرقة تحت عنوان « أبيات متفرقة » حتى يتم اكتشاف مكانها الصحيح (**أنظر : صفحة ٣٢٦ وصفحة ٣٢٨**) .

خامساً : لم تشر الطبعة إلى أن قصيدة « أنشودة التحرير » قصيدة منشورة سابقاً في بعض الطبعات السابقة (**أنظر : صفحة ٣٣٧**) ، علماً أنها منشورة سابقاً وتتكون من ٤١ بيتاً عند نافع عبد الله (**أنظر : صفحة ١٤٥**) .

سادساً : نشرت الطبعة بعض القصائد المفقودة المتكونة من بيت واحد (ذكرى المولد) أو من بيتين (القرآن الكريم) ، وسمتها كقصيدتين مستقلتين ، وكان يجب إدماجهما في المقدمة حتى يتم التأكد منهما .

سابعاً: رغم الإضافات الجديدة لبعض القصائد المنشورة سابقاً فقد ظلت القصائد ناقصة.

ثامناً: أتفقُ مع هذه الطبعة حول قصيدة «احملوني» وحول ضرورة حذفها:

تختلف المصادر حول روايتها. وهم ينقلونها عن ــ عارف العارف ــ وقد أورد منها البيتين الأولين فقط. أما البيت الثالث فقد ورد في طبعة مكتبة بلدية نابلس (ص ١٥):

إحملوني إحملوني ... واحذروا أن تتركوني
وخذوني لا تخافوا ... وإذا مِتُّ ادفنوني
يا فلسطين وداعاً ... خالصاً من كل قلبي

والشك يأتي من مناسبة القصيدة. إذ قيلت ــ كما يزعم الرواة ــ عندما أصيب الشاعر بشظايا الموت في معركة «الشجرة» عام ١٩٤٨، وأنه قال هذه الأبيات وهو في طريقه إلى المستشفى الميداني، أي قبل أن يفارق الحياة بساعات وربما بدقائق. إذ كيف يمكن لإنسان يموت أن يفكر في نظم الشعر وضبط الوزن وهو على مِحَفَّة الموت.

ومع كل هذه الملاحظات تبقى هذه الطبقة أفضل من سابقاتها. أما من حيث المقدمات التي كتبها حنا أبو حنّا فهي مفيدة لجهة الاعتراف لأول مرّة باتجاه ــ عبد الرحيم محمود ــ اليساري، فكل الطبعات السابقة حاولت التهرب من شرح سر القصائد العمّالية التي كتبها عبد الرحيم محمود أو أشارت إلى ذلك بخجل تحت ضغط الثقافة السائدة.

لقد ركزت كافة الدراسات على عبد الرحيم محمود الشاعر الشهيد الذي آمن ومارس فكرة الكفاح المسلح وحبّه للشهيد الشيخ عز الدين القسام، صاحب الصيحة المشهورة: «موتوا شهداء». وحين استشهد الشيخ القسام وعدد من رفاقه في ١٩/١١/١٩٣٥، واحتفل بتشييع جثمانهم في حيفا احتفالاً تظاهرياً كبيراً في مسيرة ــ ١٠ كيلو مترات من حيفا إلى المقبرة في «بلد الشيخ» ــ شارك عبد الرحيم محمود

في هذا الموكب، كما يشير حنّا أبو حنّا، إلا أن الجديد الذي يضيفه حنّا أبو حنّا في مقدمته هو التأكيد على الجانب الاجتماعي أو الاتجاه اليساري العفوي في شعر عبد الرحيم محمود وهو يشرح ذلك على النحو التالي: «لقد توطدت صداقات ــ عبد الرحيم محمود ــ مع الفئات اليسارية. إلتقى في الناصرة ــ وكان يأتي للإقامة فيها في العطل الصيفية ــ صديقه فؤاد نصّار الذي كان يدير مكتبة فيها من الكتب والمجلاّت اليسارية والاشتراكية مما كان يصدر في أنحاء العالم العربي. وكانت هذه المكتبة ملتقى فكرياً يجتمع فيه المثقفون يناقشون شتى الشؤون الفكرية والوطنية..وكان أصدقاء عبد الرحيم محمود في الناصرة أيضاً من أعضاء «عصبة التحرر الوطني» النشيطين في «نادي النهضة» في المدينة. وبرز هذا البعد في قصائده التي يتحدث فيها عن آلام الطبقة العاملة وآمالها، والتي شرع بنشرها في جريدة «الاتحاد» منذ سنتها الأولى في آب/١٩٤٤. وتصدر «رابطة المثقفين العرب» اليسارية مجلة «الغد» في القدس في تموز/١٩٤٥. وفي العدد الأول منها تحية شعرية من عبد الرحيم محمود بهذه المناسبة بعنوان «فلا تسلموا الأمر عميانها» بتوقيع (ع. م) في صفحة مواجهة لمقال بقلم: فؤاد نصّار. ويوالي عبد الرحيم محمود النشر في «الغد» باسمه الصريح حيناً وبالإشارة «غير الصريحة حيناً آخر». ويضيف حنّا أبو حنا: «تعرفت إلى (أبي الطيب) في الناصرة في العطلة الصيفية سنة ١٩٤٦: كان يلبس القمباز العربي والكوفية ويلتف حوله في (نادي النهضة) عدد من الأصدقاء... كان مجلسه في نادي النهضة أو في (مقهى العين) مشهوداً تحس فيه تقدير جلسائه ومحبتهم له فقد تميز بالإخلاص والشهامة». ثم يضعنا حنا أبو حنا في طقس تلك الأيام فيقول: «أثارت الحرب العالمية الثانية اهتمام المثقفين في بلادنا للتعرف إلى الأبعاد الفكرية والأيديولوجية التي انطوى عليها الصراع بين المحور النازي من جهة وبين الحلفاء ومنهم الدول الاشتراكية ــ الاتحاد السوفييتي. وقد أتيح للقوى اليسارية شيء من حرية العمل. ومن ناحية أخرى قويت الطبقة العاملة وقوي تنظيمها، وكان «مؤتمر العمّال العرب» محوراً استقطب فئات واسعة من الهيئات العمالية، وصدرت جريدة «الاتحاد» لساناً لهذا المؤتمر. وانتظم المثقفون الواعون في «رابطة المثقفين العرب» التي أنشأت لها فروعاً في مختلف

أنحاء البلاد ــ وكانت مجلة «الغد» منبراً لها. وقد انعكس هذا الواقع على الشعر الفلسطيني ــ والأدب الفلسطيني عامة ــ آنذاك. وأقيم الإتصال الثقافي بين الفئات اليسارية والتقدمية في مصر والعراق وسوريا ولبنان. ودُعي ــ محمد مهدي الجواهري إلى فلسطين حيث ألقى قصيدته المطولة «عالم الغد». ونشرت الصحف في فلسطين، شعر (محمد كال !!!)(*) وغيره من شعراء مصر التقدميين وبرز في الشعر الفلسطيني صوتان رئيسان يعقدان الأمل على الطبقة العاملة.

بل إنّ رؤيتهما اقترنت برؤية الطبقة العاملة على أنها العمود الفقري في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني، هذان الصوتان هما: صوت عبد الرحيم محمود وصوت أبي سلمى ــ عبد الكريم الكرمي. وكان كلاهما مؤازرين لرابطة المثقفين العرب ومواقفها. وقد نشرا في «الاتحاد» و «الغد». وشاركا في المهرجانات والمؤتمرات العمالية بإلقاء الشعر». وقد أشار إبراهيم عبد الستار لهذا المنحى اليساري لعبد الرحيم محمود ــ في كتابه «شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية» الصادر في حيفا عام ١٩٤٧، حيث يقول: كان عبد الرحيم محمود «إشتراكي النزعة ذي مبدأ ومذهب في الحياة الإنسانية». إذن نعتبر ما قاله حنّا أبو حنا ــ شهادةً موثوقة عن أيام عاشها وعن هذا الجانب في شعر وشخصية عبد الرحيم محمود، هذا الجانب الذي أخفي بطريقة أو بأخرى أو تم تقليل أهميته. كما أتذكر شهادة أخرى قدّمها ــ منعم جرجوره ــ من الناصرة حول هذا المنحى اليساري عند عبد الرحيم محمود ــ ونشرها في جريدة «الاتحاد» قبل سنوات قليلة تؤكد ما رواه حنّا أبو حنّا..

وقد تميزت طبعة مركز إحياء التراث أيضاً بأنّ أبياتها مشكولة وأنّ المحقق لم يقسم قصائد الشاعر إلى أغراض شعرية كما فعل الآخرون.

★ ★ ★

لقد قمنا بمقارنة النصوص التي نمتلكها والتي سبق نشرها كاملة أو منقوصة في الطبعات السابقة. ووجدنا أن إضافتنا في هذا المجال، أي تحقيق النصوص السابقة هي ــ **٢٠٧** أبيات بالمقارنة مع طبعة مركز التراث ــ ١٩٨٥ التي هي أفضل طبعة.

وقد قمنا بحذف قصائد مثل: احملوني ــ الخذلان (مجموعها = ٢٥ بيتاً) من طبعتنا. بينما لم نحذف قصيدة «الخذلان» ــ عند جمع عدد الأبيات ــ في طبعة مركز التراث، بل ضمت للعدد العام للأبيات. كذلك قمنا بإدماج قصيدتين تنشران لأول مرة ــ داخل الجدول وهما: ليلة ذات فجرين (٢٩ بيتاً) مع أن الطبعات السابقة جميعها قدمت منها نصف بيت واحد فقط. وقصيدة: كتاب أضاء... (٤٢ بيتاً) مع أنّ جميع الطبعات السابقة بما فيها طبعة مركز التراث أثبتت منها ــ ٣ ــ أبيات فقط. وفيما يلي جدول بالفوارق بين الطبعات نقلاً عن طبعة مركز التراث التي نقلته عن دراسة لمحمود غنايم صادرة عام ١٩٨٠. وهو ــ هنا ــ جدول مُعَدَّل، حيث قمنا بتصحيح وإضافاتٍ طفيفة للجدول:

★ ★ ★

اسم القصيدة	ل ــ ١٩٥٨ اللجنة الأردنية ــ عمان ــ	س ــ ١٩٧٤ السوافيري ــ بيروت ــ	ب ــ ١٩٧٥ مكتبة بلدية نابلس ــ نابلس ــ
١ ــ المسجد الأقصى (نجم ...)	١٣	١٣	١٧
٢ ــ وعد بلفور	١٩	١٩	١٨
٣ ــ شعب فلسطين	١٣	١٩	٢٣
٤ ــ إلى كل متهاود	٠٨	٠٨	٠٨
٥ ــ الشهيد	١٩	١٩	١٩
٦ ــ أيام النضال	—	٤	—
٧ ــ موت البطل	١١	٣٤	٣٦
٨ ــ بين الشرق والغرب	٢٠	٢٠	٢٠
٩ ــ كان غازي	—	—	١٥
١٠ ــ ذكرى الزمان	—	—	٤٥
١١ ــ الحنين إلى الوطن	١٧	١٩	١٧
١٢ ــ وأعدّوا (ذكرى الهجرة)	—	—	٣٧
١٣ ــ حفي اللسان (الجامعة العربية)	٣٢	٣٢	٣٥
١٤ ــ طريق الحياة	مدمجة مع ١٣	م	م
١٥ ــ أنشودة التحرير	—	٦	٢٣
١٦ ــ ذكرى المولد (ليلة ...)	—	—	—
١٧ ــ نداء الوطن	١١	٢٠	١١
١٨ ــ إحملوني	—	٣	٣
١٩ ــ القرآن (كتاب)	—	—	—
٢٠ ــ يا رجال القلم (الغد)	—	٥	—
٢١ ــ تمور البصرة	—	—	٣
٢٢ ــ نون النسوة	—	—	—
٢٣ ــ يا عامل	—	—	١٨
٢٤ ــ أفكار في لزوم مالا يلزم.	١٣ = ٣ مقاطع	٢٧ = ٦ مقاطع	٣٤ = ٧ مقاطع
٢٥ ــ رثاء حمال	٣٢	٣٢	٣٢

ع ــ ١٩٧٩ نافع عبد الله ــ دُبَيّ ــ	ح ــ ١٩٨٥ ــ النصف الأول حنّا أبو حنّا الطيّبة ــ	م ــ ١٩٨٥ ــ النصف الثاني عز الدين المناصرة ــ دمشق ــ	الملاحظـــات
١٥	٢٩	٣٠	المسجد الأقصى=نجم السعود. أنظر: هامش القصيدة.
١٩	١٩	١٩	
٢٢	٢٩	٣٠	
٠٨	٠٨	٠٨	
١٩	١٩	١٩	
٠٤	٠٤	٠٤	
٣٤	٣٦	٣٦	
٢٠	٢٠	٢٠	
١٥	١٥	١٥	
٤٥	٤٥	٤٥	
١٩	١٩	١٩	
٣٧	٣٨	٣٨	ذكرى الهجرة النبوية=وأعدّوا..
٢٨	٥٦	٧١	
٠٥	م	م	أنظر: مقدمتنا هذه: م=مدمجة
٤١	٤٠	٤١	
١	—	٢٩ ــ تنشر لأول مرّة	ذكرى المولد النبوي=ليلة ذات فجرين
٢٠	٢٠	٢٠	دعوة إلى الجهاد=نداء الوطن
١	أسقطت	أسقطناها	
٣	٣	٤٢ ــ تنشر لأول مرّة	(القرآت الكريم=كتاب أضاء)... وهي غير قصيدة «القرآن»: كتاب لا يفيه المدح
٥	٩	٠٩	
٢	٢٦	٤٣	م=أدمجت
١٨	١٩	٣٠	
٢٧ = ٦ مقاطع	٤٥ = ١٠ مقاطع	٩٣ = ٢٢ مقطعاً	
٣٣	٣٣	٣٣	

٢٦ ــ العيــد	٦	٦	٦
٢٧ ــ تبســم	١٠	١٠	١٠
٢٨ ــ في حالة غضب	١٥	١٦	١٧
٢٩ ــ الخذلان	—	—	—
٣٠ ــ حجر في كثبان الرمل	٢٣	٢٣	٢٣
٣١ ــ جفّت على شفتي الأماني	٢٩	٣١	٢٩
٣٢ ــ يا حياتي	١٤	١٤	١٤
٣٣ ــ فتى الحروب (سلمى)	—	—	—
٣٤ ــ يا لائمي في الحب	٧		٧
٣٥ ــ لعبــة	٦	٦	٦
٣٦ ــ راح الذي بيننا	١٨	١٨	١٨
٣٧ ــ مخلوقة أنتَ	١٤	١٤	١٤
٣٨ ــ يا غزالاً	—	—	٤
٣٩ ــ بيني وبين قلبي	—	—	—
٤٠ ــ جيش الحبائب	—	—	١٤
٤١ ــ كبرياء الحب	١٣	١٣	١٣
٤٢ ــ نجوى المحتضرة	٣٤	٣٤	٣٨
٤٣ ــ إليهــا	١٠	١٠	١٠
٤٤ ــ السكر شغلي	٦	٦	٦
٤٥ ــ نحن المصادر والموارد	١٥	١٥	١٥
٤٦ ــ ثورة العاملين	—	—	—
٤٧ ــ عبيــر	—	—	—
٤٨ ــ حوشوا البنات	—	—	—
٤٩ ــ نشيد (أنت للعرب)	—	—	—
٥٠ ــ أبيات متفرقة	—	—	—
المجموع =	٤٢٨ بيتاً	٤٩٦ بيتاً	٦٥٨ بيتاً

٦	٦	٣١	
١٠	٢٤	٢٨	
١٦	١٧	١٧	
٢٢	٢٢	أسقطناها	أنظر: الأسباب في هذه المقدمة.
٢٣	٢٣	٢٣	
٣١	٣٠	٣١	
١٤	١٤	١٤	
٢	٣	٥	فتى الحروب=سلمى ارحميني
٧	٧	٧	
٦	٦	٦	
١٨	١٨	١٨	
٢٠	١٩	٢٠	
٤	٤	٤	
١٢	١٢	١٢	
١٤	١٧	١٧	
١٣	١٣	١٣	
٣٨	٣٨	٣٨	
١٠	١٠	١٠	
٦	٦	٦	
١٥	١٥	٤٦	
—	٢١	٢١	
—	١٦	١٩	
—	٢٢	٢٢	
—	١٠	١٠	
—	٧	٧	هيهات ــ نحن نفديك ــ هاروت
٧٣١ بيتاً	٩١٢ بيتاً	١١١٩ بيتاً	بدون حذف قصيدة «الخذلان» عند: ع+ح. ومع حذفها عند: م

١ ـ الإضافات الشعرية الجديدة:

إنّ الإضافات التي قدمناها في هذه الطبعة، إضافة لـ **٢٠٧** ـ من الأبيات في النصوص المنشورة سابقاً، هي مجموعة من القصائد التي تنشر لأول مرّة وهي:

١ ـ سياستنا تسال ـ ١٥ بيتاً.
٢ ـ رأيت فقلت ـ ٣٤ بيتاً.
٣ ـ روضٌ وإني عندليبه ـ ٦٥ بيتاً.
٤ ـ ذكرى ثورة دمشق ـ ٥٧ بيتاً.
٥ ـ طوفان دمشق ـ ٣٤ بيتاً.
٦ ـ في العيد تلتئم الجراح ـ ٣٧ بيتاً.
٧ ـ يقظة النيل ـ ٣١ بيتاً.
٨ ـ إلى العُمّال ـ ٧٤ بيتاً.
٩ ـ رهين المحبسين ـ ٣٠ بيتاً.
١٠ـ قم بنا ـ ١٥ بيتاً.
١١ـ أحاجي ـ ٧١ بيتاً.
١٢ـ بديع الشعر ـ ٢١ بيتاً.
١٣ـ من سوانا مخلصٌ ـ ٤ أبيات.
١٤ـ ما ضَرَّ فاطمة ـ بيتان.
١٥ـ لما اكفهرّت أوجه الليالي ـ ١٠٠ بيتاً.
١٦ـ الفلاح ـ ٧٤ بيتاً.
١٧ـ جرحان ـ ٢١ بيتاً.
١٨ـ كنعان من زيتونه ـ ٤ أبيات.
١٩ـ بكى دما ـ ٥ أبيات.
٢٠ـ هكذا الأزهار ـ ٤ أبيات.
٢١ـ أنشودة التجذيف ـ ٨ أبيات.
٢٢ـ الشباب ـ ٧ أبيات.
٢٣ـ كتاب لا يفيه المدح ـ ٤١ بيتاً.

ومجموع أبيات قصائد هذه الإضافات هو ـ **٧٥٤** بيتاً جديداً تنشر لأول مرّة.

إذن يصبح مجموع الأبيات الجديدة المضافة هو: ٢٠٧ + ٧٥٤ = **٩٥١** بيتاً جديداً في كل الطبعة لم تنشر في أي طبعة من الطبعات السابقة.

★ ★ ★

٢ ـ الإضافات النثرية الجديدة:

ظلّ اللغز قائماً منذ عام ١٩٣٩ وحتى الآن. والصدفة وحدها هي التي ساهمت في حل هذا اللغز. صدفةٌ حصلت على صورة طبق الأصل لرسالة موجهة من الدكتور عمر فروخ إلى أديب مهيار في نابلس. وتحمل الرسالة تاريخ ١٨ / ٦ / ١٩٥٤. وتتحدث الرسالة عن نتاجات عبد الرحيم محمود المنشورة في مجلة «الأمالي» البيروتية

التي كان عمر فروخ رئيس تحريرها وصاحب الامتياز. ومن بين النتاجات يذكر عمر فروخ أسماء مقالات نقدية نشرها عبد الرحيم محمود في الأمالي باسم مستعار هو «بقلم: مريم». وفي الأيام الأولى من شهر حزيران / ١٩٨٢ أي قبل يومين من حصار بيروت، اتصلت هاتفياً بعمر فروخ في منزله من مكتبي في مجلة «شؤون فلسطينية» في مركز الأبحاث في بيروت. وسألته عن صحة نسبة الإسم المستعار لعبد الرحيم محمود، فأجاب عمر فروخ بالإيجاب. ولم أذكر له شيئاً عن رسالته الموجهة لأديب مهيار عام ١٩٥٤. واتفقنا على اللقاء في مكتبة الجامعة الأمريكية أو أن يزورني في مركز الأبحاث الفلسطيني، لكن الحرب كانت قد اشتعلت وحالت دون اللقاء. وخرجت من بيروت مع الخارجين في الأول من سبتمبر ـ أيلول / ١٩٨٢ دون أن أحمل أوراقي التي كنت قد صورتها من مجلة الأمالي. وحين عاودت المحاولة للحصول على تلك الأوراق وأنا في الجزائر، لاقيت صعوبات جمّة في هذا المجال ولكن ما إن اكتمل وصولها حتى بادرت بإرسال رسالة إلى عمر فروخ فأجاب خطياً بالإيجاب وكرر نفس التأكيد. وقمت بمقارنة توقيع عمر فروخ في الرسالة الجديدة ـ ١٩٨٤ مع توقيعه القديم في الرسالة القديمة عام ١٩٥٤ فوجدته متطابقاً. إذن يبقى عمر فروخ هو المصدر الوحيد حول هذا الموضوع وهو مصدر موثوق. وفيما يلي نص الرسالتين ـ بعد حذف ما ليس له صلة بالموضوع:

أولاً: من عمر فروخ إلى أديب مهيار ـ بتاريخ ـ ١٨ / ٦ / ١٩٥٤:

«لقد نشر للمرحوم عبد الرحيم محمود في «الأمالي» شعر ونثر. وها أنا أثبت عناوين مقالاته وقصائده:

آ ـ في مجلة «الأمالي» ـ السنة الأولى:

١ ـ ما جبران؟ بقلم: مريم	ـ العدد ٤٥ ـ ٧ تموز / ١٩٣٩ ـ نثر.
٢ ـ أصناف السرّاقين بقلم: مريم	ـ العدد ٤٨ ـ ٢٨تموز / ١٩٣٩ ـ نثر.
٣ ـ ما جبران؟؟ بقلم: مريم	ـ العدد ٥٠ ـ ١١ آب / ١٩٣٩ ـ نثر.
٤ ـ فصل في الشعبذة بقلم: مريم	ـ العدد ٥١ ـ ١٨ آب / ١٩٣٩ ـ نثر.

٥ ــ لعبة تهدى للعبة ــ العدد ١ ــ شعر .
٦ ــ روحي فقد راح الذي بيننا ــ العدد ٣ ــ شعر .
٧ ــ خالتي الميّت من صدّها ــ العدد ٦ ــ شعر .
٨ ــ يا غزالاً ــ العدد ٧ ــ شعر .
٩ ــ قلت لقلبي إنها كافره ــ العدد ٨ ــ شعر .
١٠ــ حي الظباء الباديات كواكبا ــ العدد ٩ ــ شعر .
١١ــ اسمعي يا من لقد خنت الهوى ــ العدد ١٠ ــ شعر .
١٢ــ دنا الموت مني أبا جعفر ــ العدد ١١ ــ شعر .
١٣ــ سأحمل روحي على راحتي ــ العدد ٢١ ــ شعر .
١٤ــ أئذا أنشدت يوفيك نشيدي ــ العدد ٣٢ ــ شعر .
١٥ــ كان نجماً يهتدي الساري به ــ العدد ٣٣ ــ شعر .
١٦ــ هات من ذكرى زمان العز هات ــ العدد ٤٤ ــ شعر (١٩٣٩) .

ب ــ في مجلة الأمالي ــ السنة الثانية :

١٧ــ الأدب المسكين ــ العدد الثالث ــ نثر .

وينهي عمر فروخ رسالتــه بقولــه : « فإذا كان ثمة قصيــدة أو مقــالاً بإمضاء ــ مريم = عبد الرحيم محمود » .

ثانياً : من عمر فروخ إلى عز الدين المناصرة ــ بتاريخ ــ ١١ / ١١ / ١٩٨٤ :

« .... وقد أحببت أن أفيدكم بأنّ « مريم » اسم رمزي وتوقيع مستعار كتب به الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة في شمال فلسطين عام ١٩٤٨ » .

إذن سننشر المقالات النقدية الخمس لأول مرّة .. ونضيف مقالة واحدة سبق نشرها فتصبح ست مقالات .. ونترك الفضاء مفتوحاً للاحتمالات .

★ ★ ★

لقد أشرت في هوامش بعض القصائد إلى أسلوب التحقيق الذي أتبع للتأكد من صحة النصوص :

١ ــ كنتُ أثق بالمخطوطات أكثر من القصائد المنشورة . وهناك عدة مخطوطات

للقصيدة الواحدة ، حيث كنتُ أقوم بالمقارنة بينها بيتاً بيتاً وكلمةً كلمة .

٢ ــ إذا حدث أن كان بين يدي أكثر من مخطوطة . كنتُ أفضّل المخطوطة المكتوبة بخط يد الشاعر نفسه . وكنتُ أقارن خطه مع خطوط أخرى له في قصائد أخرى . حتى يتم التأكد من أنه خطه وليس خط غيره .

٣ ــ وضعتُ القصائد المكتوبة بخطوط أصدقائه في المرتبة الثانية . وكنتُ أفضّل من بينها ــ خط الأستاذ مروان راضي الطاهر صديق الشاعر .

٤ ــ حصلتُ على عدة مخطوطات من بلدان عربية مختلفة ومتباعدة جغرافياً . وهذا ساعدني على مقارنتها مع مخطوطات مروان الطاهر وآخرين . فكنتُ أقارن القصيدة الواحدة من خلال عدة مخطوطات .

٥ ــ حذفتُ شروح القصائد التي وضعها أصدقاء الشاعر حتى لا أثقل كاهل النص . وقمتُ بإثبات الشروح التي وضعها الشاعر نفسه . ولم أقدم شروحاً إلا في حالات نادرة .

٦ ــ ألغيتُ ترتيب القصائد وفق الأغراض الشعرية كما في الطبعات السابقة ــ ما عدا طبعة مركز إحياء التراث ــ وقمتُ بترتيب القصائد وفق الطقس العام ، لأن مفهوم الأغراض لا ينطبق ــ وفق فهمنا ــ على شعر عبد الرحيم محمود : (أنظر : مقالنا في الحرية ــ ٣٠ / حزيران / ١٩٨٥) .

٧ ــ في حالة اختلاف الرواة ، كنتُ ألجأ إلى أسلوب الترجيح ، انطلاقاً من عدد تكرار الروايات . فإن وجدتُ ذلك في رواية واحدة مختلفة عن ثلاث روايات متشابهة ، فضلت الثانية وهذا أمر منطقي . فالتذوق يتدخل في هذا العمل ولكنه ليس تذوقاً مزاجياً اعتباطياً ، بل هو محكوم بقواعد .

٨ ــ لم أثبت من القصائد والأبيات إلا ما تأكدتُ منها تماماً . وحذفتُ كل ما يشك في أمره من أنه مدسوسٌ على الشاعر . مثل : قصيدة « احملوني » .. وقصيدة « الخذلان » وهما منشورتان سابقاً .

وهناك قصيدة لم يسبق نشرها في الطبعات السابقة عنوانها « همسة » :

إضحكي فالعمر يا سمراء يمضي كالثواني

وابسمي لسنا سوى لحن على ثغر الزمان
لا تخافي الدمع أهواه على هدب الغواني
أنا ظمآن وهذي الكأس ملأى بالأماني

وهذه القصيدة مكونة من عشرين بيتاً . وقد سبق أن نشرت في جريدة « الجهاد » المقدسية بتاريخ — ٢٦ / ٧ / ١٩٥٤ ، على أنها لعبد الرحيم محمود . وقد شككتُ في أمرها لأسباب عديدة :

أولاً : لغة القصيدة تتشابه مع قصائد لناشئين كانوا يقلّدون شعر علي محمود طه وإبراهيم ناجي . بل هي تقليد كامل لهما .

ثانياً : لم يسبق ذكرها في أي مرجع أو مخطوطة ولا رواها أحد .

ثالثاً : زوّدني — مروان الطاهر بنسخة منها بخط يده سبق أن نقلها عن جريدة الجهاد . وحين أبديت تساؤلاتي حولها ، كتب لي مؤكداً أنه هو الآخر يشك في أمرها : « لهذا أتركها بين يديك فإما أن تضيفها وإما أن تتناساها » .

وقررت عدم إدراجها في هذه الطبعة . فإن قُدّم لنا برهان واحد على أنها لعبد الرحيم محمود فسنعيد النظر في أمرها مستقبلاً .

٩ — واجهتْنا مشكلةُ عناوين القصائد وهي عدم التوافق بين عدة عناوين للقصيدة الواحدة . وهناك عناوين وضعها أصدقاء الشاعر . وهناك قصائد بلا عناوين . وهناك عناوين متشابهة لقصيدتين مختلفتين . أمام هذا الإشكال وقفنا طويلاً وقمنا بوضع الحلول المناسبة . وحين تكون القصيدة بلا عنوان ، كنا نضع لها عنواناً اشتققناه من نفس القصيدة .

١٠ — مجموع ما أضفناه من القصائد الجديدة التي تنشر لأول مرّة هو — ٢٣ قصيدة ومجموع عدد أبياتها هو — ٧٥٤ بيتاً . ومجموع عدد الأبيات الجديدة التي أضفناها للنصوص المنشورة سابقاً هو — ٢٠٧ من الأبيات . وبهذا يصبح المجموع العام للإضافات الجديدة هو — **٩٥١** بيتاً . أما المجموع العام لعدد

أبيات طبعتنا فهو — **١٨٧٤** بيتاً . أي مما يزيد بنسبة الضعف أو أكثر عن مجموع أبيات طبعة مركز إحياء التراث — ١٩٨٥ . أما الطبعات الأخرى فلا مجال للمقارنة .

١١ — أضفنا — خمس مقالات نقدية تنشر لأول مرّة .

★ ★ ★

يبقى أن نشير إلى أنّ هذا العمل استغرق أربع سنوات تقريباً وقد قمتُ فيه بدور لجنة تكريم كاملة ، عضوها الوحيد هو الأستاذ مروان راضي الطاهر ، الذي أمدّني بكل ما لديه من مخطوطات وأجاب على كل أسئلتي . وحتى أحدد فضله عَلَيَّ أكثر أقول : إنه المصدر الموثوق لمعظم المخطوطات بخط يد الشاعر أو بخطه هو نفسه .

لقد سبق لي أن أطلقتُ على هذا الرجل لقب « اليد الفلسطينية الأمينة » . وهو يستحقه بجدارة . فقد حفظ قصائد صديق عمره طيلة سبعة وثلاثين عاماً ولولاه لضاعت هذه القصائد إلى الأبد .

ومن باب العلم فإنني لم أتقابل مع مروان الطاهر حتى الآن . وقد تم التعاون بيننا بالمراسلة فشكراً له على ثقته بي . ولا بد أيضاً أن أشكر الدكتور عمر فروخ لمساعداته القيّمة .

لقد كان عبد الرحيم محمود وما زال رمزاً من رموز التوحيد في ثقافتنا الفلسطينية الوطنية في القرن العشرين بالدم وحبر الإبداع .

قسنطينه — الجزائر **عز الدين المناصرة**
١٩٨٥ / ٩ / ٢٥

نعتقد أنه يقصد الشاعر المصري — كمال عبد الحليم .
إنتهيتُ من العمل يوم ٢٥ / ٩ / ١٩٨٥ ، وأرسلتُ المخطوطة للنشر (بوساطة أحد الأدباء الفلسطينيين) أما لماذا لم ينشر ولم يصل إلى الناشر فهناك قصة مأساوية طريفة نتركها للمستقبل .

I

ديوان عبد الرحيم محمود

١ ــ الشهيد

سَأحمِلُ روحي على رَاحَتي   وألقي بها في مَهَاوي الرَّدى
فإما حَيَاةٌ تَسُرُّ الصديقَ   وإما مَمَاتٌ يُغيظُ العِدى
وَنفْسُ الشَّريفِ لها غايتان   ورودُ المنايا ونيلُ المنى
وما العيشُ؟ لا عِشْتُ إنْ لم أكُنْ   مَخوفَ الجناب حَرامَ الحِمَى
إذا قلتُ أصغى ليَ العالمونَ   وَدَوَّى مقَاليَ بين الورى

★ ★ ★

لَعَمْرُكَ إني أرى مَصْرعي   ولكن أغُذُّ إليهِ الخُطى
أرى مصرعي دون حقّي السليبِ   ودونَ بلادي هو المُبتغى
يَلَذُّ لأذني سماعُ الصليلِ   ويُبْهجُ نفسي مَسيلُ الدما
وجسمٌ تجدَّلَ في الصحصحانِ(١)   تناوشه جارحاتُ الفَلا
فمنه نصيب لأُسْدِ السماءِ   ومنه نصيب لأُسْدِ الشَّرى
كسا دَمُه الأرضَ بالأرجوانِ   وأثقلَ بالعطرِ ريحَ الصَّبا

وعفّر منهُ بهي الجبين   ولكن عُفاراً يزيد البَها
وبان على شفتيهِ ابتسامُ   معانيه هُزْءٌ بهذي الدُّنا
ونام ليحلم حلم الخلودِ   ويهنأ فيه بأحلى الرُؤى

★ ★ ★

لعمرُك هذا مَماتُ الرجالِ   ومن رام موتاً شريفاً فذا
فكيف اصطباري لكَيْدِ الحقودِ   وكيف احتمالي لسَوْمِ الأذى
أخوفاً وعندي تهون الحياةُ   وَذُلاً وإنّي لربُّ الإبا
بقلبي سأرمي وجوه العُداةِ   فقلبي حديدٌ وناري لظى
وأحمي حياضي بحَدِّ الحسام   فيعلم قوميَ أنّي الفتى.

---

١ ـ الصحصحان: الأرض المستوية أو الأرض الجرداء.

* ـ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨. أنظر: مجلة «الأمالي» السنة الأولى، عدد ـ ٢١، سنة ١٩٣٨.

٢ ـ شعب فلسطين

شعبٌ تَمرَّسَ في الصعابِ ولم تنلْ منهُ الصِّعَابْ
لَوْ هَمَّهُ آنتابَ الهضابَ   لدُكْدِكتْ منهُ الهضابْ
مُتمرِّدٌ لم يرضَ يوماً   أن يَقَرَّ على عذابْ
عِرْنينُهُ بلغَ السماءَ   ورأسُهُ نطَحَ السَّحابْ
وَعُداتُهُ رَغْمَ الأنوفِ   تَذلُّلاً حانُو الرقابْ
مَثَلٌ حَدَا حادِيُّ الزمانِ بهِ وناقَلتِ الرِّكابْ
نحن الأُلى هابَ الوجودُ   وليس فينا من يهابْ
إنْ تَجْهلِ العَجَبَ العُجابَ فأننا العَجَبُ العُجابْ
إنْ ثَوَّبَ الداعي لحربٍ   نحنُ أوّلُ من أجابْ
فَسَلِ الذي خَضَعَ الهواءُ   لهُ وذَلّ لهُ العُبابْ
هل لانَ عُودُ قَناتِنا   أمْ هل نَبَتْ عند الضِّرابْ
أو شامَ عيباً غير أنّا، ليس نَرضى أنْ نُعابْ
حُيِّيتَ من شعبٍ تخلَّد، ليس يعروه ذهابْ
قد سطرَّ القلمُ الشهيدَ   مخلَّداً وحوى الكتابْ
لفَتَ الورى منك الزئيرُ   مزمجراً من حولِ غابْ
وأرى العِدا ما أذهلَ الدنيا وشاب لهُ الغرابْ
عرفَ الطريقَ لحقّهِ   ومشى لهُ الجددَ الصوابْ
الحقُ ليس براجعٍ   لذويهِ إلا بالحرابْ
الصرخةُ النكراء تُجدي   لا التَلطُّفُ والعتابْ

والنـار تضمَـنُ والحديـدُ   لمن تساءلَ أنْ يُجـابْ
حَكِّمهمـا فيمـا تُريـدُ   ففيهمـا فصْلُ الخطـابْ
الظلـمُ يرهبُ أوجُهـاً   بدمٍ تُضَرَّجُ.. لا خضابْ
إن لم تكنْ ذئباً تُخافُ   فرتك أظفـار الذئـابْ
من عاشَ ما بينَ الوحوشِ   يكـنْ لهُ ظُفـرٌ ونـابْ
فشل الذي جعل الكلا..   مَ مِجَنَّـةً تحمـي، ونـابْ
يا أيُهـا الشعبُ العظيـمُ   أجدْتَ للمجـدِ الطِـلابْ
أشْهَرْتَ سيفـاً قبـل نصْرٍ   لا تُعِـدهُ إلى القِـراب
وإذا أعيـد فأنت مَيْتٌ   لا يواريك التُـرابْ
فآرباً بنفسكَ أن تعيشَ مُذَمَّماً والعيشُ صابْ
إني أعيـذكَ بالشيـوخ   كما أعيـذكَ بالشبـاب.

* ــ نقلاً عن نسخة بخط مروان الطاهر منقولة عن مجلة « الرسالة » في ٣١ / ٨ / ١٩٣٦ . **كذلك** عن نسخة أخرى لا يعرف كاتبها . **كذلك** : صورة أخذت من كتاب « تاج التاريخ أو صدى الجهاد » ــ إبان ثورة ١٩٣٦ ــ جمع وترتيب : سروة بشاره منضور . وعنوانها « الشعب الباسل » .

٣ ــ حفي اللسانُ وجفّت الأقلامُ

عيدٌ بأحْناءِ الصُدورِ يُقامُ   من وَحْيهِ الأشعارُ والأنغامُ
حُلْمٌ لقد لابتْ عليه نفوسُنا   أجملْ بأن تتحقَق الأحلامُ
جمع الشتيتُ فكل قُطرٍ دُرَّةٌ   في عقْدنا والوحدةُ النظّامُ
فإذا نجومُ السَعْد في آفاقنا   تبدو وجَرحُ قلوبنا يلتـامُ
وتيقظ الحبُ الكمينُ فكلّنا   في كلّنا ذو صَبْوَةٍ هَيّـامُ
فإذا تشكى النيل من آلامه   شَقّتْ مرائرَ دجلـة الآلامُ
وإذا تنادى المغربُ الأقصى لدى   جُلّى استجابت للنداء الشامُ
ذهبت خرافاتُ الحدود فكلُّها   وطنٌ لنا.. لو صحّت الأفهامُ
كيف الحياة لأرؤسٍ إن لم تَصِلْ   أيدٍ وإنْ لم تُسْعف الأقدامُ
فَرَحٌ رجوتُ الله حُسْنَ تمامه   ياليت أفراحاً لهُـنَّ تمامُ.

★ ★ ★

لكنْ دعوني كي أقول مقالةً   ولكلِّ قولٍ مركـزٌ ومقـامُ
لم يقتل الأقوام مثل خطيبها   الفيّاش بل قد أفلح اللوّامُ
وإذا محبّك قال لوما فاستمع   لَوْمُ المحب صبابـةٌ وغـرامُ
وأنا المحبُ وشاهداي جراحةٌ   نزّازةٌ لم تشفَ والإعـدامُ
لو شئتُ كنتُ مع القواعد نجوةً   ولكان بي من وفْـرةٍ إتخامُ
هذا ولست مزكيّاً نفسي ولا   الفيّاشَ يعلمُ سِرّي العلاّمُ
فخذوا الكلامَ أيا أحبّة واعذروا   لفظ اللظى مَنْ في حَشاهُ ضِرامُ
حفي اللسان وجفّت الأقلامُ   والحالَ حالٌ والكلامُ كلامُ

مرَّتْ بنا الأيام لم نَسْلُكْ بها ... جَدَدَ الصواب ومرَّتِ الأعوامُ
والزورقُ التوهان سار مُحَيَّراً ... فوق الخِضَمِّ دليلُه الأوهامُ
والراكبوهُ أسلمـوه لقـادةٍ ... لم يعلموا عِلْمَ السَّدادِ.. وناموا
وأراهـمُ لن يستفيقوا ضَلَّـةً ... إلاّ وزورقُهُـمْ لَقىً وحُطـامُ
وتخاصم القُـوّادُ بين مُشرِّقٍ ... ومُغرِّبٍ وتقطعتْ أرحـامُ
فإذا المنابر صاخباتٌ حُفَّلٌ ... يُرغـي بها التهويشُ والإيهامُ

وإذا الضلالُ لهُ هناكَ سُرادِقٌ ... مَضْروبةٌ عُبِدَتْ بها الأصنامُ
فإذا بَرِمْتَ فأنت عاصٍ آبِقٌ ... وإذا نَقَدْتَ فجاهـلٌ هَدَّامُ
والحرُّ وابنُ الحُرِّ ليس مطيّةً ... يُمْطى وَيَكْبَحُ أصْغَريهِ لجامُ
فيقول حقّاً ليس يخشى لومةً ... والحقُّ أروع ما حوى الإسلامُ
والناسُ إن مَلَكَ الشعابذُ رأيهم ... وشرى ضمائرهم فَهُمْ أنعامُ
وعمالقُ التفكيرِ إن لم يُحْصِنوا ... من لَوْثَةٍ ـ أفكارَهُمْ ـ أقزامُ
وإذا انطلى الكَلِمُ المنَمَّقُ بيننا ... معناهُ أن ليست لنا أفهامُ
وإذا أطعنا راعياً ذا قسوةٍ ... فيما يريدُ فنحنُ والأغنامُ.

★ ★ ★

مرّت بنا الأيام بين تَعَلُّلٍ ... بغدٍ فضاعت بالرؤى الأيامُ
ظِلْنا نقول: غداً غداً هل حُققتْ ... للآتيـنَ على غدٍ أحلامُ
ظِلْنا نقول: غداً يفيقُ ضميرُ مَنْ ... فَقَدَ الضميرَ ويَعْدل الظُلاّمُ
ظِلْنا نقول: مفاوضاتٌ ما الذي ... نِلْناهُ إلا كَسْفَـةٌ وَسُخـامُ
ظِلْنا نداعبهم وهم حكّامُنا ... ويُحَقِّقون وهُمْ هُمُ الأخصامُ
ظِلْنا نقول: حبائبٌ ضَرَباتُهم ... مقبولـةٌ ما إنْ لها إيـلامُ
ظِلْنا نُغَرَّرُ بالوعودِ وَينطلي ... كذبٌ ويفعَلُ فِعْلَهُ الإيهامُ

خرجوا لنا بالسَّحبِ من أقسامنا ... يا ويلنـا إنّ الهوى أقسامُ
هُمْ عَلَّموا الأقوامَ أنَّ نصيرَها ... عادٍ فَغَرَّ وصدَّقَ الأقوامُ
هُمْ فَهَّموا الأيتامَ أنّ حُضونَهُمْ ... أطرى الحضونِ فأمَّنَ الأيتامُ
وإذا حسبتَ عدوَّ روحكَ صاحباً ... عثر الجدودُ وزلّتِ الأقدامُ
وإذا زعمتَ طبيبَ سُقْمِكَ سَمَّهُ ... عرَمَتْ بكَ الأدواءُ والأسقامُ
وإذا فَهِمتَ فلن تُضام وإنما ... غِرٌّ يُلَهّى بالكِذابِ يُضامُ
قُلْ: «لا» وأتبعها الفعال ولاتُرَعْ ... وانظُر هنالك كيف تُحنى الهامُ
إني رأيتُ الحقَّ فَصْلَ خطابهِ ... يتلوهُ فينا الفيصلُ الصَّمْصامُ
إصهر بنارِكَ غُلَّ عنقِكَ يَنْصَهِرْ ... وعلى الجماجمِ تُرْكَزُ الأعلامُ
وأقم على الأشلاء صَرْحَكَ، إنّما ... من فوقِها تُبنى العُلا وتُقامُ
وخُذِ الحقوقَ إليك لا تَستَجْدِها ... إنّ الأُلى سلبوا الحقوقَ لِئامُ
هذي طريقكَ للحياةِ فلا تَزُغْ ... قد سارها من قَبْلِكَ «القسّامُ»
وأبو صلاح سنَّها لكَ سُنَّةً ... فاسلك طرائقَ سنَّهُنَّ إمامُ
سهمٌ حَوَتْهُ كنانةٌ ولرُبَّما ... انطلقت به فحمى الحمى الضرغامُ
ذاكَ الذي هجرَ الكلامَ لفتكةٍ ... بِكْرٍ وَهَلْ فكَّ القيودَ كلامُ.

★ ★ ★

بلفورُ ما بلفورُ ماذا وعدُه؟ ... لو لم تكن أفعالنا الإبرامُ
إنّا بأيدينا جَرَحْنا قلبَنا ... وبنا إلينا جاءَتِ الآلامُ
فينا على المودي بنا إقدامُ ... وبنا عن المُجْدي لنا إحجامُ
وبنا عن الحُبِّ المُجَمِّعِ جَفْوةٌ ... ولنا بصحراءِ الخصام هُيامُ
والخطبُ فَرَّقنا قبائلَ جَمَّةً ... والخطبُ عند عُداتنا لَمَّامُ
يا قادةً، إلاّ الذين أُجلُّهمْ ... عمَّا يُذَمُّ وقد عداهُمْ ذامُ
يا ساهرين على الكلامِ وصَوْغِهِ ... يا قاعدين عن الفِعالِ نيامُ
نحن الضحايا لا نريدُ مثوبةً ... وأقلُّها التعريفُ والإعلامُ

ماذا نويتُمْ؟ ما فعلتمْ؟ ما الذي تبغونَ؟ أم أنَّ السؤال حرامْ
«أنشاصُ» و«بلودانُ» ماذا أنتجا؟ لا، لا تَسَلْ، إنّ السؤال حَرامُ
هم مُلْهَمونَ فلا تَقُلْ من أين قَدْ دَلَفَ السَّدادُ ونُزِّلَ الإلهامُ
هم مخلصون فإن يقولوا قالةً فاخضعْ لها إنّ الخضوعَ لِزامُ
ما طائراتٌ غادياتٌ رُوَّحٌ ما ذلك الإسرارُ والإبهامُ
أوَلَيْسَ من دورٍ لنا نُلهى به إلا وداعٌ حافلٌ وسلامُ
وإذا يضِلُّ السعيُ أنت مُعاتَبٌ وإذا يسوء الغِيبُ أنت تُلامُ
ما حَكَّ جلدَكَ مثلَ ظُفْرِكَ يا فتى يا حُرُّ لا تَتَصَبَّكَ الأوهامُ
إصهر بنارِكَ غَلَّ عنقك ينصهرْ وعلى الجماجم تُركزُ الأعلامُ.

---

* ـــ ألقيت في ذكرى وعد بلفور بتاريخ ــ ٢ / ١١ / ١٩٤٦. ثم ألقاها الشاعر (معدلة) في مهرجان فلسطين الشعري في القدس في ١٤ / ١١ / ١٩٤٦. وفي مهرجان غزة ومهرجان حيفا في يوم الاحتفال بذكرى الجامعة العربية. ونشرت في مجلة «الغد» ــ المقدسية في ٢٥ / ٤ / ١٩٤٧.

* ـــ النص ــ هنا ــ نُقِلَ عن مخطوطة. بخط يد الشاعر: **وقورنت** مع نسختين مكتوبتين على الآلة الكاتبة. **ونلاحظ** أن العنوان الذي اشتهرت به القصيدة (عيد الجامعة العربية) غير موجود في الأصل. وهو من وضع أصدقاء الشاعر ولهذا اخترنا عنواناً جديداً اشتق من قصيدة الشاعر نفسها.

كذلك نلاحظ أن البيت رقم ــ ٦٤ ــ ليس موجوداً في المخطوطة بل أضيف بخط لا يتشابه مع خط يد الشاعر. **ويقال أيضاً**: إن مطلع القصيدة الأصلي هو «حفي اللسان» وأن الأبيات من (١ ــ ١٧) هي التي أضيفت في التعديل.

٤ ــ موت البطل

أإذا أنشدتُ يوفيكَ نشيدي حَقَّكَ الواجبَ يا خيرَ شهيدِ
أيُّ لفظٍ يَسَعُ المعنى الذي منك أستوحيهِ يا وحيَ قصيدي
لا يُحيط الشعرُ فيما فيكَ منْ خُلُقٍ زاكٍ ومن عزمٍ شديدِ
كملت فيك المُروءاتُ فلم تبقَ منها زائداً للمستزيدِ
حسرتا للدين والمجد اللّذي قد أصيبا فيك بالركن الوطيدِ
حسرتا للوطن العاني ولـلأ مل الفاني ويا تَعْسَ الجدودِ

★ ★ ★

أيها القائد لم خَلَّفْتَنا ولمن وَلَّيتَ تصريفَ الجنودِ
أقفر الميدانُ من فرسانهِ وخلا من أهلهِ غابُ الأسودِ
خمدتْ نار لقد أضرمتَها لِعدىً كانوا لها بعضَ الوقودِ
والحمى قد ريع يا ذُخْرَ الحمى وغدا بَعْدَكَ مَنْقُوصَ الحدودِ
لم أكن قبلك أدري ما الذي يُرْخِصُ الدمعَ ويُودي بالكُبُودِ
إنَّ يوماً قد رُزِئناكَ بهِ جاعلٌ أيامنا سوداً بسودِ
هلكت نفسُ الأوِدَّاءِ أسىً فيه وارتاحت له نفسُ اللدودِ
كلُ بيتٍ لك فيه مأتمٌ يندب الناسُ به أغلى فقيدِ
للمناحات صدىً مُرتَجَعٌ في بلاد العُرْبِ سَهْلٍ ونجودِ
برزت فيها المصوناتُ ضُحىً صارخاتٍ قارعاتٍ للخدودِ
وَاحَبِيبَ الأُمَّتَا يتَمتَنا يا أبا كل فتاةٍ ووليدِ
صَعَّدوا من لوعةٍ زفراتِهم فأذابت قاسيَ الصخرِ الصلودِ

جعلوا من كل صدر مسكناً　　لارتفاع بك عن سُكنى اللحودِ
كل قلب لك فيه مُصْحَفٌ　　فيه من ذكرك قرآنُ خُلودِ
سُوَرٌ قد فُصِّلتْ آياتُهـــا　　لم تزل تُتلى على الدهرِ الأَبيدِ

★ ★ ★

أيها القائـد هذى ميتـةٌ　　طالما رَجَّيْتَهـا منـذُ بعيـدِ
مصرعُ الأبطال ما بين الحديدِ　　في الميادين ورفّات البُنـودِ
هذه أعراسُهُـمْ صَخَّابَـةٌ　　نَقْرةُ الدّفِ بها قَصْفُ الرعودِ
فيُـروُّونَ الثرى من دمهـم　　وَيُحَنُّونَ بها كفَّ الصعيـدِ
وَيُزَّفـونَ عليهم حُلَـلٌ　　من نجيع الحربِ تُزْري بالبرودِ
هم تعاويذُ الحمى يُقصي بهم　　عنه مكر السوء أو كيدَ الحسودِ
تحرق العاتـيَ أنفاسهمـو　　ويذيبـون بها غلَّ القيـودِ
وعلى أكتافهم تُجْنَى المنى　　ويُشادُ الصَّرْحُ للعيشِ الحميدِ

★ ★ ★

يا شهيداً قد تخذنـا قَبَساً　　منه يهدينا إلى النَّهجِ السديدِ
مثل أنت وما أن تنـتسى　　لا تنى ترويك أفواه الوجودِ
مُتَّ في الحربِ شريفاً لم تطق　　ربقة الأسر ولا ذُلَّ العبيدِ
هكذا العـار مريـر ورده　　والردى للحرِ معسول الورودِ
وَاحَبيبَ الأمتا قد أصبح العيـ　　ـش من بعدك لي جدَّ نكيد
جَمَدَ الدمعُ بعيني جزعاً　　يا لنار القلبِ من دمعي الجمودِ
فأذبت الروح أبكـيك بها　　بدل الدمع فسالت في نشيدي

---

* ـ كتبها ونشرها عام ١٩٣٩ : أنظر : مجلة «الأماني» ـ سنة ١ ، عدد ٣٢ ، سنة ١٩٣٩ .

**ـ «في رثاء قائد منطقة جبل نابلس في الثورة الفلسطينية الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد الملقب بأبي كمال (من ذنابه ـ طولكرم) .

٥ ـ أنشودة التحرير

إنَّ أيامَنـا ابتسامـةُ ثَغْـرٍ　　لم يَدْرْ مثلُها بثَغْرِ الدّهورِ
نشَرتْ ميِّتَ الأماني وأحيت　　أملاً عارماً بقلب كسيـرِ
فَرِحَ الكونُ حيث لاحت على　　الدهرِ وريعت مُمَرَّداتُ القصورِ
ذاك أن الظلوم يكره فجر الحـ　　ـق كيلا يزول ليل الفُجورِ
قوم طه بين الخلائـق قومٌ　　قد أعدوا لكل أمر خطيرِ
قومُ حُريَّةٍ أعدَّهُـمُ اللـ　　ـه ليتلوا رسالة التحريـرِ
في عبيدٍ يصُبُّ كسرى عليهم　　سوطَـه ظالماً وَجَـامَ نكيرِ
فاستجار الحقُّ المضيعُ بالعُرْ　　بِ فكانوا الغِياثَ للمستجيرِ
صَرَفَتْ شدّةَ الجوارحِ فيهم　　في الطريق السَويّ تَقْوى الصدور
فروى عنهُـمُ الزمانُ حديثاً　　ضَمَّخَتْـهُ فعـالهمْ بالعبيـرِ
لم تَكُ القادسيّـةُ الشهيرةُ إلاّ　　أسطراً في سِفْرِ عزٍ شهيـرِ
هي لغز الألغازِ كيف يكون　　القِلُّ نصراً على العديدِ الوفيرِ
غير أنّ الإيمان بالحقِ والـر　　وح جديرٌ بالنصرِ جدُّ جدير
واجتماع القلوبِ أضمن للأمـ　　ـر المرجَّى من الشتيتِ النثيرِ
عبرة ليتنا قد قبسنا النـو　　ر منها في مُدْلَهِمِ الأمـورِ
حين صرنا إلى الخلافِ فَقَدْ　　نا سَرْبَنا ضَلَّةً لسوءِ المصيرِ
من جديب الصحراءِ أوفى علـ　　ـينا الخصب من فيضِ حق وخير
والخصيبُ الغني إن يَفقـد　　الإيمانَ والروحَ فقيرٌ وأيُّ فقير

من صميم الصحراءِ طافت علـ ـى الأرضِ تزيح الدجى مشاعلُ نور

فأنارت ديجور أفئدةٍ عُمْـ ـي كانت تهيم في ديجور

نحن لم نحمل السيوف لهَدْرٍ بل لإحقاقِ ضائعٍ مهدورِ

نحن لم نحمل المشاعل للحَرْ قِ ولكن للهَدْيِ والتنويـرِ

نحن لم نطعن الضمير ولكن بقنانا احتمى طعينُ الضميرِ

كان فينا نصرُ الضعيف المُعَـ ـنَّى وانجبارُ المحَطَّمِ المكسورِ

ورحمنا عجزَ الشيوخِ وضعفَ الطفلِ والعرضَ عرضَ ذاتِ الخدور

ورثينا للعبد يُرغمهُ الذُّ لُّ وللحرّ في قيدِ الأسيرِ

وشَفِقْنا على العقولِ فَحَلَّقْنا في سماء الخيال والتفكير

وأبحنا للناسِ ما هوى النا سُ من الطُّرْقِ إلا طرائقَ الشرِّ

وسعت دارنا صُهَيباً وسلما نَ ولـبَّتْ بلالَ بالتكبيرِ

تلك أيد لنا سَبَقْنَ على الإ نسانِ لكن يا ويحه من كفورِ

عَقَّ كفاً كم للمتْ من جرا حِ وأسَتْها وكفكفتْ من غزير

★ ★ ★

أمَّتي إن تَجُرْ عليكِ الزعاما تُ فلا تيأسي ذريها وسيري

إنها إن تَسُؤْ تَشُلَّ قوى الشعـ ـبِ وتبلو الإقدامَ بالتأخيرِ

فتضيعُ الرياح أدراجها الجهـ ـدَ على شمألٍ وصوْبَ الدّبورِ

وتُلهِّيّ الشعبَ المُضَلَّلَ بالسُّخـ ـفِ وتُشغلهُ تُرهَّاتُ الأمورِ

★ ★ ★

أمتي إن تجر عليك الزعاما تُ فلا تيأسي ذريها وسيري

خوف أن يُقْسِمَ المُقَسِّمُ بالحظ بأدنى مقـدر مقـدورِ

كنتِ خيرَ الوجودِ قد شهد اللـ ـهُ وأحرى الأنام في أن تصيري

القديمُ الجميلُ ريشُ جناحيكِ فَرِفّي في العالمين وطيري

أمتـي رتلي السلام على الأر ضِ وغنّي أنشودة التحريرِ

رتّلي سورةَ السلامِ على الأر ضِ وغَنّي أنشودةَ التحريرِ

---

* ــ ألقاها في المهرجان الذي أقيم في حيفا لإحياء ذكرى معركة القادسية:

**ــ نقلاً عن مخطوطة كذلك: نشرت في مجلة «الغد» ــ ١٠ / ٨ / ١٩٤٥.

٦ ـ نداء الوطن

دعا الوطنُ الذبيحُ إلى الجهادِ ... فطار لفَرْطِ فرحتـهِ فؤادي
وسابقتُ الرياحَ ولا افتخـارٌ ... أَلَيْسَ عَلَيَّ أن أفدي بلادي
حملتُ على يدي روحي وقلبي ... وما حَمَّـلتها إلاّ عتـادي
وقـلتُ لمن يخاف من المنايـا ... أتَفْـرَقُ من مجابهة العوادي؟
أتقعدُ والحمى يرجوك عَوْنـاً ... وتجبنُ عن مُصَاولَةِ الأعـادي
فدونك خِدْرَ أُمِكَ فاقتعـدهُ ... وحسبُكَ خِسَّةً هذا التهَادي
فللأوطـان أجنـاد شِداد ... يكيلـون الدمـارَ لأيّ عادِ
يُلاقون الصعابَ ولا تَشاكي ... أشَاوسُ في ميادين الجـلاد
تراهم في الوغى أُسْداً غِضاباً ... مَعَاويناً إذا نادى المنـادي

★ ★ ★

بنى وطني دنا يوم الضحايا ... أَغَـرَّ على ربي أرض المَعَـاد
وما أهلُ الفداء سوى شباب ... أبـيّ لا يقيم على اضطهـاد
ومن للحرب إنْ هاجتْ لظاها ... ومـن إلاّكُمُ قدحُ الزنـاد
فسيروا للنضال الحق ناراً ... تُصَبُّ على العدى في كل وادِ
فليس أحَطَّ من شعبٍ قعيدٍ ... عن الجُلىّ وموطنـهُ يُنـادي

بنى وطنـي أفيقـوا من رقـادِ ... فما بعد التَعَسُّفِ من رقـاد
قفوا في وجه أي كانَ صفـاً ... حديـداً لا يؤول إلى انفـرادِ
ولا تَجمـوا إذا اربـدتْ سماءٌ ... ولا تهنـوا إذا ثارت بوادي
ولا تقفوا إذا الدنيـا تصَدَّتْ ... لكـم وتكاتفـوا في كل نادِ
إذا ضاعت فلسطيـنٌ وأنتـمْ ... على قيدِ الحياةِ ففي اعتقادي:
بأن بنـي عروبتـا استكانـوا ... وأخطأ سَعْيُهمْ نَهْجَ الـرشادِ

* ـ قيلت في حفلة الوداع التي أقامها العقيد الركن طه الهاشمي للكتيبة الأولى من المناضلين الذين أنهوا تدريبهم في معسكر (قطنا) قرب دمشق وكان الشاعر من بينهم . حيث توجهوا إلى فلسطين في ربيع ١٩٤٨ .

٧ ـ بين الشرق والغرب

قومي لأنتمُ عِبْرةُ الأقـوامِ ... هل تُنسبونَ ليافثٍ أو سامِ
أبناءُ عمي من نزار ويعرب ... ليسوا بأغرابٍ ولا أعجـامِ
يترسَّمون الغرب حتى يوشكوا ... أن يعبدوهُ عبادةَ الأصنامِ
ما قلَّدوهُمْ مبصرينَ وإنمَّا ... تبعوا نظامَهُمُ بغيرِ نظـامِ
للغربِ عادات كغازاتٍ سَرَتْ ... في الشرقِ مسرى الداءِ بالأجسامِ
لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم ... حربٌ تقنعَ وجهُهـا بسلام
حرب على لغةِ البلادِ وأهلِها ... ليست تشن بمدفعٍ وحُسامِ
والشعب إن سلمت له أوطانه ... ولسانُهُ لم يخشَ قطْعَ الهامِ
لا أعرف العربي يلوى فكَّهُ ... إن هَمَ يوماً فكُّهُ بكـلامِ
إن فاه تسمع لكنة ممقوتةً ... من فيـه سكْسونيـةَ الأنغـامِ
لفظاً من الفصحى وآخرَ نابياً ... كالغاز ممزوجاً بكـأس مُدامِ
لهفي على الفصحى رماها معشر ... من أهلها شُلَّتْ يمينُ الرامي
لم يهتدوا لكنوزها فإذا بهمْ ... يَرْمونها بالفقـرِ والإعـدامِ
الدر في طيّ البحور مُخبَّأً ... والتبر إن تَنْشُدْهُ تحت رَغامِ
لن يستعيد العرب سالف مجدهم ... ولسانهم غرضٌ لرَمْي سهامِ
أن يرفعوا ما انقضّ من بنيانهم ... فالضادُ أوَّلُ حائطٍ ودعامِ

★ ★ ★

إن يَزْهُ شرقيٌّ بغيرِ العُرْبِ مِنْ ... أجـداده الأتـراكِ والأروامِ
فأنا الفخور بأنني لا ينتمي ... للعجْمْ أخوالي ولا أعمامي
إن تسألوا عني: إلى من أنتمي ... فإلى رعاةِ النوقِ والأنعـامِ
أبغيرِ مجدِ بني نزارَ ويعربٍ ... يُزْهى عراقيٌّ ويفخرُ شامي؟

٨ ـ وعد بلفور

○ مع الترك

العُرْبُ ما خضعوا لسلطة قَيْصَرٍ ... يوماً ولا هانـوا أمَامَ تَجَبُّرِ
لا يصبرون على أذى مهما يكن ... والحُرُّ ان يُسَمِ الأذى لم يصبر
والترك قد كبروا وإنّا معشرٌ ... كُبْرٌ وفوقَ تكبُّرِ المتكبـرِ
وإذا به أمـر نبيتـه لهم ... تحت الأسنة والقنا والسَّمْهري

★ ★ ★

○ مع الحلفاء

وأتى الحليفُ وقام في أعتابنا ... مُتَحيّراً إنّا هُدى المتحيِّـر
واستنصرَ العربَ الكرامَ وإنهمْ ... غوثُ الطريد ونصرةُ المستنصر
وإذا عتاقُ العرب تُوَرِي في الدجى ... قدحاً وتصهل تحت كل غضنفر
وإذا السيوف كأنهن كواكب ... تَهْوي ـ تَلامَعُ في العجاجِ الأكدر
رجحتْ موازين الحليف ومن نَكُنْ ... معه يُرَجَّح بالعظيمِ الأكثر
وبَنَتْ له أسيافُنا صَرْحاً فلم ... يحفظْ جميلَ العُرْبِ يا للمنكرِ
في ذمة الرحمن صرعى جُدِّلوا ... وعلى ثرى بدمِ الرجالِ مُعصفر

★ ★ ★

○ الجـزاء

غدر الحليف وأي وعدٍ صانهُ ... يوماً وأيةَ ذمّةٍ لم يَخْفُـر
لما قضى وَطَراً بفضل سيوفنا ... نسى اليد البيضا ولم يتذكر

وإذا الدمُ المهراقُ لا بمُراقِهِ　　جدوى ولا بنجيعه المتحدر

★ ★ ★

○ أيها الحليف

ياذا الحليفُ: سيوفُنا ورماحُنا　　لم تَنْثَلِمْ فاعْلَمْ ولم تتكسَّر

بالأمس أبلت في عداك وفي غدٍ　　في كل قلب غادر متحجِّر

تغلي الصدور وليس في غليانها　　إلا نذيرُ العاصف المتفجر

ولقد تصبَّرنا عليك فلم نُطِقْ　　منك المزيدَ ولاتَ حين تَصبُّرِ

هذي البلاد عرينُنا وفدىً لها　　من ولد يَعْرُبَ كلُّ أُسْدٍ هُصَّرِ

* ـ كتبها في نابلس عام ١٩٣٥.

٩ ـ ذكرى الزمان

ـ ١ ـ

هاتِ من ذكرى زمان العزّ هاتِ　　حبب الماضي لي ما هو آتِ

يا زماناً كلما ذَكَّرتُهُ　　ذهبتْ نفسي عليه حَسَراتِ

حينما كنا غُصَّةً غَصَّ بها　　صدر أعدانا وشوكاً في اللهاة

تلك أيام تقضت　　هل لها من رَجَعاتِ

ليتها لما تقضت　　قد قضت فيها حياتي

ـ ٢ ـ

هاتِ حَدِّثْ حين كنا لهباً　　صَليَ المُحرِقَ فيه كل عات

حين هال الكون منا ما رأى　　من إباء ومضاء وثبات

لَفَتَ الدهرَ زئيرٌ رائعٌ　　ورأينا ذُعْرَهُ باللفتات

ذاك عهد فارو عنه　　ما إذا يروى يَهُزُّ

هاتِ للسامع منهُ　　فَبِهِ مجدٌ وعِزُّ

ـ ٣ ـ

غضبة للحق كانت حبذا　　عيشةُ المرء مَحُوف الغضَباتِ

هَبَّةٌ للثأر كانت إننا　　لذوو بطش شديدو الفتكات

لم نطق خسفاً ولم نصبر على　　عيشة الذل ولا كِبْرِ العُداة

نحن أذللنا الوجودا   نحن للكِبْر مَثَلْ
وإذا رُمْتَ شهودا   فَسَلِ التاريخ سلْ

— ٤ —

صيحةٌ كانت فهاجت ساكناً   نفحةٌ لله حلَّتْ بمواتِ
أصغت الدنيا لنا وامتلأتْ   أذناها بِدَويّ الزمجراتِ
عزّت العرب وعزّتْ دارُها   تنبت الآساد فيها كالنباتِ
أمة ليست تهونُ   ولها متــنٌ أزَلْ
أرضها غابٌ مصونُ   وحرام لا يَحِلّ

— ٥ —

قد عجمتم في الوغى أعوادنا   فإذا أعوادنا جدُّ قُساةِ
فاليكم أو لمّا تعلموا   يا بغاةً أننا رُغْمَ البغاةِ
يعرب أوصى بنيه أنه   دون حوض العار أحواض المماتِ
قد عجمتم وامتحنتم   أو لم تدروا اليقينا
قد أبينا حين شئتمْ   (أن نُقرَّ الذلَّ فينا)

— ٦ —

قد وقفنا أو لمّا تذكروا   لبني يعرب تلك الوقفاتِ
ورميتم لا حديدٌ نافعٌ   حين ترمون ولا النار تُؤاتي
هكذا الحقُ على قِلّتِهِ   صادقُ العزم وَثَبْتُ الخطواتِ
وهوى الباطل صعْقاً   إنه كان زهوقا
إن من كان مُحِقًّا   كان بالنصرِ حَقيقا

— ٧ —

لم تزل أسيافنا مسلولةً   للعوادي ماضياتِ الشفراتِ
فلقتْ هامَ الألى من قبلكمْ   وهي في هاماتكم في المقبلاتِ

قد بلوتم من شباها ضربةً   تقصم الظهر وتغدو بالحصاةِ
فَلْيَرَ الظالمُ حَدَّه   وليقف لا يَتَعَدَّه
إنَّ من صَعَّرَ خَدَّهْ   تتــولى نحن رَدَّه

— ٨ —

أيها العرب وأنتم أمــةٌ   لم تنم يوماً على سَوْمِ الأذاة
قد تصبرتم طويلاً فاغضبوا   وتأنيتم كفى لاتَ أناة
فاتكُمْ بالحلم بعض المبتغى   فتلافوا بعضَهُ قبل الفواتِ
مَنْ دَجا بالظلم ليلهْ   فَلْيُنِــــرْهُ بالحرابِ
من شكا قيداً فَحَلَّهْ   عند أطرافِ العِضاب

— ٩ —

أيها العرب وأنتم أمةٌ   مَضْرِبُ الأمثالِ في أخذ التراتِ
أتقيمون على حَمْلِ الأذى   أيها العربُ وإيعادِ الجناة
دونكمْ فانتقموا إنَّ الدّما   تطفىء الغُلَّ وتُدْني الرغبات
الدم الأحمر أشفى   بَلْسمٍ عندَ المُلِمَّه
الدما تجرِفُ جَرْفا   صاحبَ الظلم وظُلْمَهْ

---

* ـــ نشرت عام ١٩٣٩ : أنظر : مجلة «الأماني» ـــ عدد ٤٤ ـــ عام ١٩٣٩ .

١٠ ـ إلى كل مُتَهاود

يا من تَوَلَّــهَ بالحبيـــــب هناك قد رَجَعَ الحبيبُ
لقـــد انتظـــرت إيابَـــهُ شوقاً فها هو ذا يؤوبُ
في جيبــه لُعَبُ الهوى يلهو بها الصَبُّ اللعَوب
لك في حقيبتــه نصيــــبٌ فاخرٌ بئسَ النصيب
فلتنتظـــر غداً الكـــرا سي وغــــداً قريبُ

★ ★ ★

يا شعب يا مسكينُ لم تُنْكَبْ بنكبتكَ الشعوبُ
قَلَّدتَ أمرك مَنْ بِهِمْ لا يرجع الحقُ الغصيبُ
لهفي عليك ألا ترى يا شعبُ حولَكَ ما يَريبُ

* ـ قالها إثر عودة (المندوب السامي على فلسطين) السير آرثر واكهوب(Arthur Wakhope) من لندن ومعه مشروع المجلس التشريعي ـ سنة ١٩٣٦.

١١ ـ أيام النضال

كَشِّري ما شئتِ يا سودَ الليالي فأبو الطيِّبِ[١] لا يخشى العَوالي
إن تقاعستُ عن الحرب فإني مجرمٌ يَقْعُدُ عن شأْوِ المعالي
غايتي ألقى المنايا عاجلاً في مجال العلم أو ساحِ النضال
فابسمي يا أمَّ[٢] عبدٍ إنَّهُ زُفَّ للحور وولّى للأعالي

١ ـ أبو الطيب: كنية الشاعر. وللشاعر عبد الرحيم محمود ثلاثة أولاد: الطيّب ـ طلال ـ رُقيّة.
٢ ـ أم عبد: هي لطيفه والدة عبد الرزوف حمزه.
٣ ـ مساجلة شعرية بين الشاعر وابن أخيه عبد الرؤوف حمزه محمود. قال عبد الرزوف الأبيات التالية:

آه ما أعذب أيام النضال وأحيْلى الموت في نيل المعاني
لا تقُلْ لي وأنا أغشى الوغى حاذر الرَّمية تسْلَمْ في النضال
رُبَّ ساعٍ لمْ يمُتْ في سعيه وقعيد مات في غير نضال
ما جمالُ العيشِ إلا وقفةٌ في سبيل الحقِّ والرأي المثالي

فرد عليه عبد الرحيم محمود بالأبيات أعلاه.

١٢ ـ الغد

أراها تَمثَّلَ في خاطري ... وقد أبدعَ الفنُّ ألوانَها

وروحُ الحياةِ بأرجائها ... تدِبُّ وتُلهِمُ فنّانَها

ففيها الجمال وفيها الضياءُ.. ... أهلَّ يُسَوِّرُ أركانَها

هو الغدُ لوحُتُكمْ يا شباب ... فشدوا العزائمَ ـ شُبَّانَها

خذوا ريشة الفن خُطّوا لنا ... سهولَ البلادِ ووديانَها

مِنَ الدمِ خُطّوا رؤوس الجبال .. ... وهامَ الروابي وكثبانَها

منَ العَرقِ العَذْبِ رَوُّوا السهولَ.. ... ورَوْضَ البلادِ وبستانَها

هو الغدُ لوحتكم يا شباب ... فخُطّوا من العزمِ عنوانَها

غدٌ لَوْحَةٌ في أيادي الشبابِ ... فلا تُسْلِموا الأمرَ عُمْيانَها

— أنظر مجلة «الغد» المقدسية ـ ٦ / ٧ / ١٩٤٥ . والقصيدة مهداة لمجلة « الغد » . وهي مجلة تقدمية أصدرتها رابطة المثقفين العرب . وكان يرأس تحريرها الشهيد مخلص عمرو .

١٣ ـ الحنين إلى الوطن

تلك أوطاني وهذا رَسْمُها ... في سويداء فؤادي مُحْتَفَرْ

تتراءى لي على بهجتها ... حيثما قَلَّبتُ في الكون النظر

في ضياء الشمسِ في نورِ القمر ... في النسيم العذب في ثغر الزهر

في خرير الجدول الصافي وفي ... صَخَب النهر وأمواج البحر

في هَتونِ الدمع من هَوْلِ النوى ... في لهيب الشوق في قلبي استعر

دَقَّةُ الناقوسِ معنىً لها ... واسمُها ملءُ تسابيح السحر

فكرةٌ قد خالطت كل الفكرْ ... صورةٌ قد مازجتْ كل الصُّوَرْ

هي في دنياي سرٌّ مثلما ... قد غدا اسم الله سرّاً في السُّوَرْ

★ ★ ★

يا بلادي يا منى قلبي إنْ ... تسلمي لي أنتِ فالدنيا هَدَرْ

لا أرى الجنة إن أدْخِلْتها ... وهي خِلْوٌ منكِ إلا كسقر

منيتي في غربتي قبل الردى ... أن أَمَلّيَ من مجاليكِ النظر

ظمئت نفسي لمغناكِ فهل ... يطفيء الحرقة بالعَوْدِ القدر؟

فَيُصَلّي القلب في كعبته ... وتضم الروح قُدْسيَّ الحَجر

وتَمُرّينَ بيمناكِ على ... جسد أضناه في البعد السهر

ويغني الطير في أشجاره ... نغماً يُرْقِصُ أعطافَ الشجر

خبر تنقله ريحُ الصَّبا ... ويذيع الزهر أنغام الخبر

ويلاقي كلُ إلْفٍ إلفَهُ ... ويلُمَّانِ الشتيتَ المنتثر

★ ★ ★

يا بلادي أرشفيني قطرةً ... كلُ ماءٍ غيرَ ما فيكِ كدر

ليت من ذاك الثرى لي حفنةً   آتملىَّ من شذا التُربِ العَطِرْ

* ـ كتبها وهو في البصرة ـ العراق عام ١٩٤٠ .

**ـ في البيت ١١ : «البصر» في طبعات أخرى. (أنظر : أبو يوسف الكافي : الرأي العام الكويتية ـ ١٥ / ٨ / ١٩٦٣) .

١٤ ـ سياستُنا تَسالٍ !!

وقالـوا: قادةٌ خلقـوا شعوبـاً   ولو عكسوا لكان الأمر أولى

فنحن الشعبَ إن رُمنا انطلاقاً   وجدناهم لدى الأزمات غُلاً

أضلّونـــا عن المثلى وتاهـــوا   وما كانوا ليَهدُوا الناس مُثلى

فكـم فعلٍ لهم عبثٌ ولهْوٌ   وكم قولٍ لهمْ ما صحَّ عقـلا

تَعقَّـدَ أمرُنـا بهمُ وأضحـــى   كذيل الضبّ يُعْجِزُ أن يُحَلاّ

وكان الشعب سيفاً ذا مضاءٍ   فَثُلِّـــمَ حدُّه منهم وفُـــلاّ

أسودٌ في مجال القول، حُمْرٌ   منفَـرةٌ لدى حربٍ وجُلـــىّ

يُهـدَمُ بعضهـم بعضاً ويبني   على جثثٍ له قصراً مُعَلـــىّ

وليس يُضيرهم ، وهُمُ بخيرٍ،   إذا ما الشعب في نار تقلّى

بعُرفهمـــو سياستنـــا تسالٍ   فمـن لم يلـق إلاّها تَسَلـــىّ

وما الخُطَب الطوالُ الخُمْسُ إلاّ   مصايد للظهـور، ولـيس إلاّ

وإلاّ، ما الـذي أورى زنـاداً   لخُلـفٍ بينهم والشعبُ يُجْلى

لعمرك ما نووا يومـاً صلاحـاً   وهم في الناسِ أشباه القِرِلىّ

فإن تَرَ عينُـــه شراً تَعَلـــىّ   وإن تر عينُـــه خيراً تَدَلـــىّ

ومن عجبٍ بقـاء ثقيـل ظلٍّ   عليك، فلا يَريـمُ له مَحَـلاّ

* ـ نقلاً عن مخطوطة كتبت بخط يد الشاعر.

** ـ نشر جزء من القصيدة في جريدة «الاتحاد» ـ حيفا، عدد ١٢ ـ في ١٤ / ٨ / ١٩٤٦ : (المخطوطة) .

***ـ **تفسيرات من الشاعر : الغُل**: القيد. **ذنب الضب**: يضرب به المثل في التعقيد. **حمر منفرة**: تشبيه قرآني يقال في القوم الرعاديد الجبناء. **جُلىّ**: شدة. **القِرِلىّ**: طائر شديد الحذر يضرب به المثل لذي الأثرة فيقال: فلان كالقرليّ. إن رأى شراً تعلىّ وإن رأى خيراً تدلىّ. **يريم**: يترك.

١٥ ـــ رأيتُ فقلتُ ...

رأيتُ يومــاً أمّـــةً   يسوقها سوق الحُطَمْ
مُحكَّمٌ يحسب وقــع السوط والــعصا نَغَــمْ
يطربـــــه أنــــينها   ونوحهـا، من الألـمْ
إن لم يجد لحمــاً لها   يأكلـــه، عبَّ بدمْ
يرفــل من شقائهـــا   بثــوب عزّ ونِعَــمْ
والأرض من «بكائه»   تزلـزلتْ مع الحَــرَمْ
مدينـــةً فقريــــةً   سـلّمها بلا شَمَــمْ
ومظهــراً هو «الأميــرُ»، باطنــاً هو القــزمْ
أمــا الملــوك الآخرونَ فأعفنــي من الكَلِــمْ

★ ★ ★

عاش على حرمــانها   وأسْلَسَتْ ولم تُهَــمْ
ولم تَثُــرْ ولم تُجــرّعْهُ مرارَ ما اجتَـــرَمْ
فقــلت هذي أمــةٌ   من بشرٍ أمْ من غنَمْ؟

★ ★ ★

رأيتُ يومــاً للخطابـــات زعيمـــاً قائمـــا
قد جمعَ الناس لكـي.   يُسمعهـــم شتائمـــا
وصبّ في آذانهمْ   من عنـــده مزاعمـــا
وراح يهوي معــــولاً   للمكرمـــات هادمـــا
أيقـــظ فيهم فتنـــةً   وهــاج حقداً نائمـــا

وبثّ في نفوسهــــم   من نفسه سخائمـــا
وَقَسَّمَ النـــاس لدى   خوض الوغى قسائمـا
ولم يبـــالِ إن يمو   توا كي يظـــل سالما
وأن يغــوصوا في الرزايـــا ويظـــل عائمـــا
هو الأمين ظاهـــراً   وباطنــاً هو العمـــى
فقـلتُ: حتّامَ سيبقـــى الشعب ليس فاهما؟!!

★ ★ ★

رأيتُ يوماً.. قاعـداً   إن سارت الناس قَعَدْ
كأنــــه مُكتّـــفٌ   ربيطُ حبلٍ من مَسَدْ
يغــطُّ في رقدتـــه   والخطْبُ صحّى من رَقَدْ
غرقــانُ، يدني حُلمَـه   جزرٌ ويُقْصي عنه مَدّ
يصيـــحُ: إني أسَدٌ   ومالَـــهُ نابُ الأسَدْ
وكـــلّ يومٍ حذْه   يُؤتَى ولا يحفظُ حَدْ
ولم يُجهّـــزْ عدداً   ولم يَصُغْ له العُـدَدْ
ولم يَسِرْ في جَدَدٍ   فيهتــــدي لما يَوَدْ
ينظر للغيب لعــلّ الغــيب يعطيـه المَـدَدْ
وخطبـــةً فخطبـــةً قال ولمَّـــا يرتعـــدْ
فقلتُ: إن لم تستفقْ   يا شعب يوماً تُفْتَقَـدْ

* ـــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر. + صورة عن مخطوطة أخرى بخط يد الشاعر أيضاً.
**ـــ في رواية أخرى: البيت رقم ٣٤:
فقــلتُ إن لم تولـــه   نفسك لا يولِ أحَـــدْ.

١٦ ــ المسجد الأقصى

نجمُ السعود وفي جبينكَ مطلعُهْ ... أنّى توجه ركب عزّك يتبعُهْ
سهلاً وطئتَ ولو نزلتَ بمُمْحِلٍ ... يوماً لأمرع في نزولك بَلقعُهْ
والقومُ قومُكَ يا أميرُ إذا النوى ... فرّقتْهُ أحلام العروبة تجمعُهْ
سالوا إليك وكل قلب حُبُّهُ ... يحدو به شوقاً إليك ويدفعُهْ
كل امرىء أصغى إليك فليتَهُ ... تعبٌ بما أصغى إليك واخدعُهْ
ويرددون الطرف فيك محبّةً ... فيغضه نور الجلال ويرجعُهْ
يغضى لديك مهابة. هيهات أنْ ... يجد الشجاع لديك شيئاً يشجعُهْ

★ ★ ★

إن العفاة لهم بجودك مرتعٌ ... والسيف في هام الأعادي مرتعُهْ
كم خائن طلب الخروج فهالَهُ ... عزم الأمير ولم يسعه موضعه
كالليل أنت وليس من إدراكه ... بُدٌّ، وليس لمنتأى ما يوسعُهْ
فثنى رفادة هل علمتَ بحالهِ ... ما يومه؟ ما شأنه؟ ما مصرعُهْ؟
المطمعوه رد كيد صدورهم ... ومشى به نحو المنية مطمعُهْ
النصر للحق المبين وللذي ... هو في الوغى ثبت الجنان وأصمعُهْ

★ ★ ★

مثل الأمير ولست من مدّاحه ... عجزاً يقلّ لديَّ ما قد يسمعُهْ
لك في الفؤاد مكانة قدسية ... واسمٌ نقيشٌ فيه لسنا ننزعه
العرب جيش لا يفل عرمرمٌ ... وأبوك في هذا العرمرم تُبّعُهْ
علقت به الآمال هذا حبنا ... هذا الوفاء إلى سمائك نرفعُهْ

شرع العروبة لا نني عُبّاده ... وسواه ــ لا وجلالكم ــ لا نشرعُهْ

★ ★ ★

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر ... ضمّتْ على الشكوى المريرة أضلُعُهْ
المسجد الأقصى. أجئتَ تزوره ... أم جئت من قبل الضياع تودعُهْ؟
حُرَمٌ تُباحُ لكل أوكَعَ آبقٍ ... ولكل أفّاقٍ شريدٍ أربُعُهْ
الطاعنون. وبوركت جنباته ... أبناؤه، أعظم بطعنٍ يوجعُهْ
وغداً، وما أدناه لا يبقى سوى ... دمعٍ لنا يهمي وخدٍّ نقرعه
ويقرب الأمر العصيب أسافلٌ ... عجلوا علينا بالذي نتوقعُهْ
قرم تضل لدى السداد حصاته ... ويسيطر العادي عليه ويخضعُهْ
صِحْ يا أمير به فَرُبَّتَ صيحةٍ ... من فيك تجدي إن تشاء وتنفعُهْ
سل سادني الأقصى: أقوم مجمع ... في الحرب أم متنافر لا تجمعُهْ
سل سادني الأقصى: أيُعْهَدُ لامرىءٍ ... عَهْدٌ أمام الله ثم يُضَيَّعُهْ
شكوى وتحلو للمضيم شكاته ... عند الأمير وأن ترقرق أدمعُهْ
سِرْ يا أمير ورافقتكَ عناية ... نجم السعود وفي جبينك مطلعُهْ

---

* ــ نقلا عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** ــ ألقيت في «عنبتا ــ فلسطين» ــ أمام الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود، حين زارها يوم الخميس في ١٤/٨/١٩٣٥.

*** ــ للقصيدة ــ في عدة مخطوطات ــ عدة عناوين منها: «المسجد الأقصى» ــ «نجم السعود» ــ «سل سادني الأقصى». وقد رجّحنا عنوان «المسجد الأقصى» على غيره، لتكراره أكثر.

١٧ ـ روضٌ.. وإنّي عندليبُه

روضٌ وإنيَ عندليبُهْ   يوحي ليَ المعنى رطيبُهْ
ربّى على حُسْنِ الوفا   ء ربيبَه فَوق ربيبُهْ
لي كلِّ يوم فيه شعرٌ سائرٌ شتى ضُروبُهْ
ويرّن في جنباته   من لحني المُوحى طَروبُهْ
نورٌ قبست قصائدي   منه فشاع بها لهيبُهْ
ورمت أشعتُهْ ظلام الجهل فانهتكتْ حُجوبُهْ
صَرْحٌ تهزّأ بالزمانِ ولم تنَلْ منه صعوبُهْ
مَرّتْ به كَلمْى خَواسِرَ أنْ تهدّمَه حُقوبُهْ
فامتازَ من حَسَدٍ ظلومٌ، وَدَّ لو قُطعتْ سبوبُهْ
ليسود في الناس العمى   ويسود مِنْ جهْلٍ غبوبُهْ
والظلم هذا دابُهُ   في الغدرِ ليس يَني دَؤوبُهْ
وسياسة التجهيل سيفُ مُصْلَتٌ تُرْدي نُدوبُهْ
والبغي أبطش إن يكن   فقراً وتجهيلاً حروبُهْ
فالسيفُ قامَ حريبُه   والجهل لم يُبعث حريبُه
إنْ لمْ تُربْ شعباً جهالتُه فما شيءٌ يُريبُهْ
والعزّة القعساءُ بنتُ العِلم غَذّاها حليبُهْ
والسيف لا يجدي بلا   عقلٍ يُصرِّفُهُ لبيبُهْ
والجاهلون إذا وَلُوا   أمراً تَشِتُ بهم دروبُهْ
يتخبطون فلا الخطا   ءُ لهم يَبِينُ ولا مُصيبُهْ
كتخبط الأجناد في   جلل وقد أوفى عصيبُهْ

يتنابزون ونحن ننتظر الجلاءَ دَنا رهيبُهْ
باتوا على ليل الخصا   مِ وشعبُهم قلقتْ جُنوبُهْ
أزجوْا إلى حَرْب بقَوْ   مِهِمْو مُفرّقةً حُروبُهْ
فدنا من الخطر القصيِّ   وضاع مِنْ أمل قريبُهْ
والخطب لا يُلْقى بأحزابٍ إذا يَدْهو خريبه
إنّا تذوقنا الخلافَ فلِمْ ترانا نستطيبُهْ
والخُلْفُ بُوم الشؤم في الدنيا وينعانا نعيبُهْ
هل منبرٌ يا ناسُ للإصلاح يدعونا خطيبُهْ
ويلمّ شَملَ قلوبِ قوم أصبحتْ شتّى قلوبُهْ
ويعيد ذاهبَ مظهرٍ   يُودي بأجمعنا ذهوبه
فيقابل الناسُ الزمانَ وما خَفتْهُ لهم عيوبُهْ
يا قومُ صاح بنا الصريخ فما لَنا لا نستجيبُهْ
وجميعنا يدري التفرُّقَ في الشدائد ما عيوبه
ما فاز قومٌ بينهم   خُلفٌ يدّب بهم دبيبه
والخُلْفُ حالَ يونسُ الهمّات من قصدٍ كثيبه
مرضٌ لشقوتنا تأوَّفنا أذاه فمن طبيبُهْ؟
من ينقذ الوطنَ الحبيبَ رماه في البلوى حبيبُهْ
فيك الخلاصُ أيا شبابُ وقد تخاذل عنه شيبُهْ
أنقِذْهُ أنت فخيرُهُ   لك دونهم وعليك حوبُهْ
كن سيفَه في النائبات وتُرسَه مما يُصيبُهْ
واعنُفْ فلم يرجعْ بغيرِ العنف من حق سليبُهْ
إلبِسْ حديداً في النضال يزِنْكَ في الدنيا قشيبُهْ
ما عاشَ ما بين الوحوش مُسالماً قَصُرَتْ نيوبُهْ
والقيدُ ليس له سوى   نارٍ مؤججةٍ تذيبُهْ
والظلْمُ يجرفه الدم المهراقُ في حربٍ صبيبُهْ

فافهمْ ولا يَخْلبكَ من غدرٍ لشريــر خلوبُــهْ
واعلمْ ولا يخدعْكَ من وعدٍ ومن عهدٍ كذوبُهْ
واغضبْ لعرضكَ إن ثُلبت يخفْك من غضب ثلوبُهْ
كنْ ذئبَ فتْكٍ في الوجودِ وإن وَدُعْتَ فراكَ ذيبُهْ
واهجمْ على الميدان لا تُرْعَبْ فما أجدى رعيبُهْ
غامِــرْ فإني قد رأيتُ العِــزَّ بُحزمِــه هيوبُـــهْ
إنّ الشباب لظىً يُحَرِّقُ دوحةَ العادي شبوبُــهْ
والعاصف السَّفّــاعُ يهدم قبــةَ الباغــي هبوبُــه
إن قال كانتْ زأرةً فيضيق بالطاغي رحيبُهْ
أوْ صالَ كانت فتكــةً فيلين من قاسٍ صَلوبُهْ
هذا الشبابُ!! جحيمُه لعدىً وللقُربى شنيبُه
ذو مِرّةٍ سجــدَ الزمــانُ له مُسلّمــةً خطوبُــه
غيثٌ به يزهو الحمى ويُغِلّ من عملٍ جديبُهْ
هذا الشبــابُ!! نَسَبْتُ وخير تقصيــدي نسيبُـهْ
كونوه يا وِلْـدَ النجاح فقد أهاب بكم مهيبُــهْ
لا لا تدوروا كالرحى في معشرٍ أنتمْ قطوبُــهْ
لا تُرجعوا مثلَ الصدى كلماً تملككمْ صخوبُهْ
أدّوا رسالاتِ الشبــــاب الحرّ حاشاكمْ مَعيبُــهْ
روضُ النجـــاح ثمارُه هذي نضحن وذاك طيبُهْ
روضٌ وإنّيَ عندليبُــه يوحي إلى روحي رطيبُهْ

— ألقيت بفندق فلسطين في حفلة توزيع الشهادات على الطلبة الخريجين بكلية النجاح الوطنية في نابلس.. بتاريخ (٣/٦/١٩٤٥).

** — نقلا عن نسخة بخط يد الشاعر.. وصورة عنها.

١٨ — ذكرى ثورة دمشق

أبَتْ رِقّاً وحطمت الصفادا وسارت فوق أمجادٍ تهادى
وناداها من التاريخ صوتٌ فلبّتْ لا تقاعسَ حين نادى
ومـا سوريــةٌ إلا رقــاةٌ رقَتْ عزّاً وعوذت التـلادا
وفيها قبسةٌ من عبــد شمسٍ ومـن غسّان تهديها السَّدادا
تريــد وإن قصا عنها مرادٌ أنـالتها ضحاياهــا المرادا
وتُقْدِمُ لا تبالي حين تلقى مصارعها جموعــاً لا فُرادى
ومن لم يَبْنِ من صرعاهُ جسراً إلى برِّ المنى ضلّ الــرشادا
وخير بنائنــا البــاقي بنــاء تكون له جماجمنا عمــادا
ومن يخطب من الدنيا عظيماً به غالي لدى مَهْرٍ وفادى
سعت سوريةٌ وسعى بنوها لأمرٍ أحسنوا فيــه الجلادا
تملّكَ حبُّ الاستقلال منهم قلوباً قد عشقـن له الجهادا
تعاندهـم فرنسا في رغــابٍ لهم وهـم خلقـوا العنــادا
أبـــاةٌ لا يقـــرّ لهم قرار على خسفٍ كمفترشٍ قَتادا
إذا بخسوا يزيـدون اعتــزازاً وإن ظلموا يزيـدون اعتدادا
وتخلق منهم الخُلُـــيّ أسوداً وتشحذ منهم الهمم الشدادا
ويستوحـــون تاريخاً مجيـــداً به تاهوا على الدنيــا مجادا
ولمّا أن طغت باريسُ ثاروا ولم يرضوا لباريسَ انقيــادا
ومـا باريس إلاّ دار عُهْـــرٍ بها وَهَنٌ تطاوع من أرادا
غزاهـا من بني برليـنَ ناسٌ وعاثـــوا في نواحيها فسادا
وأرغمت الأنوف لهم صفاداً وذلّلت الخدود لهم مهـادا
وداسوا فوق أذيالِ العذارى ولم تغضب وأسلمت القيادا

ولمّا أن قضى الرحمٰن أمراً   غريباً فيه قد وعظ العبادا
غدت تعدو على البرءاء ثأراً   تسومهمو ولم يخبوا اضطهادا
كذا إن يحكم المضعوف يوماً   بَغى في حُكْمِهِ وطغى وزادا
وإن ملك اللئيم على رقاب   غدا سيفاً لها وقسا فؤادا
وراحت تحشد السنغال حشداً   لقومٍ لم تخف لهمُ احتشادا
وتحشر من وحوشِ الناس حتى   تعادى هَمَّ قومٍ لا يُعادى
إذا ما استهدف العلياء يوماً   تمكّن لا يُدار ولا يُرادى
يصون تراثه ويصون غاباً   كما العنقاء يكبر أن يُصادا
أيا باريسُ لست هناك إنّا   لأحرارٌ ونأبَى أن نُسادا
وما كان الزنوج سوى سوادٍ   لبستُهمُو على الماضي حدادا
وما يغنون في إرجاع ميْتٍ   بكثرتهم ولو كانوا جرادا
هَبيهم دمَّروا ورموا شواظاً   فهل يجدي توحشُهم مفادا
وهل يدنون من أمرٍ قصيّاً   وهل يحيون من مجدٍ مُبادا
سوى أن يملأوا سِفْراً سواداً   وسِفْرُكِ فاض من عُهْرٍ سوادا
تَغيَّبَ نجمكِ المنحوس عنّا   وقدّرنا له ألا يُعادا
بذرتِ الشرَّ في الدنيا فذوقي   ثمار الشر إذْ بلَغتْ حَصادا
دمٌ أهرقته أوفى أبيّاً   ولن تجدِ الملاذ ولا المحَادا
وأبياتٌ حرقتِ مُمَرداتٌ   سَتَذْروها بعينيك رمادا
يَعِزّ عليّ أن أزجي القوافي   ولا أزجي المثقفة الصعادا
وفي قلبي من الأحقاد نارٌ   على باريسَ تَتَقِدُ اتقادا
فلا يروي غليلي غير غمْرٍ   من الدمِ إنْ يَرِدْ غيري الثمادا
أنمهلها الغداة وقد أقامتْ   قيامتنا بجلّقَ والمعادا
ولم تقف الجياد دمشق حتى   لدى خطب فلا تقفُ الجيادا
وديغولٌ أخو جهلٍ وإنْ لم   يَذُق من مرّ علقمنا تمادى
توهم أنه أورى زناداً   لنصرٍ وهو لم يُوْرِ الزنادا

وخال رجاله فتحت بلاداً   ونعلم نحن من فتح البلادا
فلا أزجي لميدانٍ جنوداً   ولا أزجي لميدانٍ عتادا
توارى من بلاد الناس حتى   إذا ما حطّت الأوزار عادا
وعاد ليرهق الدنيا صعوداً   وعاد ليجشم الدنيا كبادا
وطاوع نفسه وبها غرورٌ   وَتُوَّهَ عن هدى المثلى وحادا
ولمّا أن رأى الغضبات تبدو   على أسيافنا ارتدّ ارتدادا
مطامعُ للعِدا قد عَلَّمتنا   محافظةً وجدا واتحادا
بني قومي وكُلكُمُ جريحٌ   فكونوا للجراحات الضمادا
وإنّا حين نحيا في وحوشٍ   نُعِدُّ لها الأظافير الحدادا
وفي سوريةٍ شعبٌ أبيٌّ   يكافح دائباً كي لا يُبادا
وما أيدي الأباعد مجدياتٌ   إذا لم تلقَ من أهلٍ إيادا

---

* ــ كتبت هذه القصيدة عام ١٩٤٤ في « ذكرى ثورة سوريا ولبنان ».

** ــ النص نُقل عن **مخطوطة** بخط يد الشاعر. **وقورنت** بنسختين أخريين: إحداهما قديمة بخط أحد أصدقائه. والأخرى بخط السيد: أحمد القريع ــ الموظف في البنك العربي في الدمّام بالسعودية سابقاً. وهو المعروف بإسم « أبو علاء » ــ مدير مؤسسة صامد الاقتصادية الفلسطينية ــ حالياً.

*** ــ ألقيت في « مهرجان نابلس » لنصرة سوريا الذي أقيم بفندق فلسطين.

١٩ ـــ طوفان سوريا

مصابٌ من الدهر أذكى الأسى — وأصمـى فؤادي لما دهـا
أكفكف دمعي لدى ذكره — لكيلا أزيد خضّما طمى
عجبتُ لمطفىء حرّ القلوب — يشب بقلبي ناراً لظى
وما فيه سرّ حياة الوجود — يفيض وفيه فناء الورى
لو انّ الخيار لنا في الورود — عليه لأوثر ورد الصدى
بنات الزمان، خبايا الكفان — فيا للزمان وما قد خبا
يراعى التكافؤ في زوجهن — فهذا لهذي وهذي لذا
وما العُرْبُ إلا فخار الوجود — فللعُرْب فيهن ما قد علا
مصابٌ يُدكدك شم الهضاب — ولو نيط بالنجم يوماً هوى
يهون الأنام إذا ما ابتلوا — وتشمخ عزّاً إذا تُبتلى
ولكن دمشق وجنّاتها — لها الروح والمال، منّا فِدا
دمشق الحبيبة زين الوجود — وغابُ الأسود.. ورغم العدا
هي الجيد عُطّل عن عقدهِ — وفيه السناء له والسنا
وكُنّ التعاويذ من حوله — ومن أعيُنِهنّ سدينَ الرّقى
جنان حسانٌ. ترى كالمهامهِ — بين العشي وبين الضحى
فأين القصور وأهل القصور — وأين الرياض وأين الشذا
تصاوير في صَفحات الجمال — محاها الزمان بما قد محا
بنفسي الصغار، حسان الوجوه — كأنهمو زهرات الرُبا
تقاذفهم جارفات الأتي — تقاذفهم في الحياة الدمى
فَرأس رضيخٌ على جندلٍ — وقد كان معبث ريح الصبا

وثغر هشيمٌ كما الأقحوان — وخدّ كورد الروابي ذوى
ومـا سمع الماء آهـاتهم — ولا رحم الماء فيهم بُكا
وزين البدور، حواكي البدور، — ذوات العفاف، ذوات التقى
ينادين أين حماة الضعاف — وأين الرجال، أسود الحمى
وضاع النداء فما من مجيب — يجيب نداهن إلاّ الصدى
نجوم حواها ضمير الخِضم — فباهى بهن نجوم السما
بنفسي عقداً نظيماً يُفَضُّ — وشَمْلاً تبدد أيدي سبا
فمن صائح يا أبي يا أبي — ومن صارخ وا أخا وا أخا
ومن لائذ بذيول الفرار — ولات فرار فلاق النوى
تمنّى الذي قد أصاب النجاء — بعيد التبصّر، ان لا نجا
وبُعد الديار وبُعد الأحبةِ — عن ذي الحياة غنيٌّ للفتى
مَراءٍ تليّن صُمّ الصفا — مشاهد أفضل منها العمى
دمشق الجريح وأنت الفؤاد — جرحت وللقدس فيك الضنا
دمشق الحبيبة لبيك، لا — يُرعكِ الزمان فإنّا الفِدا

* ـــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد مروان الطاهر.

** ـــ قيلت في شتاء عام ١٩٣٧، في كارثة طوفان المياه في سوريا. ويحتمل أن تكون قد نشرت في «الجامعة الإسلامية» وفي «الرسالة».

٢٠ ــ في العيد تلتئم الجراح

في العيد تلتئم الجراحُ وتُرْقَأُ العين القريحهْ
والعيد من أهل الفنون يزين الصُوَر القبيحهْ
حَلَّى بريشته الحياة إذا بها تبدو مليحهْ
وسَرَتْ يداه على الوجوه النُكْد فانقلبت سميحهْ
من سحره رقَّ الجليفْ وجادت النفس الشحيحهْ
وتناجت الأرواح، عذَّبها الجوى، النجوى الصريحهْ
وشَدَتْ شفاه العاشقين، على الهوى القُبَلَ الصدوحهْ
وتسابقتْ تلهو النفوس بجنة العيد الفسيحهْ
ورنتْ إلى مُتَع الحياة وحلوها العين المشيحهْ
العيد زهر الدهر ينضح بالشذا فاقطف نضوحهْ
العيد من مِنَح الزمان الشحَّ فاغتنم المنيحهْ
يا ليت كل الدهرِ عيدٌ كي أطيل له المديحهْ
العيد في الدنيا رسولٌ للسلامة والأمانِ
يحيا به المحرومِ في دنيا رغائبه الحسان
وتشيع أفراحَ الحياة لُغى المثالث والمثاني
وتعُبُّ عطشى الأرض في راح التعاطف والحنان
فتردد الأقطار نشوى فيه أسحار البيان
ويهنىء الأقصى العظيمَ أخٌ له في القيروانِ
ويصافح النجف الكريمَ وكربلاءَ المسجدانِ

وتُقَبل الشام المحبةُ خدّ صنعاء اليمانِ
وتبوح بالحبّ الدفين البصرتان لتيطوانِ
العيد قَطّاع النوى جَمّاع أسباب التداني
في العيد لُقِّيَ ما تمنّى القلب من بيض الأماني
يا ليت كُلّكَ عيد أفراحٍ لقومي يا زماني

★ ★ ★

في العيد يذكر كل ذي حبّ ولا ينسى حبيبَهْ
وأنا المحبُ أخو العروبة تيّمت قلبي العروبه
هيمان في وطني الجميل وفي مفاتنه العجيبه
وطن فديتُ شعابه وفديت في روحي شعوبه
ورقيتُ من عين الحسود جناحه الريّا الخصيبه
عوّذته من طارق الحدثان يدهى بالشبيبه
وسواعد قد صرّفتها ارؤسُ الفضل الأريبه
تبني وتعمر في جوانبه المنمقة الرحيبه
وطن نسبت به فكان زكيٌّ أشعاري نسيبه
بخّرته ببخور قلبي واحتسبتُ عليه طيبه
في العيد ترفل في النعيم الأرض بالحلل القشيبه
فارفُل أيا وطني وغنّ أغانيَ المجد الصَخوبه
لا زلت يا وطني بخيرٍ خالصٍ من كل ريبه.

* ــ بخط يد الشاعر.

٢١ ـ يقظة النيل

أغفى وما قَرّتْ جنوبُهْ   أنّى وغفوتُهُ تعيبُهْ
صوتٌ من الماضي المجيد علا يُؤَرِّقُهُ صخوبُهْ
وغدُ الرجاء الحلو ناداهُ   فلبّى يستجيبُهْ
ودمُ الشباب، دمُ الشباب الحر يوقظه صَبيبُهْ
الساهرين حَوالَهُ   يحمونه مما يريبُهْ
والقاذفين القيدَ في   نارِ مؤجَّجةٍ تذيبُهْ
أشلاؤهم في صدرِهِ   [الأحرارُ] مما قد ينوبُهْ
والنيل كيف منامُه   والفجر غرّد عندليبُهْ
والماءُ بَكَّر بالسلامِ   على الثرى فربا جديبُهْ
والنَوْرُ أطربه شعاعُ النُور فانشقت جيوبه
والأرضُ من سَكَر الصباح حَسَتْ فَدَبَّ بها دبيبه
صورٌ تَلَذّ فهل تراه يفوته منها نصيبه
وهو المتيَّمُ بالجمالِ   يُريده أنّى يصيبُهْ
والنيل شيخُ ذوي الفنونِ وكلّ مُفتّن ربيبُهْ
مرّتْ على القفر الجديب يمينُه فزكا خصيبُهْ
ومشى بريشته على ثوب البلى فزها قشيبُهْ
من فنّه حبُّ الكمال   النّزْهِ عن نقص يشوبه
سلمتْ يداه.. شمالُهُ   المرسومُ يكملُه جَنوبُهْ
من فنّه بعثُ الحياةِ   بما يَفُنُّ، فمن ضريبُهْ

والنوم صِنْو الموت أو   موتٌ فأنّى يستطيبُهْ
أم يهنأ المشتاق في   نومٍ وحاضِرُهُ حبيبُهْ
شعبٌ عيونُ النيل ترمقه وتعشقه قلوبُهْ
بَعَثَ الحماس بشاطئيه   فشبَّ بالعزمات شيبُهْ
ورمى بأرواح الشباب   الطيبَ منه ففاح طيبُهْ
من وحيه آيُ الجهادِ   وبعضُ معناها لهيبُهْ
شعبٌ نسبتُ به وأجملُ ما بتقصيدي نسيبُهْ
ياشعبُ،قلبُ العرب مجروحٌ   وقد نَزّت ندوبُهْ
فأدر عليه شنيب عطفك   يَشْفِه منها شنيبُهْ
إن لم تطبَّ له يداك   فمن سواك إذن طبيبُهْ
أنفخ من الروح الكريم   شجاعةً يَشْجعْ رعيبُهْ
وأَمُرْهُ لا يهب الردى   فالعزُّ يُحْرِمُه هيوبُهْ.

---

* ـ يعتقد أنها كتبت عام ١٩٤٦.
**ـ بخط يد الشاعر (مخطوطة).

٢٢ ـ كان غازي...

كان نجماً يهتدي الساري بهِ   في دياجير اللّيالي الحالكاتِ
كم قلـوبٍ رقصت خفاقـةً   حينما لاح بديعَ الخفقـاتِ
أدخل النـور على أفئـدة   كنّ من نور الأماني مقفرات

كان نجماً ثم غابْ
وتوارى في التراب

لهْفَ قلبي

نَفَحَ الموتُ عليـه فانطفـا   وانطوت أنواره في الظلمات
ورنت أبصارنا كيمـا ترى   مَأفَلَ النجمِ فَرَدَّتْ غرِقات

★ ★ ★

كان غصناً حِمْلُهُ زَهْرُ المنى   طيِّبَ النَّشْرِ لذيذَ النغماتِ
بسمتْ أكمامُـهُ عن أمـلٍ   قد رجوناهُ وعن حظّ مُوَاتِي
غير أن الدهر هبّتْ ريحُهُ   تقصف الغصن وتذري الزَّهرَاتِ

راح والعمر شباب
والأزاهير رطـاب

لهْفَ قلبي

قد حسِبْنا الدهرَ غفْلانَ ولَمْ   تَكُ في الحسبان ريح الغَدَراتِ
هكذا إمّا ازْدَرعْنـا نبتـةً   للمنى أودى الردى بالنبَتَات

★ ★ ★

كان غازي كان غازي لهبـاً   صليَ المُحْرِقَ منهُ كلُّ عاتي
شعّتِ القـوةُ من أنفـاسه   وتملى صدرُهُ بالعزمـاتِ
وروينا عنـه آيـاتِ سَنـا   وأحاديثَ ثناءٍ مُسْنَـدات

كان للعادي الشهابْ
ولـه تُحنـى الرقاب

لهْفَ قلبي

كان كالحلـم قصيراً عمـرُهُ   تسعد النفس به في الغفواتِ
وإذا النفس أفاقت من كرى   هَرَبَ الحلمُ فذابتْ حَسَرات

★ ★ ★

---

* ــ نشرت عام ١٩٣٩ : أنظر : مجلة «الأمالي» البيروتية ــ السنة الأولى، عدد ٣٣، سنة ١٩٣٩.

**ــ في ٣ / نيسان / ١٩٣٩ لقي الملك غازي ــ ملك العراق ــ مصرعه في حادث اصطدام سيارة. وكان من الخصوم الرئيسيين لسياسة رئيس الوزراء نوري السعيد التي تشكلت في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٨. وشاع أن مصرع غازي كان مدبراً من الانكليز وعملائهم. فقد عُيّن الأمير عبد الإله وصياً على العرش وكان معروفاً بولائه لبريطانيا وصلته الوثيقة بنوري السعيد. وقد أقيمت في فلسطين حفلات تأبينية كثيرة للملك غازي شارك فيها شعراء كثيرون معتبرين أن غازي كان «أملاً وطنياً» ــ أنظر: طبعة مركز إحياء التراث ــ صفحة ــ ١٧٤.

٢٣ ــ يا عاملُ...

هذي القصورُ وأنتَ را فعُ سُمْكِها هل هُنَّ لكْ ؟
والدوحُ أنت زرعتــهُ من حولها هل ظَلّلك ؟
والنور من يدك الصّنا ع فما حياتُكَ في الحَلَكْ
الحسن أنت خلقتـــه لكـــن سواكَ له ملك
لا تأسَ فالدنيا تصيــ رُ إليكَ إنْ دارَ الفلك

يا عاملْ

الله ــ في الدنيا ــ وأنــ ـت الخالقانِ منَ العدمْ
أولستَ إن تَضْربْ يَسِلْ ماءٌ من الصخر الأصم
وإذا نفــخت بتربــة حَيِيَتْ بنفختك الرمم
الصَّرْحُ إن ترفعْــه يُرْ فَعْ أو تُهَدِّمْــهُ انهدم
فاعرف مكانك في الورى واعلمْهُ أنتَ بهِ علَم

يا عاملْ

أَلْبستَ من نسج اليديــ ـنِ الكونَ تَوْشِيَةً تزيـنُ
ونظمت من عَرَقِ الجبيــ ـنِ لآلئـــاً غَرَّ الجبين
مُتحركٌ تبني المُنـــى وبشَرْعِكَ : العارُ السكون
ويهون عنـــدك كلُّ شيءٍ غيــــرَ نفسكَ لا تهونْ
ما شئتَ كان وكــلُّ ما تأبــاه يومــاً لا يكـــونُ

يا عاملُ !!

أرسُمْ طريقَكَ في الحياةِ ولا تَشُذَّ عن الطريقهْ !!
واعـرف رفيقَكَ إنّـــهُ لكَ جُنَّةٌ في كلِّ ضيقهْ

واحفظ حقوقَكَ، ضاعَ مَنْ لم يَحْمِ من جَهْلٍ حقوقَهْ
وأحبَّ في الدنيا الجمالَ، ولا جمالَ سوى الحقيقة !!!
حَرِّرْ من الأغلالِ نفسَكَ ولتكـن نَفْساً طليقَـــهْ

يا عامـلُ

أحصُدْ بمنجلكَ الرقابَ إذا حَرَمْـنَكَ من مُرادكْ !!
واطرقْ بمطْرقِكَ الـرؤوسَ إذا تمادتْ في عِـنادِكْ !!
واحكـمْ بأمــركَ في بلادكَ، لا تُغَـرَّبْ في بلادكْ
أنت الذي زرع الحياة فَمَنْ شريكُكَ في حصادِكْ ؟؟
قعدوا وجاهدتَ الصعابَ، فمانعوكَ جنى جهادك !

يا عامـلُ

لا شيءَ غيرَ لظى النضال له يكـون البغيُ طُعْمَـهْ
لا شيءَ غيـرَ سنا الـنضال ينير للطغيـان ظُلْمَـــهْ
لا شيءَ يَجْـــرفُ كالنجيـــع الحرّ ظلاّماً وظُلْمَـــهْ
لا مستحيل عليكَ، فاحـزمْ أنت ذو حَزْمٍ وهِمَّـهْ
والبُطْلُ بيت العنكبوت وَهَى فما أهونَ هَدْمَـهْ !!!

يا عاملُ !!

---

* ــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** ــ نشرت في جريدة «الاتحاد» ــ عدد ٢٢ ــ السنة الثانية ــ ٧/تشرين أول/ ١٩٤٥. كما هو مشار إليه في المخطوطة.

*** ــ أنظر: طبعة مركز إحياء التراث: نشرها في «الاتحاد» بتاريخ ــ ٢٠/ ٨/ ١٩٤٤.

٢٤ ـ نحن المصادر والموارد

نحنُ المَصَادِرُ والمواردْ وسلاحُنا فُتُلُ السواعدْ
هاماتنا للمجد، يرسو حين نُبْدِعُهُ قواعدْ
وقلوبنا نَبْعُ المكارمِ، ليس ينضب والمحامد
ودماؤنا الحمراءُ للحريةِ العليا روافد
ولنا الأيادي البيضُ، لا ينسى الأيادي غيرُ جاحد
والشيءُ إن كنا الأساسَ به، وإلاّ فهو فاسد
ولظى النضال إذا بَعُدْنا عنه أصبح جدُّ خامدْ
وبنا إذا تدهى الشدا ئدُ كان تفريج الشدائدْ
إنّ آسمَنا العمالُ نعملُ، ليس تشغلنا المفاند
لا نستكينُ لظالمٍ وشعارنا: ناضِلْ وجاهِدْ
نسعى لإسعاد الأنامِ من الأقارب والأباعد
ولو آنَّ خيراً في الأقاصي جاءَ منا الخير رائدْ
كالوفد، وفدِ المخلصين، غدا وروَّحَ وهو راشد
نقضَ الذي غزل العداةُ هناك من زَغَلِ المكايد
قد ذاد عن حقٍ سليبٍ، ما له كالوفد ذائد
ورمى طواغيت التحكّمِ منطقاً فانهدّ واطدْ
وإذا صَحبْتَ الحقَّ قلتَ، وليس تعجزك الشواهد
والحق في الدنيا قديمٌ، لا يُمارى فيه خالد

يخبو ولكنْ بالنضال يعود مشبوب المواقدْ
والحق يصدأ كالحديد وما الكفاحُ سوى المبارد
فيزيل عنه قذى الجهالة والمفاهيمِ الجوامد
إنّ اسمنا العمال لا نلهو بلغو عن مقاصد
نقضي على حدّ الأسنَّةِ لا النمارق والوسائد
ونخاطبُ الباغين في لغةٍ مَعاجمها الحدائد
ونقابل الظلم الفَريَّ بِهِمَّةٍ تَفْري الجلامد
ونذيب في نار الجهادِ وحرّها عنّا الصفائد
لسنا كمنْ يهذي على الأعوادِ بالخُطَبِ الرواعد
ويريد أن يرق إلى أوج المعالي وهو قاعد
ويروح يَطْرحُ للظهور عن المنابر بالمصايدْ
ويبث في الخطب السموم ودونها سمُّ الأساودْ
فيطير ما بين الهتا فِ طريفُ أمجادٍ وتالدْ
يقتل الشعبَ المُضَلَّل وهو عامد
يَهوي ويزعم أنّه بالشعبِ رقّاءٌ وَصاعدْ
فترى الذين أضلهم ما بين نعسانٍ وراقد
وعدوّهم شاكي السلا حِ مدججٌ سهرانُ راصد
ومن العجائب في المصا يب فرقةٌ والهمُّ واحد
نقضي الحياة على خصا مٍ بين عَيَّابٍ وحامد
راجت أباطيل التبجح بيننا والفعل كاسد
والخير بات ضحيةً ما بين هَدّامٍ وناقد
خَربتْ ديارٌ أهلها عَمَرتْ قلوبهمو المحاقد
لكنَّ في عمالنا الأبرار مفتاحَ الوصائد
من نارهم قَبَسَتْ قضيتنا، نَهُمَّ وغيظ حاسد
والحق ليس بعادمٍ بعضَ الحماة ولا بفاقد

يا أيها العمـــال تُو حي لي وجوهكم القصائدْ
وبكـــم تطاوعنـــي وتُسْلِسُ من قوافيها الشوارد
فَلتحيـــونّ أعـــزّةً وليحىَ وفدكمو المجاهد.

* ــ نقلاً عن مخطوطة كتبت بخط يد الشاعر.

** ــ الوفد: وفد الطبقة العاملة الفلسطينية في مؤتمري لندن وباريس. عام ١٩٤٥.

*** ــ البيت رقم ١٨: في الأصل هكذا.....!!.

٢٥ ــ إلى العُمَّال

هو الفجر قد لاحت لعيني بشائرُهْ — وزال من الليـل البهيم دياجـرُهْ
غداة رأيت القوم تسمـع أذنـهُ — وبعد العمى والتيه أبصر ناظره
وسلّـم للعمـال قودَ سفينـه — لدى مزبدٍ غمـرٍ تهول أعـاصره
بنـاةٍ إذا شادوا بنـاءً لعـزّةٍ — تعزُّ على هدم العـداةِ أيـاصِرُهْ
وإنْ غمَرتْ هماتُهم جنب ظالمٍ — تزحزح لم يهدأ من الروع حائره
وإمـا أرادوا أسعـفتهم سواعـدٌ — ولم يثنهم عن نيل أمر شواجـره
كثيري فعـال الخير لا يعلكونـه — كما عَلَكَ الهذر المذمم هاذره
لهم مطـلبٌ فردٌ: تحرر أمّـةٍ — ولم يزهُهُمْ من عيش ذلّ أحاصره
وكيـف وعيش الذل يأباه معشرٌ — قلائـده من صوغـه وأساورُه
ومـا عَرَقُ الأتعـاب إلا لآلئٌ — تزيّـنُ وضاحَ الجبين نواضره
يضحّـون بالأرواح والجهـد نصرةً — لموطنهم إذْ قلّ في النـاس ناصره
فكم سقطوا صرعى بواسلَ دونـه — ولم يذكر الصرعى البواسلَ ذاكرُه
ولم يطلبوا عزّ الكراسيّ كالـذي — تعلّق في عزّ الكـراسيّ خاطـره
فيـا عامـلاً لم يرجُ أجـراً وإنما — الصبر على ما قد يلاقيه آجـره
أطع وحي توجيه الضمير وما غوى — على الدهر شعب وجّهتْهُ ضمائره
ويـا أيها العمـال قد هَلّ يومكُم — مزاهِـرُهُ صخّابـةٌ ومزامـره
وقفتُ وهذا اليوم قد كان مطلبي — بمنبره العـالي وإني لشاعـرُه
أُنقّـلُ وجهي في وجـوه أعـزّةٍ — فيوحي إليّ الشعر يرفل ساحره
فإنكمُـو صوتٌ وإني لكم صدىً — وإنكُـمُ روضٌ وإني لطائـره

أغرّد فيكم في محاسن منكمُ   كما أثَرَ الحُسنَ المحبّبَ آثره

إذا الحق لم يلهمك شعراً تقولُه   ففي حِسّكَ المغلول داءٌ يُخامره

وما قصةُ العمّال إلاّ حقيقةٌ   طواها من الجهل المخيّم ساتِرُه

كساها أخو ظلمٍ ثيابَ خرافةٍ   دخائله معروفةٌ وسرائره

وأبرزها للناس شوهاء نكْرةٌ   وهل ضارَ حقاً أيها الناس ناكرُه

وما الحق في أن يأكل الجَنيَ قاعدٌ   ويُحْرَمُهُ يوم الحصادةِ باذرُه

ويَعْمُرَ ذو الإجهاد قصراً مُمَرّداً   ولا يسكن القصر المُمرَّدَ عامرُه

ويحمل وِزْرَ الناس من عَفَّ مطمعاً   وينجوَ من وِزْرٍ على الدهرِ وازِرُه

أضاليل مشّاها على الناسِ ظالمٌ   مهازله لا تنقضي ومساخره

عريق بفن الكِذب قد بان أصله   وقد لاح في الأفق المخضب آخره

وشيك انهيار العرش زُلزل أسُّهُ   وإن يَبدُ نطّاح السماكين هائره

فلا تَخْدَعنكم أيها الناس قالةٌ   ترددها أسلاكه ومنابره

فما مَفْجَرُ الإجحاف إلا قلوبه   ولا مَقْبَرُ الإنصاف إلا جزائرُهْ

أيخدعنا بالقول من بعدُ كاذبٌ   ويختلنا بالوعدِ من بعدُ غادره

كما خدعت باريس خلقاً مُرزّءاً   بنورٍ تداعت دُورُه ومنائره

تمَنُ على الإنسان حقاً وتدّعي   لها السبق في إحقاقه وهي هادرُه

تجرّدُ من قومٍ وحوشٍ مؤدباً   لشعبٍ شهيراتٌ عظامٌ مآثرُه

جَرَتْ في الورى أمجاده الغرُّ نغمةً   وسارت على هام الزمان مفاخرُهْ

ومن جعل السنغالَ حاميَ عرضِه   تصير به نحو الهوان مصائره

أباريسُ هلاّ كان جمعُك للذي   على ذيل ثوب الطهْر داست عساكرُهْ

ولم يبقَ أنفّ منك إلا أذلّه   وأرغمه في طينك القذْر قاهرُه

وما أنا يا باريس مادحُ أمرِهِ   ولا قارئُ السفر القبيح وناشره

ولكن بتعييريكِ ذلك عبرةٌ   و كم خاطئٍ قد أصلحته معايرُهْ

أأنتِ خلقت العدلَ ما عدلك الذي   تباهيت إلاّ داعرُ الذكر عاهرُهْ

كعدل الذي في أدمع الناس أقلعَتْ   وفي الدّم عبّت سُفْنُه ومواخرُه

رمانا جراداً جرّ مكلاً وأدمعاً   ولله ما ساقتْ إلينا جرائره

بَلانا بذؤبانٍ.. نفايا ممالكٍ   ورُبّما أضحى وهُنَّ بواقِرُه

ومن أضمر السُوءى ترد لنحره   ودارتْ على ذي الكيد قدماً دوائرُه

تغنّى بألحان السلام يُعدّهُ   وما فيه إلا غدرُه وتآمرُهْ

وراح على أهل الزمان مكابراً   ينافرُ في العدل الورى ويكاثرُه

وما العدل؟ مات العدلُ من قبل وانقضى   وما الحق؟ نامَ الحقُ وانفَضّ سامره

ويا أيها العمالُ ما الحقُ في الورى   سوى شبحٍ ما ناله قَطُّ ناظرُه

ومن رامَ ما بين الوحوش مَعيشةً   فلا تَقْصُرَنْ عند الكفاح أظافره

ألم تَرَ أن الوحش يَهْبُرُ بعضه   ويعدو على مستضعفيه كواسره

وما حلماً بالحقِ إلا تعلّةٌ   يُغَرِّزُ فيها طائش العقل قاصره

وما الحقُ إلا قوةٌ وعزيمةٌ   يُعَوّذُهُ رمحٌ ويرقيه باترُهْ

وسعيٌ بميدان النضال موفقٌ   يعود به من فائت السعد غابرُه

ونارٌ تذيبُ القيد في جمراتها   وليس يفكّ القيد إلا صواهرُه

ولا يجرف العادين جرفاً وظلمهمْ   كمثل دم الأبطال يهدرُ فائرُهْ

ولا مثلَ توحيد الصفوف لمُبتَلىً   به يدفع البلوى ويمكنُ خائرُهْ

فيسمع أقصى الأرض زأرة أسْدِه   وتنفذُ في قلب الأصمّ أوامره

وما وفدكم قد بارك الله وفدكم   سوى مظهر التوحيد أثمر زاهره

وساعفهم في لندنٍ وحي روحكم   وساعدَهم من سلسل الحق زاخره

فغرّد عصفورٌ وبلّغ بولسٌ   وبولسُ ذو أيدٍ يروعك ثائره

إذا قال سال الحق من كلماته   ومخلصةٌ أفكاره ومشاعره

وأعمل طه حجةً في هرائهم   فولّى موليه وأدبر دابره

ويا معشر العمال طالت قصيدتي   وواتانيَ العاصي وأسلس نافرُه

ومصدر تقصيدي المطوّلِ أنتمو   وكل قصيد رائع ومصادره

وإنْ لم أقل في العاملين قصائدي   فلا سار من شعري المُرقّص سائره

ولي مِقْوَلٌ وقفٌ على نصح أمتي   وروحٌ على الأوطان إني ناذِرُه

وصبَّرتُ قلبي بالتعاليل والمنى   وقد ضاقَ عن دنيا التعاليل صابره
وقلت غداً قومي سينهض راشداً   وقوميَ لم يفتأ على الغيّ سادرُهْ
يسير على درب الضلالات لايَني   ويعلم أن الأمر شتى مخاطره
فقودوهُ يا عمّال أنتم إلى الهدى   فيلقي عصا التسيار عنه مسافرُه
وأدُّوا رسالات التحرر عَلَّهُ   يصيخ لها سمعاً ويؤمنُ كافرُهْ .

---

* ــ كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٥ .

** ــ صورة عن الأصل بخط يد الشاعر .

***ــ **عصفور** : حنا عصفور . **بولس** : بولس فرح . **طه** : سامي طه (من قيادات الطبقة العاملة الفلسطينية) .

٢٦ ــ ثورة العاملين

(١)

إلامَ تَلَفّتُ خَلْفَ ٱلْقَطيعِ   وَنَمْشي إلى أمَلٍ باطِلِ
وَتَشْدو عَلى نَغَمٍ كالفَناءِ   تَخَلَّفَ عَنْ أمْسِكَ الزائِلِ
كَأنَّكَ لَمْ يَنْتفِضْكَ ٱلنِضالُ   فَلَبِثْتَ في حُلُمٍ ذاهِلِ
وَقَدْ سَحَقَتْ ثَوْرَةُ ٱلْعاملينَ   بِكَفِّ ٱللَظى غَفْلَةَ الغافِلِ
فَفي كُلّ عِرقٍ تَهيجُ ٱلْحَياةُ   وَتَجْري عَلى عَجَلٍ عاجِلِ
وَتَهْوى ٱلْقُيودُ وَتَزْكو ٱلْجَهودُ   وَيَقْضي ٱلْجَديدُ عَلى ٱلآفِلِ
وَيَسْتَضْحِكُ ٱلْكوخُ تَحْتَ ٱلدُّخانِ   وَيَحْتَشِدُ ٱلْفَوْزُ لِلْعامِلِ

(٢)

أما وَٱللَيالي ٱلَتي أرَّخَتْ   بَلاءَكَ في خَطْبِها ٱلْقاتِمِ
لأنْتَ عَلى ٱلدَّهْرِ حُرّيَةٌ   أتتْ لا تَذِلُ إلى ظالِمِ
وأمْلى لَكَ ٱلْحَقُّ نُبْلَ ٱلْصِّراعِ   وَخَصَّكَ بِٱلْنَظَرِ ٱلْحازِمِ
فَإنْ كُنْتَ تَجْتاحُ هذي ٱلْحَياةِ   بِقَلْبٍ لَجُوجِ ٱلْخُطى عَارِمِ
فلا بِدْعَ فَٱلْهَدْمُ قَبْلَ ٱلْبِناءِ   لِبَيْتٍ ضَعيفِ ٱلْقَوى عائِمِ
لَقَدْ أخْطَأوا فِيكَ مَعْنى ٱلْجِهادِ   وَكَمْ يَجْمَحُ ٱلْوَهْمُ بالواهِمِ
فَظَنُّوكَ في فَوْرَةٍ لا تَجيشُ إذا لامَسَتْ شَفْرَةَ ٱلْحاجِمِ

(٣)

لَقَدْ هَرَقُوا مِنْكَ أزْكى ٱلْدِماءِ   وَسَامُوكَ بِالسَّدَمِ ٱلْنَاقِمِ
وَباتوا عَلى جُرْحِكَ ٱلْمُسْتَغيثِ يَمُدُّونَ بِالنَّغَمِ ٱلْنَاغِمِ

عَصيرُهُمْ مِنْ جَنَى رَاحَتَيْكَ ... وَخَمْرُكَ مِنْ بؤسِكَ الدّائِمِ
وَتَعْجِنُ خُبْزَهُمْ بِالدُّمُوعِ ... وَتَأْكُلُ مِنْ فَضْلَةِ ألآدِمِ
وَتَبْني عَلَى كَتِفَيْكَ الصُّرُوحِ ... وَتَقْبَعُ في لَهَبٍ جاحِمِ
وَتَنْسِجُ مَا يَلْبَسُ ٱلْمُتْرَفُونَ ... وَلَسْتَ بِذي مَلْبَسٍ نَاعِمِ
وَيَمْرَحُ غَيْرُكَ فِي ٱلْطَّيِّباتِ ... وَعَيْشُكَ فِي ٱلْضِيقِ كَٱلْخائِمِ

---

* ــ نشرت هذه القصيدة بدون عنوان، وبدون توقيع صريح في مجلة «الغد» الفلسطينية (العدد ١٠، السنة الأولى ــ بتاريخ ٣٠/تشرين الثاني/١٩٤٥) وقد قُدمت على الشكل التالي: «في رياض الشعر» (وهو اسم الصفحة الشعرية في المجلة)، «لشاعر الرعاة».

ونحن نرجح أن القصيدة من شعر عبد الرحيم محمود الذي نشر أكثر من مرة في تلك الصفحة من «الغد»، كما أن النسيج الشعري والموقف الاجتماعي يرجّحان ذلك، وتوقيع «شاعر الرعاة» له ما يؤيده في شعر عبد الرحيم محمود قوله:

«إنْ تسألوا عني إلى مَنْ أنتمي ... فإلى رعاة النّوق والأغنامِ»

وقد سألنا الأستاذ عيسى شاكر ــ وكان صاحب امتياز «الغد» ومدير إدارتها إن كان يذكر صاحب هذا التوقيع، فرجّح رأينا أيضاً.

**ــ نقلاً عن: طبعة مركز إحياء التراث ــ الطيبه، المثلث ــ ١٩٨٥.

٢٧ ــ رثاء حمّال

قد عشتَ في الدنيا غريباً وها ... قد مُتَّ بين الناس موتَ الغريبْ
والناس مذ كانوا ــ ذوو قَسْوةٍ ... وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حَبْلك شنَاقَهُمْ ... لَوَلْوَلوا حزناً وشقّوا الجيوب
أو كنتَ من سلّكَ رزّاقهُمْ ... لقامَ عند السلِّ ألفا خطيب
ونزّهوا حبلَكَ عن عيبهِ ... وبللّوا السَّلِ بذوب القلوب
لكنك الحمّالُ لمِ يطمعوا ... فيك ولمِ يخشوْا أذاكَ الرهيب
رغيفك الطاهرُ غمّستَهُ ... في عَرَقٍ زاكٍ ودمعٍ صَبيب
ما كنت سلاّباً أخا غصْبةٍ ... بل كنت ذا حق سليبٍ غصيب
فرحت لمِ يسكُبْ عليك امرؤٌ ... دمعاً ولا قلبٌ رقيقٌ يلوب
ولمِ يودعك حبيبٌ وقد ... يُهوّنُ الصعبَ وداعُ الحبيب

★ ★ ★

حبلك والسَّلُ لقد أوْدَيا ... بهيبة الموت الوقور المهيب
وفيهما لو أنصفوا رفعةٌ ... وشاهِدا فضلٍ وخيرٍ وطيب
لكنْ بنو آدمَ من يومِ أنْ ... كانوا لهم رأيٌ سخيفٌ معيب
قد مر أهل الدربِ لمِ يحفلوا ... بالمُهْمَلِ المطروحِ فوقَ الدروب
كمِ قد سألت الناس ماءً فلمْ ... يجبك في النّزْعِ شفيقٌ مُجيب
أو استعنتَ الطبَّ لكنما ... لمِ تدفعِ الأجْرَ ففَرَّ الطبيبْ
أو ربما أوْصيتَ أو شئتَ أن ... تُوصي فلم يسمعك حانٍ قريب
رُبَّ صغيرٍ لك خلّفتَهُ ... منتظراً إياك حتى تؤوب

يرجوك للجوع الذي شَفّهُ يا غائباً عنه وقد طال المغيب

★ ★ ★

إنّ قوافـيَّ على قحطِهـا تلقى بمرآك المجالَ الخصيب
برودك الهادىءُ قد هاجها فَجَرَّرتْ ، غضْبى ، ذيولَ اللهيب
يا موقظ النقمةِ في أضلعي بَشَّعتَ في عيني الجمالَ العجيب
لثـوبك الـرَّثِ وإخلاقِـهِ كرهتُ أثوابَ الحرير القشيب
والجسد الجامـد في يُبْسِهِ كَرَّهَ لي الغصنَ الطريَّ الرطيب
وصمتك الرائعُ يا موحشي بَغَّضَ لي الصوتَ الحنونَ الطروب
زَهَّدتني بالعيشِ في معشرٍ عارٍ من الرحمة خاوٍ جديب
حيـاتك المأساةُ مَثَّلتهـا ذِرْوتُها الفصلُ الحزين الكئيب
وراقَب النـاسُ تفاصيلَهـا لكنّهُ ما إنْ وَعاها رقيب
يا حسرتا قد فاتني بَدْؤُها وأُسدلتْ ، قبلي عليها الحجوب
أوْ .. لا ، فلو أبصرتُها كلّها لكنتُ من وجدي وحزني أذوب
إنِي مِنَ النـاسِ ولكنني في رقتي عنهم بعيدٌ جَنيب
أبكي على الظالمِ من رِقّةٍ وخنجرُ الظالمِ مني شريب

★ ★ ★

فراقُ هذا الناس عيدٌ فلا تجزعْ .. وَذِيْ الراحةُ بعد اللّغوبْ

---

* ــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٤٧ في مجلة «القافلة».

** ــ «على قارعة الطريق بالقرب من سوق الخضار في حيفا ... «رأيته ميتاً» وبجانبه سلّة وحبله، يمر به الناس فلا يأبهون».

٢٨ ــ في حالة غضب

هل غيرُ سيلٍ من دمٍ دافقٍ يروي غليلَ الساخطِ الحانقِ
أم غير لألاء الظُّبا والقنا يُزيل من قلبي دجى الغاسقِ؟
كرهتُ ذا العالمَ هل مَأبقٌ في عالمٍ آخـر للآبقِ
ضاقت بيَ الدنيا وإني بها أضيَقُ يالي من فتىً ضائقٍ!!
روحيَ عبءٌ مثقلٌ عاتقي أيانَ ألقي العبءَ عن عاتقي؟؟
تغلو على الناس ولكنني أبيعها للنـاس بالدانقِ
يا ليتني أشلاءُ في مَهْمَهٍ مَناشَةُ النّاعب والنَّاعقِ
أوليت لي ناراً فأكوى بها وأنثوي في جمرها الحارقِ
متى أراني بتَّ طَيَّ الثرى يَسحقُني بالكَلْكَلِ الساحقِ؟
وأغمض العينين عن عالمٍ لا يعتلي فيه سوى الفاسقِ
يحظى به الكذّاب بالمُشتهى والتعْسُ للمخلصِ والصادقِ
الخيرُ والخبزُ غدا حِكْرةً لبعضهمْ والويلُ للسارقِ
هم أوجدوا السارق من حاجةٍ وقيل هذي قسمةُ الخالقِ
يا منطقاً لم يُرْوَ عن عاقلٍ العَيُّ خيرٌ منهُ للناطقِ
قد مُحِقَ العدلُ فلا عادلٌ أما لهذا الناسِ من ماحقِ؟
متى أرى الحقَ وأصحابَهُ يعلون من أدنى إلى شاهقِ؟
وأبصرُ البُطْلَ وأربابَهُ يَهوونَ من أعلى إلى ساحقِ

---

* ــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** ــ العي: عدم المقدرة على الكلام. الدانق: أخس النقود: (التفسيرات من الشاعر).

٢٩ ــ حجر في كثبان الرمل

فيمَ انفــرادُكَ لا أنيــ ـــسَ تراه في القَفْرِ المخيف
في رِبْقةِ الوَهَجِ الحَــرو رِ وغُلِّ عاصفةٍ عَصُوف
وصبرتَ للهُــوجِ اللــوا فحِ في الضحى صَبْرَ الأنوف
أَرَضِيْتَ بالصحــراءِ عنْ ظِلِّ المُنمَّقــةِ الغَريــف
ورأيتَ وحــــدةَ راهبٍ فيها وعزلــةَ فيــلسوفِ

★ ★ ★

هل كنتَ يوماً في القصو رِ وَعُفْتَ ضافيةَ القصورِ
وأبيتَ أن تُبنى عليــ ـــكَ صروحُ بُهْتَانٍ وزور
فنجوتَ للصحــراءِ من صَخَبِ المزاهرِ والزُّمــور
تعلو على نغــمِ الأنيــ ـــنِ ونشْجةِ القلبِ الكسير
أم كنتَ شاهدَ مصرعِ الأ خلاقِ في البيتِ الكبير
فهربتَ إنَّكَ في الجمــا دِ إذن لذو أسمى شعور

★ ★ ★

هل كنت قطُّ مِجَنَّــــةً من كيْـدِ باغٍ ظالــم؟
وَحَمَيْتَ هامــةَ مُبْتَلــىً وَفَلَــقْتَ هامــةَ غاشم
وجثــمتَ فوقَ عظامِــهِ فصَرَخْــنَ تحتَ الجاثــم
هل كنتَ سَدّاً فوقَــهُ تكبو مطايــا القاحــم؟
وعلى المهامــــهِ صُوَّةً تَهْــدي ضلالَ الهائــم

إن كنتَ ذاكَ بززتَ في الإِ حسانِ خلْقَــــةَ آدم
أنتَ الوحيدُ هنا ومالي لا أقولُ أنــا الوحيــدُ؟
تَوْهــانُ لا أدري الغــدا ةَ طريقَ منجاتي ــ طريدُ
وإذا قعــدتُ كما قعــد تَ أضرَّ بالروحِ القُعود
والروحُ يا بعضَ الجمــا دِ ــ عَنِيٌّ ومَحْمَلُها يَؤودُ
تأبى الجمــودَ حَصافــةٌ منها ويأباهــا الجمــود
قل لي: أذلكَ مَسْلَكٌ جَدَدٌ وَمُطَــرَّقٌ سَديــدُ

---

* ــ كتبت عام ١٩٤١ (نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر).

** ــ «بين العراق وتدمر مَهْمَهٌ قُدِّر لي أن أفلوه طريدا، ووجدتني هناك غريباً غربة حجر هناك. وأسندتُ رأسي عليه وفكرت فيه. وأؤكد أنه دلني على الطريق وهداني».

*** ــ في بعض المخطوطات: متعفر الوجنات مصفعَ كل قاحفةٍ قَذوفِ.. (يأتي الرابع في الترتيب). وفي مخطوطة ثالثه يأتي ترتيب أبيات الفقرة الأولى كالتالي:

١ ــ فيم انفرادك. ٢ ــ وصبرت. ٣ ــ في ربقة. ٤ ــ متعفر الوجنات. ٥ ــ أرضيت. ٦ ــ ورأيت.

**** ــ **القاحفة**: الريح التي تقحف الرمل. **القذوف**: الريح التي تقذفه. **الغريف**: الجنة الملتفة الأغصان. **المهمه**: الصحراء. **الصُوَّة**: إشارة توضع على الطريق للدلالة (من تفسيرات الشاعر: المخطوطة).

٣٠ ـ جفّت على شفتي الأماني

دعْ عنكَ رائعةَ الأغاني ... جفَّتْ على شفتي الأماني
« أرفوسُ »(١) ليس بمستطيـ ... ـعٍ أن يهدهد لي جناني
أدر الكـؤوس مليئـةً ... وذرِ المثـالث والمثـاني
بل بالدنـان فعاطنـي ... لا أرتوي بسوى الدنان
هات اسقني كأساً لأنسى ... فوق أرضك ما كيـاني
هات اسقني حتى أحلّـ ... ـقَ من سمائي في العنانِ
وَأفـرَّ من شرك الزمـا ... ن ومن أحابيل المكـانِ
أتسلـق النـور الشعـا ... ع إلى كواكب لي رَواني
أنا مِنْ هنـاك من السمـا ... ءِ فمن على الدنيا رماني
من دَنّسَ القـدس الطهو ... رَ وحط بالعفّ الحصَان
أوِ فاسقني بالقبـة الزر ... قاء كأسكَ ما رواني
هو من ثرى التُرْبِ الخسيـ ... ـسِ فما أفادَ وما شَفاني
وأراه لم يبعـثْ بقلبـ ... ـي بَعضَ أحلامي الفواني
أدنى من الألم الـقصي ... وأضاعَ آمـالي الـدواني

★ ★ ★

هات آسقني واجعل كؤو ... سَ الراح أفواهَ الحسانِ
فأذِقهـا ممزوجـةً ... بشذى الهوى ولُغى الحنان
أو فاسقنيها بالعيـو ... نِ الموحيات ليَ المعـاني
أو في النحور البيض تُغـ ... ـري فوق أغصان لِدانِ

أو في كِمام الورد رَيَّـ ... ـا أو ثغور الأقحـوانِ
هذي أوانٍ والجمـا ... لُ يزيـده حُسْنُ الأواني
والراح روح ليس يجلـو ... ها سوى حُسْنِ المبـاني

★ ★ ★

هات آسقني واحلُلْ برا ... حكَ عُقْدةً زَمَّتْ لساني
إني أراني إنْ ظمئـ ... ـتُ إلى الطِّلا عَيَّ البيان
شفتي وكأسُكَ عاشقـا ... نِ عن الهوى يتحدثـان
غنما من الدهر الخـؤو ... ن مُنـىً فباتـا في قِران
دقـات قلبـي والحَبـا ... بُ من الجَوَى يتشاكيان
هات اسقني كأساً لأُغْـ ... ـرِقَ فيه أَثْقَلَ ما أعاني
جسمي وروحي في سعيـ ... ـرٍ سرمـدٍ يتحرّقـان
يوحي إليَّ الكـأسُ ما ... يوحـي فَعَـزَّزَني بثـانِ
لتشيع في قلبي الحزيـ ... ـنِ رؤىً رجاها من زمانِ
أطْفِـيءْ صدايَ فإننَّـي ... جَفَّت على شفتي الأماني

---

١ ـ Orpheus في الأساطير اليونانية. وهو: رب القيثار تأنس له الوحوش (المخطوطة).
* ـ كتبت هذه القصيدة حوالي العام ١٩٤٥ (هذا التاريخ غير مؤكد). ونشرت في مجلة المنتدى.
** ـ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.
*** ـ في صدر البيت (١٤): «القَصا» بمعنى البعيد. كما في المخطوطة.

٣١ — رهين المحبسين

أعمى ولَوْ خُيِّرَ في أمريه لاختار العمى
كيلا يرى ذئباً ظلوماً وضعيفاً ظُلما
ولَوَدّ لو لم يسمع الأنّات تعلو للسما
من عالم تحت فؤوس الغدر خرّ محطّما
ما قيمة الأبصار تُبصر في الوجود جهنّما

★ ★ ★

أعمى ولكنْ بَزّ بالإحساس أصحاب البَصَرْ
كانوا همو العميان، عن أفعالهم ينبو النظر
تاهوا بصحراء الضلال ومُرّغوا في طين شرّ
ورآهمو في البغي والطغيان غرق في بحرْ
فتساءل القلب الكبيرُ: أهؤلاء همُ البشر

★ ★ ★

أعمى وشاهدَ في الوجود مشاهداً هزّت يقينَهْ
ما المَلْكُ يستلب الضعاف لآلئاً زانت جبينه
ومُزهّدٌ تخذ الشراك لساقط الرغبات دينه
والزوج يغدرُ زوجَهْ والخِدْنُ لا يرعى خدينَهْ
أوَ ليس في هذا لِذي الوجدان ما يشجي شجونَهْ

★ ★ ★

نادى بإصلاح الفساد فقيل: ذاك تشاؤمُ
وأراد تعليم العباد فقيل: ذاك تعالُمُ
ودعا لرفقٍ بالبهام فصدَّ عنه القارمُ
وأراد حكْمَ العقل في الدنيا، ونعمَ الحاكمُ
لكن تساوى ضلّةً بانٍ بنى والهادمُ

★ ★ ★

نَصَحَ الورى لكنّهمْ لم يقبلوا نصحَ النصيح
أسدى لهم عُرفاً فردّ القِرمُ بالردِ القبيح
سخروا من العلم الغزير يسيلُ في اللفظِ الفصيح
وتضاحكوا من جرأةٍ ولدتْ من الرأي الصحيح
والناس من ضعفٍ يضيقون بذي القول الصريح
أعمى وشاهدَ أنّ ذاك الناسَ عاش بظلْمتين
في ظلمةِ القلب الغليظ وظلمةٍ في الناظريْن
فأدار عنهم ساخطاً بصراً بهمُ بكلّ زيْن
فرموه.. ماذا ضرَّ لو نبح الكلاب النيّريْن
إما تَعِشْ في معشرٍ نَذْلٍ فَعِشْ في مَحْبِسين

---

* — نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

٣٢ ــ قُمْ بنا

قُمْ بنـــا يا أيهذا للــــربى ... حيث ترعى العشب أسراب الظبا
قم بنا إني تعشقت الدنى ... بعد أن عاودني عهد الصبا
قم بنا من قبل أن تنتاشنا ... عاديات الدهر أوحد الظبى
لا أخال العمر إلا لحظة ... ثم تمضي حيث نمضي إربا

★ ★ ★

فلمـن تبسم خود ناهـــد ... ولمن تعطى وصالاً طيبـا
ولمن يصدح طير فارحٌ ... إن نأى من يستسيغ الطربا
ولمن تعرف أزهـار الـربى ... ويفوح العطـر منها عجبـا
ولمن يملأ كأس بالطِـــلا ... أوَ لسنا من عشقنا الحبا
قم بنا نسرقْ اويقات الصفا ... قد لقينا من دنانا نصبـا

★ ★ ★

قم بنا من قبل أن يعصف بي ... خاطر لا أب لي إما حبا
قم بنا من قبل أن ينتابني ... هاجس يوغر نفسي غضبا
فبـلادي في أسى محتـــدم ... ليتنـي أدفـع عنها الكربـا
وبـلادي في جحيم مطبـق ... تصطلي النار وتلقى النُوبَـا

فمتـى يأتـيك يوم مشرق ... بالأمـــاني وتنـــال الأربـــا
قم بنا نلعبْ ونطربْ ساعةً ... فصفاء الدهر يمشي خَببَـا

---

* ــ نقلاً عن مخطوطة.

**ــ ألقيت في فندق الخديويه بدمشق على جماعة من أصدقائه وهو يستعد لمعاودة النضال بالعودة إلى فلسطين، كما يقول مروان الطاهر. وقد روى لي بعض أبياتها أبو يوسف الكافي في بيروت في مارس ــ آذار / ١٩٨٢.

٣٣ ـ أحـاجـي
(في ذكرى وعد بلفور)

زعمـوا أنّ بخيـلا لم يجد   في حيـاةٍ لفـقير بنقيـر
عاش في الناس غصوبا حقهم   ورماهـم بخرابٍ وثبـور
جاءه الشحـاذ يومـا سائـلا   بعضَ ما يملك من مالٍ وفير
فأراه معـوزًا ذا كسْرة   قال: خذها منه من فضلي وخيري
وهب الشحـاذ ما ليس له   يا لطيب النفس والقلب الكبير!!
لا أسميـه فمـن يحزِره   إن من أعني هنا جدّ شهير
كلكـم يحزِره فهـو غدا   علمـا للكـذب عنوانـا لزور

★ ★ ★

وانثنى الشحاذ فيما ذكـروا   عندما عزّت على فيه الأماني
يطلب النصرة من سيّـده   قائـلاً: مالي بما شئت يدان
حبذا الكسرة لكنـي أرى   نيلها إمّا أحاولُ غيرَ دانِ
صاحب الكسرة لا يسخو بها   لسواه. ذو حفاظ مُبتغـان
هاتهالي منـه إني عاجـز   أنْ أعاني في مُرادي ما أعاني
فانبرى الظـالم يُدنيها له   وهو لم ينفكّ يدني غيرَ وانِ
من هو الشحاذ؟؟ ما أوقحه   لا يرى أوقح منه الثقلان
كلكـم يعرفـه، فهـو غدا   مثلا للذلّ، رمزاً للهـوانِ

★ ★ ★

طفـق المظلوم يشكو أمـره   فأتى يشكو إلى مَنْ ظَلَمَـه
قال: فالكِسْرةُ حقي ردّها   غير أنّ الظلم دنيا مظلمه
يرحـمُ القـوةَ أو يرهبُهـا   هل رأيتم من ضعيفٍ رَحِمَه
قسَّمَ الظـالم، مَنْ عَلّمـه   قسمةً عادلـةً، من علّمَـه؟؟
قال للشحاذ: خذ نصفاً وخذ   أنت نصفاً يا لَهُ، ما أظلمه
وحكى الشحاذ: بلْ لي كلّها   حقي الموروث، لا، لن نقسمه
فبكـى المظلـوم كي يرحمه   أو تُجدي العبرة المنسجمه
ما الذي يجدي إذن في مثله   ما الذي ينصف أهل المظلمه
ذاك سِرٌّ فاكتمـوه عنـدكم   إنّ من أودع سراً كتمـه

★ ★ ★

زعموا الشحاذ نال المبتغى   وهو لا يقنع بالشيء القليل
طَمَـعٌ لمّـا يزل من آدمٍ   وصمةٌ تُورث من جيل لجيل
مَدَّ عينيـه لأقصى ما يرى   ليس في ما نال مروٍ للغليل
قال للسيّـد أجهـزلي على   صاحب الكسرة ذي الظل الثقيل
لا أرى الكسرة تحلولي إذا   لم يكن ذو الحق فيها بالقتيل
ردّه السيّـد عن هذا ولم   يرضَ والعلاّم أدرى بالدخيل
قال: يا شحاذ نقصيه إلى   مَهْمَهٍ ليس له حدٌّ قحيل
قال: هذا نصف حلّي خاطىءٍ   وأنا أكره أنصاف الحلول
منطقٌ أعوج مَنْ يفهمه؟؟   أين قل لي، أين أصحابُ العقول
مَن تُرى يعرف ذا الرأي الذي   قيلَ قدماً؟؟ أزْرِ بالرأي المقول
هكذا الوجدان إمّا يشترى   ليس للرحمة فيه من سبيلِ

★ ★ ★

وروَوْا أن كسيحاً مُقعَداً   رام أن تدعمه يوماً دِعامةْ
فرأى الشحاذَ في بنيته   فتمنى لو شفاه وأقامه

قال يا شحاذ أقرضني يداً ... إنَّ مَنْ يُقرضْ يداً يلقَ أمامه

غنني صوتاً وساعدني أقُمْ ... فلقد قامت على عهدي القيامه

ولك الدنيا وما تبغي إذا ... قمتُ من بلوى كساحي بالسلامه

وحكى الشحاذ: خُذ عكازتي ... ثمَّ أقطعني غداً دار إقامه

فانبرى المقعد يهذي كلماً ... هل فهمتم يا أولي الفهم كلامه

هل عرفتم من تُرى أعني؟ نعم!! ... إنني قلت لكم فيه علامه

إن يُرِدْ فليقطعَنْ من داره ... ليس من دار سواه، لا كرامه.

★ ★ ★

ذكر الراوي وطالت قصة ... أمهلوني، أروِ عنه ما ذَكَرْ

نسي الشحاذ والكفرُ به ... شيمةٌ. كم أنعم كبرى كَفَرْ

نسي المعروف من أسياده ... إنَ نسيانَ يدٍ إحدى الكُبَرْ

ورد البئر صدى حتى ارتوى ... ثمّ ولىّ ورمى فيها الحجر

كان كالذئب تغذى حلباً ... من شياهٍ فتعدى فَبَقَر

أعمل المخلب في سيّده ... أما في طريق العقال عبر

من ترى يعرفُ ما أعني؟. نعم!! ... إنها ليست بحاجٍ للفكر

إنها أحجيةٌ مكشوفةٌ ... كلكم يعرف مثلي ما الخبر

★ ★ ★

ومشى المحروم في روض المنى ... واشتهى لو نال من بعض الثمارِ

كلما مدّ يداً يجني انثنت ... يدهُ ملأى بِغُرمٍ وخسار

قال: فلأصعدْ على هامي فتىً ... يُقْرب القاصي ويحمي لي ذماري

فامتطى ذاك الفتى أكتافه ... واستوى مثل مليكٍ في اغترار

واستطاب القَعْدةَ العليا ولم ... يجن شيئاً غير صيتٍ واشتهار

قال: فانزلْ أنت لم تجن جنىً ... ولقد طال اصطباري وانتظاري

لا أرى لي فيك جدوى إنما ... أنت مضّاغُ كلام وفخار

فأبى الراكبُ أن ينزل عن ... عرشه وهو كما تعلم هارِ

من ترى يعرف هذا؟ كلكم ... عالم بعض الذي أعني وداري

يحكم الأُمة من يخدمها ... حسب ما تأمر يمشي ويجاري

أيها القوم وهذي قصة ... وبها وجه لفكرٍ واعتبار

فسروها مثلما شئتم ولا ... تسألوني واقبلوا مني اعتذاري.

★ ★ ★

غير أنّي قبل تركي سائل ... عن ضياء لاح في حُلك الدياجي

حينما أبصره كوهين لم ... يهْنَ عيشاً فهو منه غير ناجي

كان يرجو بسواه دولةً ... وغدا لما رآه غير راجي

إن نشأ نجعله سيفاً صارماً ... يذبح الغُمة والكرْب المفاجي

نبتةٌ لما تزل ريّانة ... انتجت خير ثمار ونتاج

كلما زدنا به زيتاً يزد ... نوره الوهاج نوراً كالسراج

من ترى يعرف ما أعني؟ نعم!! ... إنكم تدرون تفسير الأحاجي.

---

* ــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** ــ ألقيت القصيدة في فندق فلسطين بمناسبة ذكرى وعد بلفور. ويعتقد مروان الطاهر أنها قيلت عام ١٩٤٧.

*** ــ يرمز الشاعر إلى: الانكليز ــ اليهود ــ روزفلت ــ رئيس حزب العمال البريطاني ــ الزعماء الفاسدين ــ صندوق الأمة.. إلخ.

٣٤ ـ تَبَسَّمْ

«من رسالة إلى صديق عبوس»

إنْ تَجد باب الأماني مغلقاً　　لا تكشَرْ وتلُمْ من سكَّرَهْ
إنّ بواب الأمـــاني مرحٌ　　يبغض اليأس ويخشى الكَشَرَهْ

فَتَبَسَّمْ يا عزيـزي

يا عزيزي، هل ترى الكشْرة قد　　أرجَعَتْ من فائتٍ بعد فوات
بينا البسمةُ أدْنَتْ قاصيـــاً　　أوَ ما جرّبتَ سِحْرَ البسمات؟

فتبسَّمْ

إنّ دنياك رياضٌ خيـرُ ما　　تتجلى في ثغــورٍ تتضاحكْ
لا يكنْ ثغرك ثغـراً زمَّــه　　ما تلاقي منْ [ألاقٍ] فتماسَكْ

وتبسم يا عزيـزي

فلْيفضْ وجهُك بِشْراً [مُدّعىً]　　كره الناس على الدهر العبوسا
هل ترى التقطيبَ حَلّى مُرّةً　　أم تراه رفَّه العيش البئيسا

فتبسَّمْ

قد كَفَتْ أهل الورى أشجانهم　　لا تزدْهم شَجناً فوق شَجَنْ
شارك الناس ضحوكاً ضحكَه　　ونأوْا لم يشْركوا أهل الحَزَنْ

فتبسم يا عزيـزي

والمُنى كالطفل لا يَقْرُبُ من　　ذي عبـــوس متمادٍ في دلالْ
وذوو الفـــن قديماً جعلـــوا　　فاتنَ البسمةِ سرّاً في الجمالْ

فتبسّم يا عزيـزي

إنّ للعـــيش طريـــقين، هما　　الجِدُّ في ضِحْكٍ وجِدٌّ في بكاءْ
لا تَقُـــلْ أُجْبِرتُ في شرهما　　فَلَكَ الخيرة وآخترْ ما تشاءْ

يا عزيزي

ثُمّ: ما ساءك من هذي الدُنا　　ما الذي ردّ لك الطرفَ كليلا؟
إنّ دنياك.. التي تَصْنَعُهـــا　　فَسِّرِ الأشياء تفسيراً جميـــلا

فتبسّم يا عزيـزي

إن يكـن ساءك ظلـم فادحٌ　　كم جهـولٍ ظالـمٍ لا يَعلـــمُ
يتقـــاوى كي ترى قُوّتَـــــه　　ـيس إلاّ.. فهو جهلاً يظلمْ

فتبسم

إنْ يكن خانك خلٌّ في هوى　　وتـــذوقت مريـــــراً غَدرَهْ
فهـو أعفـاك وأخلى عامـــداً　　شقةً في القلب أسكن غيـرَه

وتبسم، يا عزيزي

إنْ يكـن راعك قصرٌ نقصُه　　فهو قد أُنقِصَ كيلا يَنْهَدِمْ
أو يكـن راعك وجهٌ قبحُهُ　　فهـو مشروعٌ لوجهٍ لم يتـمْ

فتبسم يا عزيـزي

في كفاحِ الناس لا تَعْبسْ فما　　آبَ بالغُنْم عبوسٌ في كفـاح
ربّمـــا فُسِرّتِ البَسْمَـــةُ إنْ　　تبتسم للفوز أو حُبّ الصَّلاح

فتبسَّمْ

أرأيت الموت في شِدّتِـــــــه　　كم بأنظـار الـورى قد قَبُحـا
حين تلقـاه تَبسَّم كيـف لا　　وهـو مجهولٌ وسرٌّ فُضِحـــا

فتبسم يا عزيـزي

تُشبِهُ البسمـةُ تكشيراً وقـد　　خاف كل الناس تكشير الأسَدْ
فتبسّم علّ بغيـــا يرعـــوي　　وتـــــبسم عَلّ ظلاّماً يُردْ

وتبسم يا عزيـزي

* ــ راجعنا النص على ثلاث نسخ:

١ ــ الأولى: بخط يد الشاعر.. وهي لا تحتوي الفقرة رقم ــ ٢ ــ في ترتيب النص.

٢ ــ الثانية: صورة لنسخة أخرى بخط يد الشاعر، احتوت على الفقرة رقم ــ ٢ ــ من النص. وهي تخلو من الفقرة رقم ــ ٣ ــ في ترتيب النص.. والفقرة رقم ــ ٤ ــ. والفقرة رقم ــ ٥ ــ. والفقرة رقم ــ ٩ ــ.

٣ ــ النسخة الثالثة: أنظر: مجلة «المهماز» ــ عدد ٣٧ بتاريخ ٢٢ / كانون أول / ١٩٤٦ ــ حيفا، فلسطين. وهي ناقصة، لأنها تخلو من الفقرات: ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٦ ــ ٧ ــ ١٢.

٤ ــ إن وجد خلاف في بعض الكلمات لجأنا إلى حلّين:

١ ــ اعتماد النسخة الأولى أي التي بخط يد الشاعر وتفضيلها.

٢ ــ كلما وجدت الكلمة مرتين في النسخ الثلاث فضلناها على الرواية الثالثة.

٥ ــ وقع هذا الخلاف في الأبيات التالية:

١ ــ الشطرة الأولى من البيت الأول في الفقرة الثامنة: «ثم ما ساءك من هذي الدنى» وردت في النسخة الأولى والثانية.. بينما وردت في نسخة المهماز على النحو التالي: «ما الذي أشجاك من هذي الدُنا».

فقمنا بتفضيل الصيغة الأولى لسببين: لأنها وردت في النسخة الأولى بخط يد الشاعر. وثانياً: لورودها مرة أخرى في النسخة رقم ــ ٢ ــ وهي صورة عن نسخة ثانية بخط يد الشاعر.

٢ ــ في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم ــ ١٠ ــ نجد: «إن يكن خانك خلّ في هوى» موجودة في النسخة الأولى ونسخة المهماز أيضاً. بينما وجدت في النسخة الثانية المصورة: «إن يكن خانك إلفٌ في هوى».

٣ ــ في الشطرة الأولى من البيت الأول من الفقرة رقم ــ ١١ ــ نجد: «إن يكن راعك قصر نقصه» في النسخة الأصلية الأولى.. كذلك نسخة المهماز. بينما نجد في النسخة الثانية: «إن يكن ساءك...».

٤ ــ في الفقرة الأخيرة من القصيدة: «خاف كل الناس تكشير الأُسد» موجودة في النسخة الأولى الأصلية.. كذلك في النسخة الثانية المصورة.. بينما نجد في نسخة المهماز: «خاف أهل الأرض تكشير الأُسد».

٦ ــ في نسخة المهماز مقدمة نثرية كتبها الشاعر عن مناسبة القصيدة.. وهي مقدمة طويلة آثرنا تلخيصها.. والرواية تتلخص في أن الشاعر ذهب مع صديق له وقرينته (يعتقد أنه الدكتور أحمد كمال) إلى تل أبيب لكي يشتري الصديق كتاباً علمياً من إحدى المكتبات. وكان الشاعر يرتدي لباساً عربياً في أيام العطلة بدلاً من الملابس الإفرنجية.

فدخل الصديق وقرينته في المكتبة أولاً وأخيرا صاحب المكتبة أن الشاعر «نشال يلاحقهما مّن يافا». ثم دخل الشاعر بلباسه العربي وأخذ يقلب الكتب الانجليزية. وصاحب المكتبة يراقبه حذراً ولم يكن الشاعر على علم بمقلب صديقه. فتقدم صاحب المكتبة من الشاعر وأمره بالخروج وإلا فسَيَسْتَدعي قوات الأمن. فانتبه الشاعر لمقلب صديقه وكان بين يديه كتاب شعري لأحد الشعراء الانكليز المعارضين «فقلت لصاحب المكتبة: هل تقرأ العربية وتفهمها؟!. قال: نعم.. قلتُ: والانكليزية؟! قال نعم.. قلت: إذاً أترجم لك بعض ما جاءَ في هذه القصيدة الانكليزية إلى العربية شعراً.. فما صَدّقَ.. فترجمت له بعض أبياتها. فصعق لساعته!!. وأخذ يعتذر لي. أما صاحبي الظريف فقد سحب قرينته الفاضلة وراءه راكضاً خوفاً من تغرير صاحب المكتبة».

٣٥ ـ بديع الشعر

بديع الشعر أروعه خيالا   وأقربه إلى صدق مقالا
وليس أعزّ صوغاً من قوافٍ   معانيهنّ تُفْتَعَلُ افتعالا
ومن فضل الجميل عليك ألاّ   تضيق به لدى مدح مجالا
فمهما قلتَ قال الناس : حقٌّ   وإنّ الحق أجدر أن يُقالا
وما الشيخ الكريم سوى معين   لفضلٍ لذّ علاًّ وانتهالا
تسربل بالتُقى والعلم حتى   تهيّب منه شيطاني جلالا
فإن إن لم يسْمُ في مدحيه شعري   فذلك أنه معنىً تعالى
وحيّرني به فضلٌ أأطري   به وجهَ الوسامة أم خلالا
شبابٌ مثل زهر الروض نضْرٌ   وعقلٌ في النُهى اكتهل اكتهالا
وقلبٌ بين جنبيه كبيرٌ   على الايمان يشتمل اشتمالا
فلو مثّلتَ في الدنيا مثالاً   لكل فضيلةٍ كان المثالا
تَجمّعت القلوب على هواه   فلم تُرد القلوب له زوالا
وشاهدُ حُبِّ أقوامٍ لمرءٍ   تَفَجُّعهُمْ إذا رامَ ارتحالا
وما حبُّ الورى إلا دليلٌ   على أن الحبيب زكا فعالا
وأنّ الشيخ من دون القضاة الثلاثة صاحب البشرى فنالا
ومن يَشْهَدْ له الأقوام حقّت   أطال الله مدّته أطالا
أطلّ الشيخ في نابلس بدراً   تماماً لم أقل قمراً هلالا

فلا عجبٌ إذا ما غاب يوماً   لأن البدر يَطْلُبُ الكمالا
فدارتُه هنالك وهو فيها   يلوح لنا غداً أبهى جمالا
وإنّ به لما يجدي بلاداً   وإنّ به لما يهدي ضلالا
نودعه وفي المرغوب ألا   نودعه ولكن لا ملالا

* ـ يُعتقد أنها قيلت في : الشيخ محمود حتّون ـ أحد علماء نابلس.

** ـ صورة عن نسخة بخط يد الشاعر.

٣٦ ـ أخاف من العيد

أخافُ من العيدِ روحي بِهِ　　أحِسُّ بها من أسىً رازحـةْ
وأبكي به من مآسي الحياة　　ومن سخريات لها فاضحةْ
به يرتدي الناسُ ثوبَ الرياء　　حَقيقتُهُـمْ تحتـه واضحـةْ
فهـذا يُغنـي وفي لحنـهِ　　مقاطعُ من نَوْحِهِ النائحـةْ
وذاك تهلّـلَ عن بسمـةٍ　　بعيـدةِ عهـدٍ به كالحةْ
وذلك راضٍ بِمَقْـدورهِ　　وفي الصدرِ نفس نَزَتْ طامحةْ
وذاك أطمـأنّ إلى يومـهِ　　وفي روحهِ قَلَـقُ البارحـةْ
وكلهمُـو كتـمتْ نَفْسَهُ　　سرائـرُ ليستْ بها بائحـةْ
وكلهمّـو في حنايـاه نارٌ　　أكولٌ لما قد حوت جائحـةْ
ولكننـا نحن أهـل الشعـور　　نرى الحب باللفتـةِ اللامحةْ
فصدّقْ، إذا قلتُ ـ لا فارحٌ　　بعيـدٌ هنـاك ولا فارحـةْ

★ ★ ★

وماذا هناك؟؟ هنـاك جيـاعٌ　　لقد شبَّ فيهم سُعارُ الجَسَدْ
وماذا هناك؟ هنـاك العبيدُ　　يَضجّـون تحت ثقيـل الصَفَدْ
هنـاك الثكـالى فكم والـدٍ　　دهـاهُ الزمـانُ بثكـل الولـد
هنـاك القلوب التي حُطّمتْ　　على صخرةٍ من جفاءٍ وصد
هنـاك، هنـاك الأُلى يرهبـون　　غداً أن يجيء وأقربْ بغد!!
هنـاك الدمـوع هنـاك الأنين　　هناك القنوط هناك الكمد...
أفي العيد شيء يسرُّ النفوسَ　　ويـأتي إليها بما قد تَوَدْ؟
وإن كان... ما نعمةٌ لا تَعُمّ　　فَتُوريَ نار القلا والحسد؟

وما فرحةٌ مثلُ ومضِ البروقِ　　وليست تدوم دوام الأبـدْ

★ ★ ★

إذا رَّق إحساسُنا في الوجودِ　　وأضحتْ نفوس لنا شاعره
إذا هدأتْ نزواتُ الحيـاةِ　　التـي في جِبلّتِنـا ثائـره
إذا ائتلفتْ في طريق المحبةِ　　أرواحُنـا النَكْـرةُ النافـره
إذا ما صهرنا قيودَ العبيد　　بنـارٍ من القـوة القاهـره
إذا الذئب عَفّ وألقى الأمان　　على الشاةِ من فتْكـةٍ غادره
إذا ما نعمنا بلقيـا المنـى　　وقوتِ رغابٍ لنا حائـره
إذا أطعِمتْ من لذيذ الكرى　　عيونٌ على رُغْمها ساهـره
إذا نحنُ لم نذكر المحزنـات　　بفقـد التذكـر والذاكـره
إذا كان هذا فثمـة عيـد　　وتلك مظاهـره الساحـره
وثمه يَحسنُ وجـه الحيـاة　　فتصبـح فتانـة ناضره
وتجمـل دنيـا زهدنـا بها　　وإلا.. فموعدنـا الآخره

---

* ـ أذيعت هذه القصيدة من دار الإذاعة الفلسطينية بالقدس بتاريخ ـ ٢٦/١٠/١٩٤٧م، وقد أذاعها الشاعر بنفسه.

** ـ نقلاً عن نسخة مكتوبة بالآلة الكاتبة (حديثة جداً) تعود للثمانينات.

*** ـ في البيت الثامن والعشرين ورد ما يلي: إذا لم نحنُ نذكر المحزنات. والأصح هو: «إذا نحنُ لم نذكر المحزنات».

**** ـ في البيت الثاني والعشرين ورد ما يلي: «التي في جبلنا...». والأصح: جبلّتنا لكي يستقيم الوزن.

٣٧ ــ بعض اللزوميات:
أفكار في «لزوم ما لا يلزم»

١ ــ مُدّعي الشرف:

عجبتُ لمدّعٍ شرفاً رفيعا ... وفيه سبّة الشرف الرفيع
يضرُّ كما أضرّ له جدودٌ ... ويفخر، نِعْمَ مفخرةُ النفيع
يُشفِّعُ أصله المذموم جهلاً ... وليس سوى الحامد من شفيع

٢ ــ هكذا قَسَم الإله!؟

بَغى في قسمة الأرزاق ناسٌ ... وقالوا: هكذا قسم الإلهُ
وقالوا: إن أحبَ الله عبداً ... برزقته المُقَدَّرَةِ ابتلاهُ
دعونا إن يكن هذا صحيحاً ... يَرَ الفقراء معبوداً خلاهُ
رأيتُ القلبَ إما ضاقَ صبراً ... بمحبوبٍ لحرمانٍ سلاهُ
لقد وصفوا الإله بِشرِ ظلمٍ ... بما كذبوا. تَنَزَّهَ في عُلاهُ

٣ ــ نحنُ إلى الجُرَءاء بحاجه:

يُحاجينا أخو جبنٍ بقولٍ ... ولو عَرَفَ الجراءَةَ لَمْ يُحاجِ
يَخاف فلا يبين ونحن قومٌ ... إلى الجَرْءاءِ في حق بِحاجِ
فَدَعْنا نُلْهِ عنك بِحَلِّ قَيْدٍ ... وعالج أنت خَرْبَصَةَ الأحاجي

٤ ــ أنصفني فأنا أخوك:

أتينا للحياة فَلي نصيبٌ ... كما لَكَ أنتَ في الدنيا نصيبُ
فَلِمْ تَعدو وتغصُبنى حقوقي ... وتطلب أن يُسالمكَ الغَصيبُ
أعَذْلُكَ قال أن أسعى وتجني ... وأطّلبُ المعاش فلا أصيبُ
فأنصفني ولا تُجْحِفْ فإنّي ... أخوكَ إذا دهى الخطْبُ العصيبُ

٥ ــ غريب بين الناس:

ألي من هادمٍ جِسْمي فُتاتا ... فَجابِلِ طينتي فَمُعيدِ سَبْكي؟
فيعبكني بهذا الناس، إني ... غريب بينهم، ويجيد عَبْكي
فإنهمّوا رأوْا ورأيتُ شيئاً ... فراحوا يضحكون ورُحْتُ أبكي
كأني من روايتهم «نَشازٌ» ... سَها الراوي فلم يَحْفل بِحَبْكي

٦ ــ سأفلقُ قلبَ الظلم:

لغير فؤادي بابنة الكَرْم سكرةٌ ... وسَلْوى، وغيري هامَ في عطرِ الرّيق
وما سَكَري إلا دمُ الظلم مُهْدَراً ... ومن لحمه نُقْلي وفي القَحْف إبريقي
ولِمْ يكُنِ الظلُّ الذليلُ بمقعدٍ ... لنفسي، ولكنْ عِثيرُ الحربِ مِشْريقي
سأفلق قلبَ الظلم أبغي طريقةً ... إلى الحقِ كيما يسلك الناس تَطْريقي
يُحاول تفريقي عن الحقِ مُبْطِلٌ ... وَحَقِّكَ لن يَسْطيعَ ذو الحَوْلِ تفْريقي
سأطلب حقّي لا أكِلُّ مجاهداً ... ولو كان تمزيقي هناك وتَحْريقي

٧ ــ النضال شيء يُحَبُ لذاته:

جعلتُ نضالي الظلم هَمّاً ودَيْدَناً ... لأنّي به حُلّتْ لديَّ المَعاضِلُ
فأحْبَبْتُهُ حبيّ الحياة بفضلِه ... عَلَيَّ، ولا تُنْسَى لديَّ المفاضلُ
فواعجبا، إن نلتُ غايةَ مطلبي ... غداً، فيمَ ألقاني أعود أناضلُ؟؟
وإن وصلتْ أرضي رغابي مُطيعةً ... فهل لسمائي عن وصاليَ عاضلُ؟؟

٨ ــ أَمَمٌ تباع !!

رأيتُ الظالمين سباعَ غدرٍ   لعمرك دونهم غدْراً سباعُ
سباعُ الوحش قد تعدو جياعاً   وهُمْ أكلوا الحرامَ وهُمْ شباعُ
وقد منعوا الرقيق على خداعٍ   فدونَكَ هذه أممٌ تُباعُ

٩ ــ هل هذا كلام؟ :

وقال الظالمون وقد تمادوْا   بظلم الناسِ: بغيتنا السلامُ!!
وإمّا رامَ وضعَ النير عبدٌ   وفكَّ قيوده غضبوا ولامُوا
وقالوا: ثائرٌ يبغي اهتداماً   لعالمهمْ. فهل هذا كلامُ؟
فإن ننظر إليهم باحتقارٍ   وإنْ نحقد عليهمْ هل نُلامُ؟

١٠ ــ مُضَلَّلٌ !!

عذيري من جريحٍ راح يَشْفي   جراحاتٍ تَنَزَّت بالطلاسمْ
يَرى نُجْعَ البَلاسم لاشتفاءٍ   ويُعرِضُ لَيسَ تُعجبُه البلاسمْ
يَطِّبُ لدائه لَسَماً ويغضي   على خَسْفٍ يَمرُّ لَدى الملاسمْ
إذا لم تضطربْ في أخذ حقٍ   إليك بقوةٍ فالعارُ لاسِمْ

١١ ــ يا راحم الحيوان :

«عرفته كريماً على الحيوان، بخيلاً على الإنسان. وهو يكرز دائماً للرفق بالقطط وينهر السائل ويدعُّ اليتيم».

يا راحم الحيوان من آلامهِ   هلاّ رحمتَ من العَناءِ أخاكا
قاسمتَ قِطّكَ في رخاك ألم يكن   أولى ابنُ آدمَ في اقتسامِ رخاكا
يشقى ببخلك غُرْبُ دارك، لم يذُقْ   إلا القِطاطُ العُجْمُ طعمَ سَخاكا
أسفي على من يغسلون بدمعهم   عن طيلسانك إن صَخِيْتَ صخاكا
تلخى بآيات التراحُم كاذباً   فَيُؤَمِّنون على كذوبِ لَخاكا

١٢ ــ آفة الشعب الرئاسة :

أرى شعباً تنوءُ به الرزايا   فيقتلني التأسّف والرثاءُ
كأنّ شبابه الريّان لمّا   تأوَّفَهُ أخو ظُلمٍ، غُثاءُ
وآفته الزعامة وهي شرٌّ   أما للشرِّ ياناس انتفاءُ

١٣ ــ الشعور الرقيق يعذّب :

لماذا فظَّ هذا الناسُ قلباً   ورقّ لكي يعذّبني شعوري؟
يرون فلا تَهيجُ لهم دماءً   مشاهِدُ ناكئاتٌ بي نُعُوري
ولي أذنٌ ذَعورٌ، ليت أذني   من النشَجاتِ لَيسَتْ بالذَّعُورِ
رَمَتْ نفسي سهالتُها بكَرْبٍ   وأنفُسُهمْ نَجَوْنَ من الوُعورِ

١٤ ــ مشكلة القوافي...!

أرى المعنى بقلبي جد وافٍ   وإن أنظمه يصبح غير وافِ
فأبحث عن بقاياه فألقى   بقاياه بأسنان القوافي
فواتعباً، تَعَوفتُ المعاني   ولم تتعبْ وعَبَّتْ في عوافي
وإمّا كنت في جنات عدْنٍ   تجرر بي لصحراء السوافي
أتعشرنا القوافي في قصيدٍ   كما عَشَرَ الحَجيجُ على طوافِ؟؟
فهل من شارع شرعاً صحيحاً   يوافينا الحقوق على توافِ

١٥ ــ بلاء النصوص بالتفسير :

جعلوا حجة الأمور نصوصاً   وبلاءُ النصوص بالتفسيرِ
أي نص يقولُ في ربح قُلّ   وبقاء الكثير في تخسيرِ
ونفوسٍ قد نُوِّلتْ شهواتٍ   ونفوسٍ باتت على تحسيرِ
ما نصوصٌ تيسيرها لقويٍّ   والضعيفُ الضعيفُ في تعْسيرِ

١٦ ــ جاهل يتعالم: «في جاهلٍ قال العقاد: إن الحق صائر إلى الفناء»

تعالـــمَ كي يقـــال له عليم   ورأسك، ليس حرفاً من عليم
تَنبـأ أنّ حقـاً سوف يفنـى   أتـلك نبـوءةُ العقـلِ السليم؟
جنـــونك قد أضلّكَ لا ملامٌ   إذا ما شُكَّ في عقل المَليـمِ
وليس بضائـق عن طيش طفلٍ   ولا عن هَذْرهِ صدرُ الحليـمِ

١٧ ــ اشتهرتْ بتمر:

يُقال: البصرةُ اشتهرتْ بِتَمْـرٍ   سَلُوا، هل يملك الفقراء تَمْرَهْ
هناك على جناح العـزّ ناسٌ   ونـاسٌ من معاوزهـم بغَمْـرَهْ
فهل أمرُ الزنوج له مَعـادٌ!   وكم شيءٍ. كرهتُ حَمِدتُ أمره

١٨ ــ رؤوس تَمكّنَ منها العنكبوت:

أحاول أن أصلح الفاسديـنَ   فألقـى محاولتـي كَالعَـبَثْ
تأصّلَ فيهم خبيـثُ الـفسادِ، ولـن تستطيع جلاء الخَـبَثْ
فكيــف ودون الـــذي تبتغيـــه سمومُ التفـــرقِ فيهم تُبَثْ
فكم ذا تَشَبَّثْتُ كي تصلح الرأس لكـنْ تمكّـــنَ فيها الشّبَثْ
تسير على نَبَثِ الظالميـــنَ ولـــيست تحيـــد عمـــىً عن نَبَثْ

١٩ ــ الحقيقة الضاله:

حقيقتنـــا على أرضٍ ولكـــنْ   دهينـــا نبتـــغيها في السمـــاءِ
كما سَمَكٌ له عيشٌ بماء   يحاول أن يعـــيش بغير ماءِ
ولم تسق السمـــاء لنـــا نميراً   فيطفىءُ غلّةَ القوم الظمـــاءِ
سينكشف الغِشاش الزيـف عنها   ويبلغها القمـــيء على قمـــاءِ

٢٠ ــ الوضعُ الجائرُ جلاّد:

أُجالدُ وَضْعاً قام في الناس واقفاً   على أمّ رأس الخير وِقْفَـةَ جلاّدِ

وأهتك سِتـراً عن بشاعة سُنَّةٍ   وشِرعَةِ بُطْلٍ لا ترى الحقَّ مِصْلادِ
وإن لم أُبَدّلْ فيه سَوْءَى بضدّها   فكيف اعتذاري أن تُلَوِّمَ أولادي؟؟
حوى البغي مِقْلاد المعايش ظالماً   وضربُكَ وجهَ البغي أوْقَعُ مِقْلادِ

٢١ ــ إنّ التظاهر بالتّقى شِرْكٌ..!!

يحاول أن تديـــن له رقـــابٌ   بنفسٍ، في قباحـاتٍ، وَديـــنِ
يصلي الخمس يُتبعُهـــا انتفـــالاً   وديـــني، إنّهـــا شركٌ ودينـــي
فليس يَعِفُّ عن مال اليتامى   ولا عن عِرسِ ذي الفقر المدين
يكَفّـــرُ عن خطايـــاه بحج   وهَـدْيٍ للأضاحـــي بالبَديـــنِ
وما نفعي إذا ما استَلّ روحي   أخـو ظلم فيـندمُ أو يَديـــني
ويَسْتَـــدنُ المصلي غير أن الفضائـــلَ دونهـــا صُفُـــقُ السَّديـــنِ

٢٢ ــ برمت بهذا الناس: *

برمتُ بهذا الناس حتى كأنني   أقمت مُقامي فيهمو بين حيّاتِ
وزهّـــدني فيهم قلـــوبٌ حقيرةٌ   حُشـينَ بأهواء وأخبث نيّـاتِ
ولي نفسُ حرٍّ لا ترى العيش لذةً   بخلطة أخلاطٍ ودنيـا دَنّيـــاتِ
فعدتُ بشعري لا أراهم كراهةً   لأوجههـم، ثم انعزلت بأبيـاتي
هنـاك بأجواء الخيـالات ملجأً   لنفسٍ عَليّ أولعتْ بعليّـــاتِ

* ــ دققنا نصوص اللزوميات على ثلاث نُسخ:

النسخة الأولى: صورة طبق الأصل عن خط يد الشاعر وهي مكونة من أربع صفحات في الأصل. لكن الصفحة الثانية ناقصة. وتحتوي النسخة كلها على ــ ١٢ لزوميه كما يبدو من ترقيم الشاعر. أما الصفحة الثانية الناقصة فتحتوي على الأرقام: ٤ ــ ٥ ــ ٦ كما في الأصل. ويبقى منها: تسع لزوميات هي: مدعي الشرف ــ هكذا قسم الإله ــ نحن إلى الجُرَاء بحاجة ــ مضلل ــ هل هذا كلام ــ أم تباع ــ الشعور الرقيق يعذّب ــ غريب بين الناس ــ آفة الشعب الرئاسة. وجميعها بعنوان «بعض اللزوميات».

والملاحظة الثانية هي أن الشاعر كتب بخطه على اللزومية: «غريب بين الناس»

وعلى اللزومية: «هكذا قسم الإله» ما يلي: نشرت بمجلة «الغد»ــ عدد ٣٧ــ السنة الثانيةــ في ٢١ / شباط / ١٩٤٧.

النسخة الثانية:

١ ــ أنظر: مجلة «الغد»ــ العدد ٣٧ بتاريخ ٢١ / شباط / ١٩٤٧: أفكار في لزوم ما لا يلزم للشاعر الحر عبد الرحيم محمود. وعنوان فرعي: «من مجموعة: لو كنت ذا مال لطبعتُها» وهي تشمل أربع لزوميات: هكذا قسم الإلهــ غريب بين الناســ النضال شيء يحبــ مشكلة القوافي.

٢ ــ أنظر: مجلة «الغد»ــ بتاريخ ١٦ / نوفمبر ــ تشرين الثاني / ١٩٤٥، حيفاــ فلسطين: في رياض الشعر: عبد الرحيم محمود. وقد نشرت ثلاث لزوميات هي: أنصفني فأنا أخوكــ سأفلق قلب الظلمــ يا راحم الحيوان.. ويبدو أن عنوان «في رياض الشعر» عنوان من المجلة وليس من الشاعر.

النسخة الثالثة:

نسخة حديثة العهد مكتوبة على الآلة الكاتبة وتشتمل على عشرين لزومية لكن رقم ــ ٢٠ ــ ناقصه وهي «يا راحم الحيوان» فقد احتوت على بيتين. وهذه النسخة تشمل نفس اللزوميات في النسختين السابقتين. ولكن هذه النسخة أضافت اللزوميات التالية: بلاء النصوص بالتفسيرــ جاهل يتعالمــ اشتهرتْ بتمرهــ رؤوس تمكّن منها العنكبوتــ الحقيقة الضالةــ الوضع الجائر جلادــ برمت بهذا الناس.

كذلك لا بد أن نشير إلى أن لزومية «آفة الشعب الرئاسة» موجودة في النسخة الأولى بخط يد الشاعر بدون عنوان. بينما أخذنا العنوان من النسخة الثالثة وهو مكتوب بخط يد السيد مروان راضي الطاهر.

ويبقى أن نقول إن النسخة الأولى والثانية هي الأكثر وثوقاً. بينما نعتمد في النسخة الثالثة المكتوبة على الآلة الكاتبة والتي تضيف ٦ لزوميات، نعتمد على ثقتنا بالسيد مروان راضي الطاهر باعتباره أحد أصدقاء الشاعر أو كما أسميناه «اليد الفلسطينية الأمينة».

** ــ إستبدلنا في اللزومية رقم ــ ١ ــ كلمة «المذءوم» بكلمة الذموم ما دام المعنى نفسه في الكلمتين

وثانياً: في لزومية «أمم تباع» وردت الشطرة الأولى من البيت الثالث على وجهين بخط يد الشاعر: «وقد منعوا الرقيق **لِما** خداع» وشرحها الشاعر بنفسه بالقول إن «ما» زائدة. أما الوجه الثاني فهو «وقد منعوا الرقيق **على** خداع» وهي أيضاً بخط الشاعر. وآثرنا استخدام الوجه الثاني.

وثالثاً: في لزومية «سأفلق قلب الظلم»: ورد في الشطرة الثانية من البيت الأول التالي: «وسلوى، وغيري هام في عطر الريق» وقد وردت في نسخة «الغد» مطبوعة وفي النسخة الثالثة. ثم وجدنا في طبعة «مكتبة بلدية نابلس العامة» ــ ١٩٧٥ أن كلمة «الريق» استبدلت بكلمة «الرمق» وهذا الاستبدال خاطىء تماماً لأنه يخالف إيقاع اللزومية.

ورابعاً: ورد في لزومية «هل هذا كلام»، في الشطرة الأولى من البيت الأخير كلمة «بآمتكار». وقد استبدلناها بكلمة «باحتقار» بدلاً من الكلمة الأولى التي وردت بخط يد الشاعر.

وخامساً: ورد في لزومية «رؤوس تمكّن منها العنكبوت» ــ في النسخة الثالثة ــ في الشطرة الأولى من البيت الثالث «وكيف دون الذي تبتغيه». وقد صححناها على النحو التالي: «فكيف ودون الذي تبتغيه....».

سادساً: لاحظنا ضعفاً في صياغة الشطرة الأولى من البيت الثاني من لزومية «بلاء النصوص بالتفسير». ومع هذا أبقيناه كما هو.

***ــ يوجد في النسخ الثلاث شروح لمعاني بعض المفردات. ومع أننا ضد إثقال النص بالشروح إلاَّ أننا رأينا إثبات الشروح التي وضعها الشاعر بنفسه فقط.

١ ــ المذءوم: المذموم. ٢ ــ يحاجينا: يحزّرنا. ٣ــ خربصة: حل. ٤ ــ النقل: ما يؤكل مع الشرب. ٥ ــ القحف: عظمة الدماغ. ٦ ــ العثير: غبار الحرب. ٧ــ المشريق: المكان الذي يجلس فيه في الشتاء لمواجهة الشمس. ٨ــ التفريق: الفصل. ٩ــ التفريق (في لزومية سأفلق قلب الظلم: البيت الخامس: الشطرة الثانية) بمعنى: الإخافة. ١٠ ــ صخي صخاً اتسخ. ١١ ــ يلخي لخاً: يريد في الكلام الباطل. ١٢ ــ الطلاسم: السحر والشعوذات. ١٣ــ لَسما: خجلاً وعيّاً. ١٤ ــ الملاسم: المذاقات. ١٥ ــ لاسم: لازم. ١٦ ــ الجرح النعور: الذي ينزف بكثرة. ١٧ ــ الذعور: التي تُذعر لسماع القبيح. ١٨ــ النشجات: البكاء بصوت. ١٩ ــ يَغبِكْ: يخلط. ٢٠ ــ الحبك: هو تساوق القصة وانسجامها كما يقول فن القصص. ٢١ ــ الشَبْثُ: العنكبوت. ٢٥ ــ النَبْثُ: الأثر. ٢٦ ــ تعوفت: تعبدت. ٢٧ ــ تعشرنا: تأخذ العشر. ٢٨ ــ تواف: تام. ٢٩ ــ الغشاش: السحاب المرتفع. ٣٠ــ القميء: الصغير الحقير. ٣١ ــ مصلاد: الناقة لا حليب لها ينتفع به. ٣٢ ــ مقلاد: مفتاح. ٣٣ــ يستدن: يحرس. والسّدين: الستر الكثيف الصفيق.

****ــ لزومية «النضال أمْرٌ يُحبُّ لِذاته»: وجدنا كلمة «لذاته» في العنوان في نسخة قصيدة «تبسم» مكتوبة بخط يد الشاعر بشكل منفصل عن القصيدة. بينما نشرت في نسخة مجلة «الغد» بعنوان «النضال شيء يحب». وفضلنا استخدام العنوان الأول لأنه بخط يد الشاعر.

**** *ــ لزومية «برمت بهذا الناس» بخط أحد أقرباء الشاعر.

٣٨ ـ كتاب أضاءَ ...

كتابٌ أضاءَ دياجي الظلم   ودلَّ الأنـام لأهـدى أمم
أشاعَ الجمال بقبح الحياة   وأفشى الحياة ببـالي الـرمم
وسلَّ السخـائم من أكبـدٍ   غلاظٍ وبيَّضَ منها السخم
وألقى السلام على العـالمين   فذاقوا حلاوة طعم السلم
أناغيم لمّا شداهـا الشداة   أصاخ الزمان لحسن النغـم
وصحّى النيام، نيام القلوب   فقام الأذانُ وخرَّ الصنـم
أقال عثـار الخصال الملاح   ورسّخ للمكرمـات القَـدَمْ
مَعين الفضائـل للناهـلين   فإما يخوضوا يخوضوا الخضّم
كتـاب حكيم فمـن فيضه   على العالمين لأهل الحكـم
ومن يمتلىء حكمـةً قلبُـه   أصاب من الخير شيئاً عظم
أقام السيوف بوجه البغاة   فلمّا أنابـوا أقـام القلـم
وقلَّمَ أظفار شَرْسِ الذئاب   فلم تخش بطش الذئاب النغم
وقاد الرعاة، رعاة الشياه   فصار الرعاة، رعـاة الأمم
كتاب تركنـاه يا حسرتـا   فصرنا نعَضُ بَنـان النـدم
وَهنّا على النـاس من بعده   فَعرض أبيـح وأهريـقَ دم
وقد كان يبعث فينا الحفاظ   ويبعث فينا القوى والهمم
وقد كان يجمع منّا القلوب   فأيـان من بعـده الملتئـم
فخـارتْ عزائم من بعـده   وصرنا سلاب الوغى نقتسم
وكانت لنـا عزّة المؤمـنين   فصرنا العبيد وصرنا الخدم
فتلطـم منـا عزازُ الخدود   وندعو بخير لمن قد لطم!!؟

وكنا الزّغام لأنف العداة   فصارت أنوف لنـا تُرتغم
وكنـا الأبـاة فلا نحتـذى   فأين الإباء وأين الشمم؟!
حيينا بغير الكتاب الحميد   حيـاةً وأفضل منها العـدم
وما رغبة الحُرّ من عيشةٍ   هضيم الحقوق مبـاح الحرم
إذا لم تكـن ذا زئير يدوي   ففيك بأذن الأعادي صمم
وإنْ رمتَ تشكو الذي قد أصابك   قالوا تَجنى وقالـوا ظَلَـمْ
تيقظ ويكفيك هذا الرقاد   فمن رام نيل العلى لم يَنَمْ
ويكفي تشكي العذاب الأليم   فقلب المعذّب ما إن رحم
يسُنُّ التـألم حدّ النفـوس   فهل سَنّ نفسك هذا الألم؟
إذا لم تزاحم لنيل الحيـاة   أصبت فناءك في المزدحـم
وإن لم تكن رحماً في الطيوب   تنشك غداة الصراع الرحـم
تدججْ سلاحاً فحولك ناس   تدجـجَ من رأسه للقـدم
وخير السلاح كلام الإلـه   فَجَل الإلـه وعـزّ الكلـم
فإما اتبعتَ أزالَ الكروب   وإما تلـوت أزاح الغمـم
وقال لنا اعتصموا يا عباد   وليس سوى حبله معتصم
وقال تآخوا أيـا مؤمنـون   ولكننا قد قطعنـا الرحـم
وقـال لنـا وأعـدّوا لهم   فماذا ادخـرتم لما قد ألم؟
بما قد عصينا كلام الإلـه   جنينا السُبات وسوء الندم
فيا قوم عودوا إليـه يَعُـدْ   إلينا الفخار ومجد القمـم
كتـاب منيـرٌ فمـن نوره   أنيروا غياهب هذي الظُلَمْ
وداووا بما فيـه أسقامكـم   ففيه دواء يزيـل السقـم
كلام العظيم عظيم الكـلام   فعزّ العظيم وعـزّ الكلـم

* ـ نقلاً عن مخطوطة.

**ـ ألقيت في احتفال كلية النجاح (العام الدراسي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) بحفلة ختم القرآن.

٣٩ ــ «ليلة ذات فجرين»

ليلة هبّت بها ريح الخزامى   فسرت راحاً بأرواح الندامى
نقـلت بشرى بفجـــر طالما   قد تمنته الديـاجير القدامى
حلـم لابت عليــه أنـــفس   ملئت جهـلاً وظلمـاً وظلاما
كم تمناه الحيـارى في الدجـى   وتمنـــاه ضعـــاف ويتامـــى

راقبـــوا الصحـــراء تأتيهم به   بلسم الجرح، شفاء وسلاما
من رأى أميّة قد علـــمت   كل هذا الناس عدلاً وذماما
علمتهم إنما الحسنى هي الـروح، ما الحسنى شراباً وطعاما
ليس بالخبـز حياة وحـــده   لا وليس المجد في الدنيا حطاما
هذه الصحـراء في إعجازهـا   عزّت الصحراء فعـلاً وكلاما
لا تعجّبْ!! فهي نبع الروح كم   أنبـــعت عزّاً وأمجادا ......
حملت طه فلمـــا ولـــدت   أطرق الكون جلالاً واحتراما
ولـد الآس فطابت أنـــفس   قد تنزين جراحـاً وسقامـــا
هلّ والدنيـــا جحيم قاتـــل   يحرق الفضل لهيباً واضطراما
جاء طه والليـــــالي حلك   فبدا في مبسم الدنيا ابتساما
وَدَ ماض فرّ لو يشهـــــده   والغد الوامق لو كـرّ أماما
سوّد العـــرف. وأعلى رحمة   وأقال العقل من كبو فقاما

حمل القـــرآن نوراً في يدٍ   واليد الأخرى بها هزّ الحساما
والحسام العضب أجدى حيلةً   في الذي يبصر لكن.. يتعامى
هلّ فارتاحت قلوب شغفت   من سخيمات هباباً وسخاما
فمحـا عن أوجـــه قتـــرتها   وجـلا عن أنـفس قتم قتاما
وأشاع العـــدل لا شاء ولا   أذؤب ترقب للشاء ......
قال: يا إنسان لا تزهد وكن   بين أخـراك ودنيـاك قوامـــا
وأحِبَ النـاس لا تغـدر بهم   إن من يغدر بهم يلق إثاما
شرعــــــة لو وردت ما   أنـفس تردى وهـام تترامـــى
من رأى من قبل هذي ليلة   ذات فجريـن ينيران الظلاما
من رأى الصحراء يروي ماؤها   الخصب إذا اشتـدت أواما
من رآهـا فتّـــقَتْ أكمامهـــا   عن أزاهير يزيّــن الكمامـــا
من رأى الصحراء تهدي تائهاً   حاد عن قصد سبيل فاستقاما

---

* ــ نقلاً عن مخطوطة.
** ــ يحتمل أن تكون قد نشرت في جريدة «الدفاع». وقد قيلت بمناسبة عيد الميلاد النبوي.
***ــ يقول راضي الطاهر: هناك صدر بيت ضاع عجزه ويأتي ترتيبه بعد البيت الرابع عشر. يقول صدر البيت: «ودموع تغرق الروح أسىً....».

٤٠ ـ لمّا اكفهرّتْ أوجه الليالي

لمّا اكفهرّت أوجه الليالي وساد في الناس عمى الضلالِ
وحكَم القيصر في البرايا حكومةً ليست على مثال
وراح كسرى بهير الأواني ينوشهم بمخلب ......
وقسّم الناس إلى مطايا وسادة تظلم ولا تبالي
وانعدم الضمير في البرايا وأجبر العقل على العقالِ
واشتبه العدل فلا جريءٌ نقرّه بقطعة العدال
واقتتل الناس على خطام أحقر من قتلٍ ومن قتال
رآهم الله وهم عيالٌ والله ذو الرحمة بالعيالِ
فقيّض العُرْب لهم دليلاً يهدونهم لأوضح الدلال
والعُرْبُ خير الناس منذ كانوا رسلٌ من الرحمان ذي الجلالِ
كلّفهم وهو بهم عليم حمل رسالات الهدى الثقال
إن يستجر حقٌّ بهم يكونوا حواله الأسياف والعوالي
قد نبعوا والحق من معين فما له عنهم غنىً بحالِ
ألا تراه ضائعاً مضاعا بين أعاجم الورى الرّذال
نحن نحق الحق إن نصرنا وإن خذلنا صيبَ بانخذال

★ ★ ★

وقام طه داعياً إليه يهيب بالنساء والرجال
دعا لإطلاق النهى وكانت مغلولة الأطراف بالأغلال

دعاهم لما استوت لديهم محارةٌ وصادق اللالي
فعبدوا الأصنام عن ضلال كذا تكون غفلة الجهّال
دعاهمو إلى الذي يحييهم من فاخر الخصال والخلال
فلم يجب غير قليل نزرٍ قد تغلب الكثرة بالقلال
فناضل الناس على اعتقاد والعزّ والمنعة بالنضال
لم يكفه نصح لهم وقول فالقصد لا يدرك بالمقال
يا سنّةً شرّعها فعولٌ فاعتبروا يا ماضغي الأقوالِ

★ ★ ★

يا أسفاً يرى الفتى شراراً آلوا بنا لأسوأ المآلِ
يرى شراراً ضيّعوا بلاداً وحللوا ما ليس بالحلالِ
فيَغُضُّ الطرفَ على أذاهم يقول: دعهم ما لهم ومالي
إن عشت في الخير وكان غيري يسدر في الشرِ فلِمْ أبالي!
كممهل لخارق سفيناً يهوى بها لأهوال المهالِ
يسأله كي يرعوي سؤالاً واللطف والرقة بالسؤالِ
لا يرعوي السفيه من عتابٍ بل يرعوي بالصفع بالنعالِ
تذكروا الجلاء وهو موتٌ طاحت حظوظ المستكين الحال
فصاولوا فيما ترون حقاً لا يمنع الحق سوى الصيال
ولترأبوا صدوعكم للقيا ما خبّأت في رحمها الليالي
لا يرأب الصدع قلوب هوجٍ تغلي بها مراجل التغالي
عوامرٌ بالكذب والدنايا عوامر من التقى خوالي
موحلة إذا تبق جفّت وانفرجت عن أقذر الأوحال
تريد دكّ الصرح وهو راسٍ ماذا يُلقّى ناطحُ الجبالِ
ظلّت صروحاً شمخاً وأوهى قرْنَيْهِ فيها أحمق الأوعال

★ ★ ★

حارب طه أهله حروباً   شابت لها مفارق الأطفال
يا مثلاً يضربه قوماً   والدين، أحلى الدين في الأفعال
إنّ الألى وأبوك أهل قربى   ليس الألى عادوك بالأهالي
وأي أهل طغمةٌ سفالٌ   باعوا الحمى وأهله بمال
نقرضهم ألسنة رقاقاً   وهم نذير الشؤم والوبال
ونسلق المحسن وهو أحرى   بالمدح والتبجيل والإجلال
يالي من الذبيح كيف راءى   ذابحه لم يحتقره يالي

★ ★ ★

يا قوم أيان أراكم قوماً   يكيل نفس الكيل للكيّال
يقوم يباع بكم خطيباً   يخطبكم في منطق الأطفال
يشتم أذيالاً لكم طهاراً   وذيله من أنجس الأذيال
فتنقب الأيدي له اصطفاقاً   ويخرق الأذن الهتاف العالي
والعامل الصامت ليس بحزبي   يعيش فيكم عيشة الغزال
والعابث اللاهي يريد دنيا   ينال منكم أجمل النوال
تقلونه لقالةٍ هذاهـا   وهو أحق الناس بالإنزال
غرقان في الحمأة راح يغلو   يُلفتكم عن نفسه كالآل
يا خبرٌ لم يروهِ رواةٌ   ليست سراة الناس كالسفال
يا ناحت الأثلاث وهي طهرٌ   ما أنت من مفاخر الأثال
أبو الحُصين سبَّ قطّفاً لمّا   رآه صعب الأخذ والمنال
لو قسّم الإخلاص في ثياب   لنلت منها هلهل الأسمال
في بلد سارت به ركبانٌ   أغنية ومضرب الأمثال

★ ★ ★

وظل طه داعياً صبوراً   يهدي غواة القوم غير آل
وكم حسا من غيّهم تفالاً   وعلقم الأكؤس في الثفال

من يحمل العظائم احتساباً   ما آده عظائم الأحمال
حتى إذا ما أيأسوه صبراً   آذنهم بهجرة القتال
هاجر كي يرجع في جيوشٍ   مشحوذة النفوس والنصال
إنّ الذي قد صُمّ عن كلامٍ   تسمعه طوالق النبال
هم أضرموا عليه نار حربٍ   لم يخبها.. مشبوبة الشعال
ومَنْ كطه أسداً هصوراً   إن قيل يوم الملتقى نزال
ومن كأصحاب له شدادٍ   يلوون باليمين والشمال
ضحّوا له أرواحهم رخاصاً   من يطلب الغاليَ ضحّى الغالي
فقطرت دماؤهم وهاداً   ضاع شذاها في ذرى الأعالي
كم عقدوا عندهم سماءً   ثم انجلت عن أجمل المجالي
وانكشفت حقائق حسانٌ   قد أشبهت عرائس الخيال
إنّ رعاة الشاء والجمال   أضحوا رعاة الحق والجمال
وأمّةٌ أميّةٌ تصدّتْ   تعلم المنحط ما التعالي
نغرف من بحر كتابٍ فيه   معادن الإيمان والكمال

★ ★ ★

والتفتت تحسدهم يهودٌ   أهل الخنا والذل والختال
ونقموا أن أرسلوا وربي   أعلم من أجدر بالإرسال
وكان لا بُدّ من احتكام   والسيف أملى خبره الأمالي
عداوةٌ لمّا تزل تنزّى   تورثها الأجيال للأجيال
وعادت الحرب لنا عواناً   يا للشداد البأس والأبطال

★ ★ ★

قُريظةٌ عادت لكم فعودوا   وارجعوا أيامها الخوالي
وخيبرٌ قامت لكم فدكّوا   ولا تقيموا دارس الأطلال
قد حسبوا الغاب غدا مباحاً   وأنّه من الأسود خالي

فاتلوا عليهم سُوَراً صعابا … تظل تتلى عبرةً للتالي
قد مات فرعون ولم نرثه … غير سياط مرة النكال
نعملها في أظهر ذلالٍ … كأظهر الحمير والبغال

★ ★ ★

طافوا على الدنيا وما استراحوا … ولم يسعْهم من فلاها فالي
عَقّوا فعاشوا في الورى نفايا … كذاك عقبى منكري الأفضال
حتى إذا ضاقت بهم رحابٌ … ودوفعوا كمبغض الصلال
عادوا لنا وقعتهم سوداءٌ … وعاد سنحاريب حزقيال

★ ★ ★

يا قوم في هجرة طه ذكرى … لأمجد الأمجاد في الأوالي
فهاجَروا من مكّةَ الأقوالِ … ليثرب الأخلاق والأعمال
وهاجروا من بطّلات سؤلٍ … وبئس داراً دارة الإبطال
يا قوم ليس الحق في هندامٍ … ولا بقطع الأرقب الخوالي
ولا بتشتام الألى تنادوا … للمة الأبداد والأفلال
ولا بتهويش ولا خطابٍ … الحق كل الحق في الفعال
فكم مريرٍ حليَ ادعاءً … ولن تدوم دولة التحالي
الحق سلطانٌ له دوامٌ … وسلطة الباطل للزوال
وجاهِدوا في معشرٍ أنذالٍ … باعوا الحمى للمعشر الأنذال
وقدِّموا الأموال، لا كلاماً … أمامَهُ ما قيمة الأموال!!

* ـ نقلاً عن مخطوطة.
** ـ ألقيت في قاعة بلدية نابلس في ذكرى الهجرة النبوية.

كتابٌ لا يفيه المدح

كتابٌ لا يفيه المدح قولُ … وذكرٌ من قوافينا أجَلُّ
ولو سلك الكواكب في قصيد … بذاك النسج جانبه، يقلُّ
خصيب النثر إن باراه حَدْبٌ … وبحر الشعر إن جاراه ضَحْلُ
تنزّل والضلال له خيامٌ … أناخ الناس فيها واستظلوا
بليلٍ حالك الجلباب جونٍ … إذا نقلت به قدمٌ تزلُّ
قضى في الأرض بطش واعتسافٌ … وحكَّمَ في أمور الخلق جهل
يُصال على الضعاف ولا يُراعى … بمضعوفٍ هوى ذِمم وإلُّ
وضاع الحق في الدنيا فروحٌ … تُسَلُّ بريئةً ودمٌ يُطلُّ
وسار الناس في صحراء شرٍ … وتاهوا في المسير وما استدلوا
ودارت أعين الضُلاّل حيرى … على نجم به أملٌ يُطِلُّ
يضمون الأكفَّ على صدورٍ … بلا ما قد حوت سخم وغِلُّ
وهلّ محمدٌ معه كتابٌ … فيا للنورِ من نورٍ يهل
فقَرت أعينٌ وارتاح بالٌ … وطابت أنفسٌ والتمّ شملُ
وطبّ الآي فاندملت جراحٌ … بغير الآي ليس لهنّ دَمْلُ
وأشربت النفوس تُقىً وكانت … هواها قبله بغي وبُطْلُ
وحق الحقّ في شاءٍ وذئبٍ … ورفرف في سماء الأرض عدلُ
فلا حِلٌّ يُحرِّمُهُ قويٌّ … بقوته ولا حَرَمٌ يحلُّ
ترسّم نهجَهُ ناس فعزّوا … وكان لهم بثوب المجد رفْلُ
أطاعوا أمره فعلوا عُلَوّاً … ومن يعمل بأمر الله يَعْلُ
وطاف به على الآفاق عُرْبٌ … همو للخير والإيمان رُسْلُ

فما إن صَدَّهـمْ بحرٌ خِضَمٌّ ... وما إن ردَّهُمْ حَزْنٌ وسهلُ
إذا قُسمت رسالاتٌ بخلـقٍ ... تحمّـل قوم أحمَدَ ما يَجُـلُ
هم القُضُبُ المواضي مُغْمداتٌ ... وإمّا حاقت الجُلّـى تُسَلُّ
تُسَلُّ على أبـالسةٍ سفـاراً ... شفاراً لا تَكِـلُّ ولا تُفَـلُّ
وسادوا الناس ما شدّوا عليهم ... ولا تاهـوا بعـزّتهم وذلّـوا
لهم بالله والقـرآن حبـلٌ ... به اعتصموا ولا يحكيه حبلُ
وكانوا المورد الصافي لعطشى ... لهم من عَذْبـه نهلٌ وَعَسلُ
وجاءوا بالروائع من عقولٍ ... وبـالآيات ليس لهن مِثْـلُ
وجاء وراءهم نسل أضاعوا ... جنى أتعابهمْ فلبسَ نسلُ
تنافرت القلـوبُ فلا وداد ... وفُرِّق شملهم بَدَداً فذلّـوا
وهانـوا لا تعـزّ لهم قنـاةٌ ... على الأعداء، فانكسروا وغُلّوا
وناموا لا تفيقهُمُ خطـوبٌ ... ولا نبأ الجِلاد المضمئـلُ
يدوس حرامهم طيرٌ بُغاثٌ ... ويقهرهم من الأقوامِ سفْلُ
عجبتُ لمعشر فيهم كتـابٌ ... به طرق الهداية كيف ضلّوا
تباع بلادهـم وهُـمُ عليها ... وأيـديهم بها شُحٌّ وبُخْـلُ
أعدّ لهم أعاديهم سلاحـاً ... وعدَّتُهم لها خُطبٌ وقـولُ
فأين حدائد تزجى ونـار ... وأين عرمرم لجبٌ وخيـل
وأين الناس؟ قد صاروا لسوءٍ ... ولا بأسٌ ولا حَوْلٌ وَطـوْلُ
إلى القرآن عودوا يا حيارى ... ففـي طيّاتـه عِبَـرٌ تَدُلُّ
تَدُلُّ إلى المِحَجَّةِ فاتبعوها ... تفكوا رِبْقَةَ العاني وتُعْلـوا
هو القرآن ليس يفيـه قولٌ ... جليـلٌ من قوافينـا أجَـلُّ.

---

* ــ النص: نقلاً عن مخطوطة.

**ــ ألقيت هذه القصيدة في مهرجان ختم القرآن في كلية النجاح الوطنية في نابلس.

٤٢ ــ «وأعدّوا..» لم يَقُلْها ربكم عبثاً

يومِ مجدٍ فات ما أجمل ذِكْرَهْ ... فيه لو نفطن آياتٌ وعِبْرَهْ
فيـه أنّ الحق بانٍ حِصْنَـهُ ... قوةً لم يستطع ذو البُطْل هَدْرَهْ
فيه أنّ الفعل أجدى للفتى ... من كلامٍ. ما حمدنا قطُّ أمْرَهْ
فيه أنّ المال والأهـلِ إذا ... لم يجودا ضحّيا من أجل فكره
فيه إن هَمَّ فتىً فليقتحـمْ ... لا يخف ضحضاحَ ما ينوي وغمره
شرعةٌ علّمناهـا المصطفـى ... ليتنا نمشي على الشرعة إثره
فيحلّ السيـف ما عقّـده ... غادرٌ بيّت للأوطـان غدره
ليس مثل البطش في الدنيا فكنْ ... باطشاً يرهب أهل الأرض شرَّه
ضُيّع المضعوف لا ظفرٍ له ... ونجا المضعوف لو طوّل ظفره
ودمـوع الـذلّ مارقّ له ... قلب ظُلمٍ، إنّ قلب الظلم صخره
قوة المرء له حجتـه ... وهي إن يظلم تقف في الناس غدره
«وأعدّوا..» لم يقلها ربّكم ... عبثاً. فلتحسنوا في الذكر نظره
لم تكـن هجـرة طه فرّة ... إنما كانت على التحقيق كرَّه
كانقباض الليث ينوي وثبة ... وانقباض الليث في الوثبة سَوْره
ورمى في السوح أبطالاً لهم ... فوق سوح الموت تمراح وخطره
وانجلى العثير عن هاماتهم ... كلّلت بالغار من مجدٍ وفخره
نصروا الله فلـم يخذلهمـو ... بل جزاهم ربّهم فوزاً ونصره
فمشوا في الناس نوراً وهدى ... وبدوا فوق جبين الدهر غُرَّه
ركزوا أرماحهم فوق العُلا ... وحدا الحادي بهم عزّاً وشهره
وأتينـا نحن من بعـدهمو ... وأضعنا ما جنوا طيشاً وغِرَّه

يُثْغَرُ السور علينـا ونـرى   ثم لا نرتق بالأفعال ثغـره
ونرى الماكسر في أمجادنـا   ثم لا نفسد للشقوة مكـره
ونـرى حَدَّ حمانـا ناقصاً   كل يوم شطرةً من بعد شطره
ولنـا في كل يومٍ قالـة   فأرونا فعلةً في العمر مَرَّه
لا يصون الحدَّ إلا جدَّة   ويـذيب القيد إلا نار ثوره
ومذاق الموت أحلى في الوغى   من حياةٍ ضَنكَةٍ في القيد مُرَّه
ونفوس الخلق أعلاها التي   إن تعش عاشت وماتت وهي حُرَّه
لا تقولوا ما لنـا من قدرةٍ   إنْ تريدوا ينخلق عزم وقدره
إن فيكـم لبقايـا طيبـة   لم يزل في الدمّ مجراها وخيره
فانهجوا نهجاً قوياً واعملوا   واعملوا لا تبخسوا مثقال ذره
ما أضرّ الشعب كاليأس فإن   يئس الشعب يكون اليأس قبره
هكذا نقضي ولم تبدر لنا   غضبة في حقنا أيـة بدره
ولنا ثأر على الناس ومـا   نام من يطلب أن يدرك ثأره
هاجر الهادي إلى رجعى فإن   نحن هاجرنا فماذا بعد هجره
قد خرجنا أمس من أندلس   ودخلنا بعد في نيران حسره
وإذا نحن خرجنـا في غدٍ   هل يمنُّ الناس للأقصى بزوره
لا يخاف النـاس إلا ظالماً   فاظلموا ، كونوا ذوي بأس ومِرَّه
ليس يحمي الحق إلا فتكَةٌ   ويعيد الحق فينا غير قسره

---

* ــ نقلاً عن نسخة بخط يد الشاعر.

**ــ ألقيت في جامع النصر بتاريخ ــ ١٤ / ١١ / ١٩٤٧ . بمناسبة اتحاد جميع الأحزاب في يوم الهجره. وتحمل القصيدة ــ أصلاًــ عنوان «ذكرى الهجرة». ولكن بسبب تشابه هذا العنوان مع قصائد أخرى، فنحن نقترح عنوانين: العنوان الأول هو المذكور أعلاه. والعنوان الثاني هو «نار ثورة». وكلاهما مشتق من قصيدة الشاعر.

٤٣ ــ الفَلاّح

وتنـادوا لفـلاحٍ تَلْبَسوا   من لُجَيْنِ العزّ درعاً سابغَهْ
لا تلاغوا كالزعامات التي   جعلت غاياتها الدنيا لُغَهْ
وأقيموا حُجَّة الإخلاص في   الفعل، فالأفعال دعوى دامغه
كل أقـوال بلا فعـل وإن   تَبْدُ كالبلسم ليست سائغه
ظلّت الآمال تَتْرى دائمـاً   بالتمنـي نافـراتٍ زائغـه
بين كَلْـمٍ وكـلامٍ نسبٌ   ولذا نشكـو الكلوم البالغه
وقريبٌ من خُطوب خُطبٌ   كلهـا فيض الرزايا النابغـه

★ ★ ★

فلتكـن نذرتكـم دينـاً لها   تقتل النذرة والشر الفضيلهْ
وميول الخير فيكم شيمـةٌ   والطبـاعُ المستطاباتُ أصيله
عزّت القرية هل تغرسُ في   النفس إلا كل أغراس جميله
قدّمتْ للوطن الغالي الأضاحي   كانت لدى الجُلّـى نحيلـه
سبقت بالبذل من سابقها   من رآها في الورى غير بذوله
وإذا نادى المنادي أقدمتْ   ومشتْ في الناس للردع دليله
هي سيفٌ فله الضرب وقد   يشتكي السيف من كبرٍ فلوله
كم بغى الباغـون إذلالاً لها   فأبتْ لم ترضَ أن تحيا ذليله
ورستْ كالطود ما زَعْزَعَها   جلل الخطب فعاشت من قليله
أنتُـمُ منها فروعٌ يُنَّـعٌ   وقديماً أشبه الفرع أصوله
فاطلبوا عيش الكرامات ولا   تتركوا في نيل مرجاكم وسيله

إنما العاجز لا قول له … وأخو الهمّات لا يُعْدَمُ حيله
بورك الرزق إذا كان … التقى معه ، لا كان رزقٌ في رذيله
ليس للإنسان إلاّ ما سعى … وليكن عين التقى ما تستعي لَهْ

★ ★ ★

ضاق عنه الحظ في قريته … فانثنى يطلبهُ في المُدُنِ
وأتى يسعى وفيه قوةٌ … تبتني صرْحَ العُلا إذْ تَبْتَني
وليكن مُغترباً في سعيهِ … فالقُرى والمُدْنُ بعضُ الوطنِ
وله كالطير حق أن يرى … شادياً عن فَنٍ في فنِ
وبلادُ العُرْب أوطانٌ له … من ذُرى طوروس حتى اليمنِ
حقُّهُ هذا وما مِنْ مِنَّةٍ … إنه يرفضُ حمل المِنَنِ
روضُهُ هذا فمن حرَّمه … وأباح المعتدي الروض الجَني
لم يجيء مستجدياً بل معطياً … فهو من روح ومن عزم غني
وإذا غُرُّ الأماني رَجَعَتْ … طَفِقَتْ تنشد رحب السكنِ

★ ★ ★

أيها السامعُ منّي كَلِمي … لا تَقُلْ للناس إني مُغْتَرِبْ
هذه دارك فاعمرها ولا … تَبرمنْ ولتلقَ فيها ما تحب
وخُض الدنيا على أهواها … وَآسْعَ في نيل المعالي واضطرِبْ
وإذا صاح بك الداعي إلى … نصرة الأوطان يوماً فاْستجبْ
إبقِ أسباب الهوى موصولةً … أبداً لا تقطعنْ منها السبب
فهناك القوم كالقوم هنا … وإذا شَطَّتْ نواهم فاقترِبْ
كن رسولَ الأهل للأهل وَخُذْ … بيد المغلوب منهم إنْ غُلِبْ
لا تكن كالبدر رَجَّتهُ القرى … للهدى ثم توارى واحتجَبْ
جَدّدِ الذكرى إذا رثّتْ ولا … يطمس الهجران منها ما كُتِبْ
يسعدُ الإنسان في شقوته … باذّكارات التصابي واللعِبْ

وإذا لُقّي حظاً زاده … من نعيمٍ ذكر أيام النَصَبْ
قد رأيت الطير إن لاحت له … ذكريات العش غَنىَّ وطربْ
ورأيت الشبلَ إن ريعَ الحمى … وبه شَبَّ تأبىَّ وغضِبْ
وذميم بالفتى نسيانه … منهلاً منه تروّى وشرب

★ ★ ★

أيها السامع منّي قالتي … استمع لحنَ القرى عن مقولي
لم تكُ الندوة كي تعزلكم … وتعيشوا عيشةً في معزِلِ
عن بلادٍ أنتمُ أجنادها … وبكم تبلغ حلو الأملِ
عن قطيع طامعٍ في عطفكم … معوز منكم لخير العملِ
بل لكي تدخلكم في مَعْركٍ … خاسرٌ فيه مهولُ المدخلِ
لم يفكر من بناها عبثاً … لا ولم يبتنها كي يَعتلي
بل رأى الأيام تُزجي للوغى … بشباب لم يُعدُّوا عُزَّلِ
فيضيعون رخاصاً ما اهتدوا … للعلا أو توهوا في السبلِ
والمنى حلم بعيدٌ إنْ تَسِرْ … للمنى غير الطريق الأمثلِ
والذي يرنو بعينيه إلى … مثلٍ فَلْيَدْر مَأتى المثلِ
إنّ من يطلب الحق ولم … يرتشد يقض ولمَّا يصل

★ ★ ★

لا تكُ الندوةُ حزباً همّه … إلا دعاءات البوالي الفارغه
مثل أحزابٍ لنا قاصرة … ساقطات بدمانا والغه
ذاهباتٍ بقوانا بذراً … عالكاتٍ لكلامٍ ماضغه
أنتم الإبريز طِبْتُمْ معدناً … فاجعلوا الندوة هذي صائغه
قوّموا الأنفس فيها عوجٌ … وأصِحُّوا من ميولٍ زائغه

★ ★ ★

هذه الندوةُ معنى إسمها … في الملّمات التداعي والتنادي

لا تكن آذانكم مغلقةً ... إن يَصِحْ فيكم غداً داعي الجهاد
كل تشكيلٍ بلا جدوى إذا ... لم يكن مستهدفاً خير البلاد
نحنُ لا يقتلنا مثل الألى ... ظهروا فينا على هام العبادِ
ركبوا الشعب وقد أطمعهم ... فتمادوا أنه سَلْسُ القيادِ
تؤهونا عن سدادٍ، مَنْ فتىً ... منهمُ دَلَّ إلى هَدْي السَدادِ؟
غير من أوحش داراً نأيهُ ... وهُوَ الحاضر في كل فؤادِ
أرجع الله لنا أيّامهُ ... وابتلى بالقَطْع أسباب البعادِ

★ ★ ★

هذه الندوة عنوان القرى ... فاجعلوا عنوانها خير العَمَلْ
ولتكن ملقى البطولات بكم ... ولتكونوا كلكم ذاك البطل
ولتكونوا مثلاً في عِزَّةٍ ... عَلَّهُ أن يُحتذى ذاك المثل
ينظر الناس إليكم أملا ... لا يخب منكم للمهوف أملْ
اعرفوا الدربَ وسيروا إنّه ... كل من سار على الدربِ وَصَلْ
سَدَّدَ الله خطاكم ووق ... أعمالكم مَهْوى الزَلَلْ

* ــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد مروان راضي الطاهر.
**ــ ألقيت في الندوة القروية في حيفا. ولا يعرف تاريخها.

٤٤ ــ حوشوا البنات من الشوارع

حُوشوا البَناتِ مِن الشَوارِعْ ... أوْ ــ حَتِّموا لُبْسَ البَراقِعْ
فَبناتُكُنَّ مَوانِعْ ... وَشَبابُكُمْ وَالله مايِعْ
تلكَ الكنافةُ لا يليقُ.. ... بأنْ تَمُرَّ أمامَ جائِعْ
حتماً يُريّلُ من يَراها ... أوْ يَمُدُّ لَها الأصابِعْ
إنْ يُكْشَفِ العَسَلُ المُصَفّى.. ... فالذُبابُ عَلَيْهِ واقِعْ
(يا ليلْ) مِنْ لُبْسِ الحرير ... يشفّ عَنْ عَدَدِ الأضالِعْ
(يا عينْ) مِنْ هَزِّ النَهودِ.. ... وَمَيْلَةِ الجيدِ المُطاوِعْ
تمْشي الفَتاةُ فَتَنْثَني ... كالغُصْنِ تَثْنيهِ الزَوابِعْ
بَرَزَتْ لمَيْدانِ الغَرامِ ... ولَمْ تَجِدْ من ذاكَ مانِعْ
إنْ لَمْ يَكُنْ مَعَها الحُسامُ ... فطَرْفُها الماضي مُضارِعْ(١)
أوْ لَمْ تَهُزَّ من الرِماحِ.. ... فخصْرُها في الهَزِّ بارِعْ
أوْ لَمْ تُصارِعْ باليَدَيْنِ ... فَلَحْظُها السّاهي يُصارِعْ
ما بَيْنَ مُعْتَرَكِ المحاجرِ ... والقُلوبِ لنا مَصارِعْ
يا قَوْمُ وَيْحَكُمُ ــ كفى ... ما في البِلادِ مِنَ الفظائِعْ
تلْكَ الكَواكِبُ لا يجوزُ ... بأنْ تَبينَ عَنِ المَطالِعْ
مَشْيُ البَناتِ على الطَريقِ ... يَزيدُنا فيها مَطامِعْ
وَيَزيدُهُنَّ مَطامِعاً ... فينا، وهذا الأمْرُ واقِعْ
ولَرُبَّما غَلَبَ الغَرامُ.. ... على العَفافِ فباتَ ضائِعْ
يا بِنْتُ فَلْتَتَحَجَّبي ... كَمْ في حِجابِكِ مِنْ منافِعْ
لا تَتْرُكي سفْرَ الجمالِ ... لكُلِّ ذي عَيْنٍ يُطالِعْ

عَرْضُ البَضَائِعِ في الأنـامِ   مُسَبِّبٌ رُخْصَ البَضَائِــــعْ
وَالـحُسْنُ خَيْـرُ بِضَاعَــةٍ   فَلْتَحْفَظِيــــهِ عن الشَّوارِعْ

* ـــ نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث ـــ الطيبة المثلث ـــ ١٩٨٥ ، تحقيق حنا أبو حنا:
من قصائده المبكّرة، نظمها في ٢٤ / كانون الثاني/ ١٩٣١ ، وكان طالباً في «كلية النجاح» في نابلس، في سنة تخرُّجه، وفيها الكثير من الدُّعابة ومرح الشباب.

١ ـــ مضارع: مشابه، ويقصد مضارع للحسام، ولا بدّ من الإشارة إلى براعة التورية في كلمة «مضارع» في وقوعها بعد الماضي، مما جعل في الماضي أيضاً تورية.

٤٥ ـــ قطر الندى!!

ووجنتـاكِ ورود الـروض بللّهـا   قطر الندى من لَماكِ العذب فانفتَحتْ
لهفي على قُبلةٍ أطفي بها ظمأي   ما ضَرَّ فاطمة لو أنّها مَنَحتْ !!

* ـــ نقلاً عن مخطوطة.

** ـــ قيلت بمناسبة زيارة (فاطمة رشدي. الممثلة المصرية) لنابلس عام ١٩٣٠.

٤٦ — نجوى المُحتَضَرة

دنا الموتُ مني «أبا جعْفرٍ»   وغاض الجمالُ وزاغَ البَصرْ
سأقضي غداً فالوداعَ الوداعَ   وداعَ الفراقِ وداعَ العُمُر
وأعبر برزخ هذي الحيـاة   وكل عنـاء له مستقـر
لكَ اللهُ! سَعَرتَ نار الهوى   بقلبي وجانبتَ حين استعر
فكنت أنادي الحريقَ الحريقَ   وناديتَ: يا نار كوني أحَرْ
وما كنت تعطف عطف العشيق   وتحنو حُنوّ الحبيب الأبـرّ
تعذبتُ في الحب من في الهوى   تذوّق الذي ذُقتُ؟ مَنْ في البشر؟

* * *

أهنتُ عزيزي وأسلمتُ نفسي   إليك لتَرضى ألا تذكـر
وخالـفتُ أهلي وعاديتُهُـمْ   وهم مثلما قد علمت الغُيُرْ
وحاذرتُ منك النوى والصُّدودَ   ولم يُغْنِ عني شديدُ الحَذَرْ
وها أنت قد بنْتَ واحسرتاهُ   وغادرتنـي لعـذارى أُخَـرْ
ولم يبق منك سوى ذكريات   ولم يبـق لي منك إلا صُوَرْ
فها أنت في الدير تشكو الهوى   ومن ألمِ البعد لا تختصِر
وها أنت تبكي بكاء الرضيع   فأمتصُّ من مقلتيكَ العِبَر
وأرمي بنفسي على ساعديك   فترفـق بالخصر لا ينـكسر
تدغدغ نَهْـدَيَّ يا للغـرام   ويـا للزمـان تقضى وَمَـرّ
وهـا أنـذا في فراش الممات   أتسمع نجوى التي تحتضر؟

يقولـون بي خفقـانُ الفـؤاد   وقـد كذب القائلـون الخبر
بعينـي رأيت فؤادي الكسيرَ   من الصدرِ خَفَّ إذا طرتَ فرّْ
فأتبعتُـهُ زفـراتِ الحزيـن   وشيعتُهُ بدموعـي الهُمُـر
يرف حواليك رفَّ الأقـاح   ويحميك من كل عاد وَشَرّ

* * *

عجبت لقلبي يصونُ العهودَ   ويوفي العهود لمن قد غدر
فليتك يا قلب لما عَلِـقْتَ   به صَرَعَتْكَ أيادي القـدر
لقـد قدتني لسبيل العثـار   ومن كان هاديه أعمى عثَرْ

* * *

لِمَ الذُّلُّ يا ربةَ الكبريـاءِ   لإذلالُكِ النفس إحدى الكُبَرْ
ستقضين عما قريب فمـا   يهمك من هجر من قد هجر
تناسيه لا يزدهيه الغـرور   فيشمت قلبٌ له كالحجـر

* * *

أموت وتهوى من الغيد غيري   لهذا من الموت عندي أمَرّْ
أبعدي تهون على من تُحبُّ!!؟   ليَ اللهُ! غائـرةً تستعـر

* * *

وددتُ لو أنكَ بين اليدين   أضمُّكَ للصدر ضَمّاً عَسِرْ
وألتف لف الأفاعي عليك   وأنظرُ سُمِّيَ فيكَ انـتشر
ويجمعنـا مَيّتيْـنِ السريـرُ   ويـا طالما جمعتنـا السُّرُرْ
وتقضي ويقضين حزناً عليكَ   ولم يقض منك سواي الوطر

* * *

ولكن لماذا؟ بَلِ ابْقَ ابْرَاهيمُ   وخذ في هوى الغيد بعدي وذر

سأصبر باقيَ هذي الحيــاةِ   وأيُّ الأحبــــةِ مثلي صبر
ولكن تعال وقف فوق رأسي   وقبّلْ مَعينَ اللّمى والحَوَرْ
وبلّــلْ مُصَوَّحَ وردِ الخدودِ   بدمعكَ الساجــم المنهمــر
أموت «أبا جعفر» فالـوداعَ   وداعَ الفراقِ فراقَ العُمُــرْ

* ـــ المختصره: يقصد (ماري الصفوري) حبيبة الشاعر ابراهيم طوقان.

** ـــ «أبا جعفر»: إبراهيم طوقان.

*** ـــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر: مجلة «الأمالي». السنة الأولى، العدد ١١ ، عام ١٩٣٨ .

٤٧ ـــ بيني وبين قلبي

قلتُ لقلبــي إنها كافــــرةْ   تعبُدُ يا قلبُ صليبَ المسيحْ
في حَمْأة من شرِّها سادرةْ   تطيع من ضل وتعصي النصيح
وقــلبها كالــريشة الحائـــرةْ   تنأى على ريح وتدنو بريح
تبيـــع للسائح كالتاجـــرةْ   وتشتري تطلب بيعَ الربيح
فقـــال هذي حجـــةٌ قاصرةْ   ليس بها يُشفى المُعَنّى الجريح
بل هي عنـدي زهرةٌ ناضرةْ   وكل ما فيها جميــــلٌ مريح

لم يهتـد القـلب ولم يسمـــع

قلتُ: ولكـنْ زهـرةٌ شمَّهــا   قلبكَ يا قلبُ كثيـرُ العَـدَدْ
يا ربَّ ذي وَجْدٍ لَقَدْ ضَمَّها   فارتاحَ بالضَمةِ مما وَجَـــدْ
أولت له في صبوةٍ جسمها   ونَـوّلتْ ما لم يُنَــوَّلْ أحَــدْ
حتى إذا ما أفرغت سُمهَّا   تَتْرُكُهُ يشقـى شقاءَ الأبَــدْ
شيطانـــةٌ قد شابهتْ أمهَــا   يابئسـت الأم وبئس الولَــدْ
قال وإن هَوَّلتَ لي ذمهَّـــا   «فَحَسَنٌ في العين ما قد تَوَدْ»(*)

لم يهتـد القـلب ولم يسمـــع

* ـــ حَسَنٌ في كل عين ما تَوَدْ: عجز بيت لعمر بن أبي ربيعه

** ـــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر مجلة «الأمالي». السنة الأولى. العدد ٨ ، عام ١٩٣٨

٤٨ ـ سلمىٰ ارحميني

سلمىٰ ارحميني وارفقي   بي يا حياة.. دخيل ربّكْ

لم أدر قبلك ما البكا   ء وما التذلل قبل حُبّكْ

لو تعلمين فتى الحروبِ   أنا ولكن ليس حربكْ

بي للعداة مصارعٌ   ومصارعي غمزات هدبكْ

ليلىٰ أسرتِ فأحسني   وأري الأسير حنان قلبكْ

---

* ـ تروى «ليلىٰ» بدلاً من «سلمىٰ» في بعض الروايات. كما يستبدل البعض «دخيل ربّك» وهو تعبير شعبي بـ«بحق ربّك». وقد فضلنا التعبير الشعبي لما له من حيوية.

**ـ النص: نقلاً عن مخطوطة.

٤٩ ـ راح الذي بيننا

روحي فقد راح الذي بيننا   كالبارح السالفِ ما إنْ يعودْ

روحي ولا تأسي على حالتي   وآنسَيْ مواثيقي وخوني العهود

لا تحملي من عهد ذكرِ الهوى   إن الهوى صعبٌ وحِمْلٌ يؤود

روحي فقد راح الذي بيننا

دمعي الذي أذللتِ كفكفتُه   أوّاهُ كم أذلَلْتِ لي من دموعْ

وجرحُ هذا القلب لملمتُه   وأطفيءَ المُحْرَقُ بين الضلوعْ

وعقلـيَ الهائمُ أرجعتُه   ولم أكن آملُ منه الرجوعْ

روحي فقد راح الذي بيننا

روحي فما الإشراك من مذهبي   ولست أرضى في حبيبي الشريكْ

أنا أنانيٌّ ولم أرضَ أنْ   أرَى على قلبكِ غيري مليك

أبوكِ لو أوْليتِهِ نظرةً   كَرِهتُ دنيايَ ودنيا أبيك

روحي فقد راح الذي بيننا

خلعت من قلبي نبات الهوى   وتحت أقدامي لقد دُسْتُهُ

وخفتُ من قلبي ضلال الهدى   ورجعةُ الماضي فَحَطَّمْتُهُ

إن عاد قلبي للذي قد مضى   أتيتُ بالنار وأحرقتُهُ

روحي فقد راح الذي بيننا

إذا تلاقينا فلا تنظري   أرى وميضَ الغدْر في ناظرَيْكْ

ولا تشيري ولا تومئي   وَدِدْتُ لو تُقطع كلتا يديك

روحي فقد راح الـذي بيننـا ⠀⠀ ولعنـةُ الحبِّ وقلبـي عليـك

روحي فقد راح الـذي بيننـا

روحي ــشبابي ــ أنت أيأستهِ ⠀⠀ من أملٍ زالِك رجـاهُ الشبـابْ

لا تذكـري الماضيَ ماذا به؟ ⠀⠀ هل ذقتُ في حُبِّكِ إلا العذابْ

كتـابُ ماضيكِ أسىً كلُّـــهُ ⠀⠀ لا تقرأي فيه بَلِ إطْوِي الكِتابْ

روحي فقد راح الـذي بيننـا

---

* ــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر مجلة « الأمالي » ، السنة الأولى ، العدد ٣ ، عام ١٩٣٨ .

**ــ كما روجعت أيضا على :

أ ــ مخطوطة بخط يد الشاعر . ب ــ نسخة منشورة في مجلة «المنتدى» ، العدد ٤٩ ، المجلد ــ ١ ــ بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٤٧ م . وقد كتبت **مقدمة نثرية** من الشاعر تقول : «أحببتها وأخلصت وغدرت ثم عادت تسترجعني بعد أن عذبتني فهل أعود؟ لا» **ومقدمة أخرى** ربما من الشاعر ــ تقول : «أبى علينا الشاعر نشر صورته لئلا يتورط في غزل آخر» كما قالت «المنتدى» . **كذلك** : نشرت صورة شخصية لفتاة جميلة إلى جانب القصيدة دون ذكر اسمها . ويؤكد لي السيد الطاهر أن صاحبة الصورة هي « سلمىٰ القرَه» التي كتب عبد الرحيم محمود كل أشعاره الغزلية .

٥٠ ــ نون النسوة

يا نونُ يا حزيـنُ ⠀⠀ أهكــــذا تهونُ

يعلـو عليـك واوٌ ⠀⠀ وأنت منـه دونُ

ذو علــــةٍ وَداءٍ ⠀⠀ دواؤُهُ السُّكـــونُ

ما ثورةُ الغــواني ⠀⠀ عليكَ قُلْ يا نونُ

هل شاب منك شعرٌ ⠀⠀ مَشيبُــهُ يَشيـــنُ

أو خانَ منك مالاً ⠀⠀ زمـائلكَ الخَـؤُونُ

فَدُكَّ فيك عرشٌ ⠀⠀ مُوَطَّـــدٌ مكيـــنُ

ولم يُصَنْ جميـــلٌ ⠀⠀ وقـــلَّ من يَصُونُ

أيـامَ كنتَ قوساً ⠀⠀ تُحْمى به العيـونُ

ورقّيــــةٌ محفــوظٌ ⠀⠀ بسرِّهـــا الجبيـــنُ

ونقطـةَ الأمــــاني ⠀⠀ تزهى بها الذقـونُ

هل خُنتَ قُدْسَ عهدٍ ⠀⠀ لا عاشَ من يخونُ

فذاع سِرٌّ خافٍ ⠀⠀ أنتَ به ظنيـــــنُ

ظَنَّ فيكَ عيبـاً ⠀⠀ تُعـانُ لا تُعيـــنُ

إنَّ لهنَّ كونـــــاً ⠀⠀ قوامُـــهُ الظنـــونْ

إن الظنون كانت ⠀⠀ أكثرهـــا ميـــونْ

★ ★ ★

كنت لهَـن زيـراً ⠀⠀ عنهن لا تبين

فشِمْنَ فيك ثِقْلاً ⠀⠀ وغمـــةً تريـــــن

وطبعُهنَ فاعلمْ تَغيُّرٌ عجينُ
تقلُّبٌ وَقَلْبٌ في رأيهنَّ دينُ
فما يزين يوماً في الغد لا يزين
وما عرفن روماً مذمم مهين
كم مِلْنَ نحو قاسٍ وَعِفْنَ من يَلين
وكم وصلن عَيّاً وضاع من يُبين
وكم حرمن حقاً قلباً به قمينُ
يا نون أنت أدرى منّيَ ما الدَّفينُ
فإنْ تَشأْ تماسَكْ لا تُرْدِكَ الشجونُ
قبلكَ ناسٌ صُدُّوا وعُذّبوا وعونوا
من لم يصبه منا من أمرهن هونُ؟
وظلمهن حلوٌ لو آنه الوزينُ
فعش بذكريات حتى يحين حين

★ ★ ★

يا نونُ في «عَطفُنَ» ماذا حواهُ النونُ
كأنَّهُ خِضَمٌ والنُّقطةُ السفينُ
تحمل وحي شعْرٍ فاضت به الفنون
نايٌ له حنينُ يا حبذا الحنين
والواو في «تفانوْا» قد مَسَّهُ جنون
له دويُ رعدٍ مُبغَضٌ خشينُ
وقام فيه رمحٌ قلبي به طعين
والميم في «قسوتُمْ» بِشَرِّه أذينُ
لا ميمت الغواني ولا العيون العينُ
فإنها لشعري وللهوى مَعينُ

★ ★ ★

أحسنُ مما كانَ يا ناسُ لا يكونُ
لم تُفتنون عمّا ثوى به الفتونُ؟
تستبدلون غثّاً بما هو السَّمينُ

---

* ـ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

** ـ قالها بمناسبة انعقاد المؤتمر النسائي العربي الثاني في القاهرة عام ١٩٤٤، برئاسة هدى شعراوي. ويحتمل أن تكون القصيدة قد نشرت في اليوم الأول من مطلع عام ١٩٤٥ في جريدة «فلسطين». أما مروان الطاهر فيقول: جاء في مقدمة القصيدة لدى نشرها في جريدة فلسطين المقدمة النثرية التالية: «قرر المؤتمر النسوي في القاهرة حذف نون النسوة مساواةً بالرجل».

٥١ ـ مخلوقة أنتِ فلا تكبري

خالتـيَ الميّتَ من صَدِّهـا   والعائِشَ الدهرَ مُعَنّىً عليلْ
قالتْ : قتيلي أنت قلتُ اعلمي   أنْ قد صَحا الساهي وحيٌّ القتيل
مِلتِ إلى غيري وإني امـرؤٌ   إن مالت الروح فعنها أميل
قالت : فسحري لم يزل فاعلاً   قلت : فهاتي لي عليه دليل
مخلوقـة أنتِ فلا تكبَـري   مثلكِ بين الناس ألفا مَثيل

ــ مخلوقة أنت فلا تكبري ــ

قالت إذا رحتُ فلا عودَةٌ   إمّا تشكيتَ النّوى والصُّدودْ
قلت : ومن يَخْلُصُ من قيدهِ   أينثني يطلب ذُلَّ القيود؟
نجوتُ من نارٍ فلا تحسبـي   أنيّ إلى النارِ ــ حياتي ــ أعود
قالتْ : أتنسى قلتُ لِمْ لا وَقَدْ   نسيتِ ميثاقي وخنتِ العهود؟
غداً أرى غيركِ لي وافيـاً   وأُبْدِلُ الحبَ بحُبٍ جديد

ــ مخلوقة أنت فلا تكبري ــ

أخلصتك الوُدَّ وجازيتنـي   بالغَدْرِ ما أظلم هذا الجزاء
وإذْ بأحلامي التي شِدْتُها   تنهار من فوقي وتغدو هباء
لكن سأبنيها فلا تشمتي!!   نعم سأبنيها وأعلي البنـاء
مثلي كما قلتِ رجـالٌ ولا   يدركهم حَصْرٌ. كذاك النسّاء
سأنتقـي من بينهن التـي   أهوى فأوليها شديد الوفاء

ــ مخلوقة أنت فلا تكبري ــ

قالت : ألا لا تَقْطَعَنْ حَبْلَنا   فَتُحرِقَ الروحَ بنارِ النَّدمْ

قلت : دعي هذا فإنّي غداً   أنسى بأحضانِ سواكِ الألم
قالت : وإن عدتَ لنا صاغراً   من بعدها ــ قلت : فهذا قسم!!
قالت : وتهوى بعدنا غيرنـا   قلت : نعم أهوى ، وأهوى .. نَعَمْ
فَطَمْتُ قلبي عن هواكِ الذي   أرضَعْتِهِ قِدْماً وعنه آنْفَطَمْ

ــ مخلوقة أنت فلا تكبري ــ

---

* ــ نشرت هذه القصيدة سنة ١٩٣٨ . أنظر : مجلة «الأمالي» ، السنة الأولى ، العدد ٦ ، عام ١٩٣٨ .

** ــ نقلاً عن مخطوطة بخط يد الشاعر.

*** ــ البيت الأول (العجز) : سأنفق العمر مُعَنّىً عليل... في رواية أخرى.

٥٢ ــ جيش الحبائب

حيِّ الظباءَ البادياتِ كواكبا ... المورثاتِ العاشقينَ مصائبا
المحرقاتِ بنارهنَّ قلوبَنا ... والآخذاتِ من اللحاظ قواضبا
والسارقاتِ من الرياض لِداتِها ... ورُضابَها وشذا الورود السـاكبا

★ ★ ★

أقبلن أسراباً كأسراب المهـا ... متقسّماتٍ للقتـال كتائبا
وأعددن للحرب العوان ضفائر الشـ ... ـعر الجثيل[1] لقيدنا وذوائبا
وتخذن في حرب الرجال سلاحهـ ... ـن خدالجا[2] وروادفا وحواجبا

★ ★ ★

لُبسُ الرجـالِ من الحديـدِ ... ولُبسُهُنَّ من الحرير جلابيـا
ومن الغريب إذا رَمَيْنَ أصَبْنَنا ... وإذا رمينا كان سهماً خائبا
رَجَزَ الفوارسُ في الحروب القصائدا ... ورَجَزْنَ مِ الغُنْجِ المُذيبِ عجائبا

★ ★ ★

الله أكبر قد قَسَمْنَ صفوفهـ ... ـنَّ طوالعا وأواسطاً وجوانبا
ورسمن خطَّةَ كرِّهِنَّ وما فطِـ ... ـنَّ لِفرِّهِنَّ وما حذرن عواقبا
الله ها سُمُرُ القنا مالت وأضـ ... ـحى القلب في تقبيلهنَّ الراغبا

ومددت عنقي للقواضب كي تَحُـ ... ـزَّ ولست فيها خائفاً أو راهبا
وفتحتُ في الهيجاء قلبي للوا ... حظ مُطْلقاتٍ فيه سهماً صائبا

★ ★ ★

رحماكَ يا جيش الحبائب قد رفعـ ... ـتُ الرايةَ البيضا وجئتكَ تائبا
لم تنظر العينان جُنْداً مثل جنـ ... ـدك من رأى جنداً مهاً وكواعبا
أُواه لَوْلي مثل جيشك كنت أفـ ... ـتتح البـلادَ مشارقاً ومغاربا

★ ★ ★

١ ــ الجثيل: الكثير الملتف.
٢ ــ خدالج: أي ممتلئة الساقين.
٣ ــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨. أنظر: مجلة «الأمالي»، السنة الأولى، العدد ٩، عام ١٩٣٨.

٥٣ ـ كبرياء الحب

إسمعي يا من لقد خُنْتِ الهوى ... ونسيتِ أو تناسيتِ الوَدادا
إن قلباً بالجوى أحرقتـــهِ ... سوف أذروهُ بعينيكِ رمادا
وخضوعاً كان بي فيما مضى ... سيصير الآن كِبْرا وعنـادا
وإذا حن فؤادي للقـــا ... فسأجتَثُّ من الصدرِ الفؤادا

★ ★ ★

إسمعي لا تذكري الماضي فلا ... رجع الماضي ولا البارحُ عادا
ودعي لا تقرئي في صَفْحَةٍ ... قد جعلنا أبيضَ الماضي سوادا
لا الأزاهير تبسمن لنـــا ... وتشادَيْنَ ولا الميّادُ مادا
وطيور الروض لا غنت ولا ... سَتَرَ الليل علينا حين سادا
لا تعانَقْنـــا غرامـــاً مرَّةً ... وتراشفنا من الريق الشُّهادا

★ ★ ★

أغْضُضي أو صَعِّري خَدَّكِ لي ... وخذي غيريَ عشّاقاً جدادا
واهجريني وابعدي عني فلا ... أرهب الهجر ولا أخشى البُعَادا
وتناسَيْ كيف شِدْنا عُشَّنا ... قد هدمنا ما بنى الحب وشادا
وسأنساك ولا أتـــرك في ... ذكرياتي لك ذِكْراً مُسْتَعادا

★ ★ ★

* ـ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة «الأماني» ، السنة الأولى ، العدد ١٠ ، عام ١٩٣٨ .

٥٤ ـ إليهـــا

دعيني فقد أيقظتِ بي كامنَ الأسى ... وهيّجتِ جرْحَ الحُبِّ في قلبيَ الدامي
غدرتِ وجئتِ الآن تستغفرينني ... لنقضك عهد الحب من بعد إبرام
دعيني فلا قلبي عليك بعاطفٍ ... حنانا ولا دمعي لدى فُرْقةٍ هامي
لقد ضل عقلي فيك حيناً وها أنا ... عرفت سبيل الحب من بعد تهيامي
ربيتُ على روحي نعم وعلى دمي ... ولكن . سُدىً ضاعت بحُبّكِ أيامي
فياليتني من قبلِ صَدَّقْتُ عُذَّلي ... وطاوعتُ في بدء الملامة لُوَّامي
بنيتُ وأعليتُ الأماني صَلّـةً ... فهدّمْتِ لي بالغدرِ شامخ أحلامي
طمستُ على قلبي فلا اسمك فَوْقَهُ ... نقيشٌ ولا زهرُ الهوى فوقه نام
وقلبك هذا يا لقلـــبك غادراً ... سأسحقه ـ ثأراً لقلبي ـ بأقدامي
فذوقي الذي قد ذقتُ أنتِ ظَلَمْتني ... بحُبّي وآمالي ولستُ بظـلاّمِ

* ـ نشرت في جريدة «فلسطين» ـ ١٨ أيلول ١٩٣٥ .
** ـ النص : (نقلاً عن مخطوطة) .

٥٥ ـ السكر شغلي

قالوا سيقتـــلك الغـــرا   مُ فقلتُ مالكمو وَقتْلي
إن كنتُ أرضى الموتَ في   حبّي دعوا لوْمي وعَذْلي
قالوا ألا تصحـو لنفـ   ـسك قلت: إنّ السكر شُغْلي
نشوانُ من ريـق الحبيــ   ـب وسحرِ ألحاظٍ ودَلِّ
هم يا حبيبــي يبتغــو   ن فراقنا تفديك أهلي
لقد اعتصمتُ بحبل حبِّـ   ـك فاعتصمْ حُبّاً بحَبْلي

٥٦ ـ لعبــه

لعبةٌ تُهــدى للعُبــهْ   من فتىً يكتمُ حُبَّـهْ
أنت لو ترضين شيئــاً   غيرَها أعطــاكِ قلْبــهْ
فاذكريه فهو قد أشـ   ـغلَ في ذكراكِ لُبّــهْ
قابلي الحُسنى بعطـفٍ   هكـذا تقضي المَحبّـهْ
ربما ساءك ما قلتُ   فجــاوبت بغضْبــهْ
إن تشائي فهو صِدْقٌ   أو تشائي فهو كِذْبـهْ

* ـ نشرت عام ١٩٣٨ . أنظر: مجلة «الأماني» ، السنة الأولى، العدد ١ ، عام ١٩٣٨ .

٥٧ ـ يا لائمي في الحب

لقد أغلقوا العالم في وجهه   وارحمتا للعاشق المستهامْ
مُقطَّعُ القلبِ إذا لَمَّهُ   عادوا فخلوه كسيراً حُطام
لم يتركوا المسكين في همّه   بل حمّلوهُ كل عبءِ المَلام
يا لائمي في الحب دعني فقد   يزداد بالحب سعيرُ الغرام
تريد أن تطفىء نار الجوى   فتغرق الصب الدموعُ السجامْ
«سلمىٰ»(*) لقد تُهتُ فهذي يدي   « سلمىٰ » ـ فقوديني عَبْرَ الظلام
أنتِ بصيصُ النور في ناظري   والخافقُ الثائرُ بين العظام

* ـ سلمى: هي سلمى القَرَه. ممرضة لبنانية كانت تعمل في مستشفى نابلس. ويقال إن كل قصائد الحب كتبتْ من أجلها.

٥٨ ـ يا حياتي

أنظري لي واجعلي العطْـ   ـف يَسيلُ من نظـراتكْ
واغمزيني فلقد طا   ل انتظاري غمَزاتكْ
وابسمي لي يا حيا   تي فالمنى في بسماتك
ودعي صَدّي فما كالصـ   ـدّ بالعشاق فاتِكْ
لا تَناسَيني فأنسى   بالهوى من ذكرياتك

★ ★ ★

افرضيني آدماً أخطأ   تُ لكنّي أتوبُ
قد تعذبتُ فأيّا   نَ لفردوسٍ أؤوب
أوَ ترضَينَ لقلبي   يتقلّى ويلوب
وشبابي بهيامي   فيك يذوي ويذوب

★ ★ ★

أنظري لي واتركيني   أجتلي سرَّ الفتُون
يالعينيك ويالي   بهما جُنَّ جنوني
فيهما ما لم يكن هارو   تُ يدري من فنون
أنظري لي واغرزي الأهدا   بَ في قلبي الطّعين
اذبحيني بلحاظٍ   وادفنيني في الجفونِ

٥٩ ــ يا غزالاً

يا غزالاً صدَّني ما أجملكْ   مُبْدِعُ الأكوانِ ربّي عَدّلكْ
فيكَ معنى كلِّ حسنٍ رائعٍ   عَرَفَ الجنة من قد قبّلكْ
هذه الريمِ فسلهـا هل لها   مُقَلٌ حوراءُ تحكي مُقلَكْ
هي من جنسكَ طبعاً إنمّا   كُحْلُها ليس يضاهي كَحَلَكْ

* ــ نشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٨ . أنظر : مجلة « الأمالي » . السنة الأولى . العدد ٧ . عام ١٩٣٨ .

٦٠ ــ مَنْ سوانا مخلصٌ في حبّه !!؟

إنني أنت وإن فرّقني   يا حبيبي عنك ، تصريف الزَمَنْ
نحن روحٌ واحدٌ فاعلمْ وإنْ   سكن الروحُ بأشتات البدَنْ
أنا لن أنساك والحب الذي   ألِفَ القلبين لن أنساك ، لنْ
من سوانا مخلص في حبّه   من سوانا شأنه الإخلاص ، مَنْ؟!!

* ــ النص : نقلا عن مخطوطة .

**ــ كتبها ــ الأبيات ــ على صورة له . أرسلها إلى صديقه وزميله في كلية النجاح « سعيد السنتريسي » .

٦١ ــ عبيــــر

وَبُشِّرَ «سيفُ» بالأنثى ولكنْ   «أبو الوضَّاح» أجزَلَ للبشيرِ

ولــمْ يَسْوَدَّ للــبُشرى، ومنهم   يرى البُشرى بأنثــى كالنذيــرِ

وسيــفٌ ربُّ إحساسٍ ولُطْــفٍ   وسيفُ الدين ذو قلبٍ كبيرِ

يرى في الشيء ما يوحي القوافي   ويلهم شاعراً حَسَنَ الشعــورِ

وهل أدعى لشعرٍ من «عبير»   تَفَتَّــقُ عنــه أكمامُ الزهـــورِ

وكَم شعــر ستُوحيــه عبيـــرٌ   إلى الشعراء كالظبــي الغريــرِ

ستلهم «طيّباً» أحلى المعــاني   إذا عاشا بمجلاهـــا النضيــرِ

و«طيّبُ» يا أخـــى حرّ أبي   يهيم بحُبِّ أشبـــاهِ البـــدورِ

ومـــن أحـــرى بحبّ من عبير   ومن أولى بشعــرٍ من عبيــرِ

سليلــــــــةُ مَعْشَرٍ عَزُّوا   بتقــوى صاحبــي فضلٍ غزيــر

فعبــد القــادر العــالي أبوهــا   أبوهـا صاحبُ الصيت الشهير

جرت في ذكــركم يا آل زيــدٍ   بما يحلــو أحــاديثُ الدهــورِ

وفي بغـداد لي منكـم عشيـــرٌ   له رَسْمٌ على قلبــي الــكسير

يقيـــمُ على ولائي يا حنينـــي   لمن لَمْ يَنْسَ ميثــاقَ الــعشير

عساكِ عبيـــرُ أن تأتي بخيـــرٍ   وكَم أنثـــى أتت في كل خير

فتنسي السيـف سيفك أبنيـات   ملكـــن عليـــه انحاء الضمير

وينسى «شوكت» درساً عسيراً   وشوكت ضاق بالـدرس الـعسير

يخوض بحور علـم وهـو طفـــلٌ   ولم يعتـد على خوض البحـــور

عساها يا «أبا الوضاح» شكوى   فتـنسى جدّهـا «بنتُ» المشيرِ

---

* ــ عبير: إبنة سيف الدين زيد الكيلاني (أبو الوضّاح). طيّب: الطّيّب عبد الرحيم محمود مواليد سنة ١٩٤٣. شوكت: خال ــ المولودة «عبير» ــ من نابلس. عبد القادر: عبد القادر الجيلاني ــ أحد أعلام الصوفية.

** ــ أمدني بهذه القصيدة ــ الضابط: يوسف أبو ريا ــ من حركة فتح ــ في أبريل ــ نيسان / ١٩٨٢ في بيروت. وهي منشورة سابقاً.

*** ــ البيت رقم ١٩: فتُنسي الهَمَّ في الظروف العسير (في رواية أخرى).

**** ــ العشير (البيت رقم ١٤) = المقصود به ــ رشيد عالي الكيلاني.

٦٢ ـ جرحـــان

قد رمى الدهر فأصمى مرّتينْ ... يالجرحين بقلبـي داميـنْ
بأبِي جعفـر لُوَّعتُ وهـا ... قد غدوتُ الآن أشكو لوعَتَيْنْ
زهرتا دوحـة مجدٍ وتُقـىً ... عبقت ريحُهُما في المشرقينْ
صَبَر الدهرُ فلمـا كانتـا ... ملء قلب، ملء سمع، ملء عينْ
راش عن قوس الرزايا أسهماً ... فأطاحت أُسهُمٌ بالزهـرتين
هفَ قلب الفضل إما يصطفي ... جُنْدَهُ يودي الردى بالمصطفَينْ
يا أخي جل الأسى فيك وقد ... عقل الرزءُ دموع المقلتين
والتـآسي عزّ لا أدركُـهُ ... أين من يحكيك يا داوود أين؟
لا أرى قبـلك مرزوداً به ... قد تهادى خاطراً في بُردئَيْنْ
بُرْدَتَيْ دينٍ وعقلٍ راجـح ... حبذا دينٌ وعقلٌ زينتين

★ ★ ★

إن يكن زيَّنَ معروفٌ فتىً ... أنت للمعروف والإحسان زَيْنْ
من تُرى بَعْدَك للأيتـام في ... زمنٍ نال اليتامى منهُ أين؟
مَنْ لحافينَ لقـد عوّدتَهُـمْ ... أن يروا منك لدى الجُلّى يَدَيْنْ
من لدور العلم يُعلي صرحُها ... ويدينُ الجهلَ ديناً، أيَّ دَيْنْ
من لخلاّنٍ لقـد أوردتهم ... منك خُلْقاً طاب كالماء اللُّجَيْنْ
من لجودٍ لم يعكرْهُ أذى المَنّ ... مَنْ للصدق لم يكدر بِمَيْـنْ

من تُرى للعمل الصامتِ والناس كَسْلى، كَسَلاً ذا شفتيـنْ

★ ★ ★

يا أخي عزّ التأسي من فتىً ... قبلُ قد نُزّهَ عن عيبٍ وشَينْ
قد فقدنـاك وخيراً زاخـراً ... فإذا نبكي بكينا فَقْدَتيـنْ
وإذا التـاكل لم يلـق عَزّاً ... في الذي يبقى، يعش في حسرتينْ
اسأل الله الـذي أحزننـا ... بكَ، أن تحظى بأخرى الجنَّتَينْ

* ـ نقلاً عن مخطوطة. وألقيت القصيدة في أربعين داوود طوقان.

** ـ العنوان «جرحان» ـ من (عندنا) مشتق من القصيدة.

*** ـ أبو جعفر: إبراهيم طوقان (الشاعر).

٦٣ ـ هكذا الأزهار تذوي

زهرةٌ من طاهر الأخلاق … بالنُبــل تفــوحُ
قد ذوت عند صباها … واختفى العَرْف المليح
هكذا الأزهار تذوي … وهي رَيّا يا « نصوحُ »
فيظل القلب هيمان لدى الذكر ينوحُ.

* ـ نقلاً عن مخطوطة.

**ـ في رثاء «نصوح أسعد الطاهر». وكتبت الأبيات على القبر.

٦٤ ـ بكى دما

أرى الدمع في عيني أبيك لآلئاً … ولكنّ قلبي إن بكاك بكى دما
لقد كنتُ أرجو أن أراك ممتعاً … بعمرك، لكنّ احتضارك حُتّما
فَبِتَّ كغصنٍ قُصَّ غَضُّ شبابه … وأسكنَ قبراً في الفلاة مُرَدَّما
ولم أتزود منك نظرةَ وامقٍ … أيا ابنَ أخي يبتل من بردها الظما
هشام ذوى كالزهر في ميعة الصبا … فللّهِ كيف الحُسن والنُبل هُشّما

* ـ نقلاً عن مخطوطة.

**ـ في رثاء «هشام فائق العارف».

٦٥ ـ كنعان من زيتونهِ أهدى لها

مرّت على روض الحمائم غادةٌ   تختال في حُسْنٍ لها فتّانِ
النور في وجْناتها والسحر في   بسماتها وبطرفها النعسانِ
سألتْ حمامةُ أختها ما سِرّ ذا   فأجابت الأخرى بخير بيان
كنعان من زيتونهِ أهدى لها   هذا البَها سلمتْ يدا كنعانِ

* ـ نقلاً عن صورة لإحدى جزازات الجرائد . نقلاً عن مخطوطة بخط يد علي فارس (من مخيم برج البراجنة) في بيروت.

** ـ في صورة الصحيفة: البيت الرابع: كنعان من صابونه أهدى لها. وقد جاءت الأبيات دعاية لصابون الحمامتين بنابلس (صابون كنعان).

*** ـ زيتونهِ ـ كما في مخطوطة علي فارس. ولا تناقض في المعنى.

٦٦ ـ نشيد: أنتَ للعُرْبِ

أنت للعرب أمين   ربنا يحميك
أنت للجسم وتين   كلنا نفديك

★ ★ ★

أنت عز للديار   وهناء وسرور
أنت للظالم نار   أنت للأوطان نور

★ ★ ★

أنت نجم قد أطل   في سماوت الأمل
أنت سيف لا يُفل   أنت في الدنيا مثل

★ ★ ★

رَجعت فيك الأماني   وصفا قلب الزمن
وعلا لحن التهاني   فيك في أرض الوطن

★ ★ ★

نحن آساد القتالِ   سِرْ بنا نحو النضال
وَأنر حُلْكَ الليالي   بالمواضي والنّصال

* ـ نقلاً عن طبعة مركز إحياء التراث، المثلث، ١٩٨٥، تحقيق: حنا أبو حنا.
أنشدته فرقة دار الأيتام الإسلامية الصناعية بالقدس سنة ١٩٤٤م. ثم قامت الفرقة بإحياء حفل في مدرسة النجاح، أنشدت فيه هذا النشيد، الذي أصبح يردده جميع تلاميذ المدارس.

٦٧ ــ أنشودة التجذيف

هيّا بنـــا هيـــا هيّا يا إخـــوانْ
نطوي الفلا طيا هذي هي الأوْطانْ

★ ★ ★

بلادنـــــا بانت بالأفـق كالجنات
وأرضهـــا ازدانتْ بالأهـــل والخلاّن
هيّا بنـــا
شِدّوا فعن قريب ترسو على الشطآنْ
ونجتلي الحبـــيب وطلعـة الأخـــوانْ
هيّا بنـــا هيّـــا
شدّوا فكمْ محبوب في الانتظـار الآن
فيه المنى المطلوبْ والـريّ للظمـــآنْ
هيّا بنـــا هيّـــا

* ــ أنشدت في المهرجان السادس لكلية النجاح الوطنية في نابلس في عام ١٩٤٥ .. أو ١٩٤٦، وقام بتلحينها عبد الودود رمضان.. أستاذ الرياضة البدنية في كلية النجاح.

**ــ بخط يد السيد مروان راضي الطاهر (صديق الشاعر).

٦٨ ــ الشــباب

أحبّ الشباب وما فيـه من قوى ساحقـات تَهُدُّ الجبـل
وأكره فيه انقيـاد القلـوب لحكـم الجمـال وسحـر المقـل
ونسيانه أننـا قد [أنْظنـا] بتلك القلوب لذيذ الأمـل
تريد لها أن ترى عامـراتٍ بغير الغـرام وغير الغـــزل
تريد لها أن ترى عارمـاتٍ بحب البلاد وحب العمـل
أحب الشبـاب.. الشبـــاب لهيب تلألأ منـــه الشُعَـــل
تضيء الطريـق على مدلج وتهدي الذي تاه عنها وضل

* ــ بخط يد السيد مروان راضي الطاهر.

**ــ [أنظنا]: رسمناها كما في الأصل.

٦٩ ـ أبيـات متفـرقـة

١ ـ نَحْنُ نفديك

قصيدة أخرى مفقودة، لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات:

قَدْ نَثَرْنا على ثَرى الْوَطَنِ الغالي قُلوباً تَستَعْـذِبُ الأهْـوالا
يا تُرابَ الجُدودِ صَبْراً فَلَـنْ نَهْـدأ حتـى نُغَيِّـرَ الأحْـوالا
نَحْنُ نَفْـديكِ يا بلادي فِلَسْطيـنُ، نِساءً وَفِتْيَـةً وَرِجـالا

٢ ـ هيهات لما تدعون

من قصيدة مفقودة، يذكر الرواة هذين البيتين:

يا أيُّها الـعُشّاقُ كَم مَرَّةٍ طَلَبْتُـمُ الْـوَصْلِ وَكَـمْ تَطْلُبُـونْ
نُقْطِعُكُمْ وَعْداً وَلكِنَّما هَيْهـاتَ هَيْهـاتَ لِمـا تُوعَـدونْ!

٣ ـ رسول هاروت

وبيتان آخران من قصيدة أخرى مفقودة:

أوْدى بِقَلْبي خَدُّكِ المتَوَرِّدُ   وَسِهامُ لَحْظِ للْقُلوبِ تُسَدِّدُ
هاروتُ ـ أنتِ رَسُولُهُ لِعِبادِهِ   وَرِسالَةُ العَيْنَيْنِ لَيْسَتْ تُجْحَدُ

---

* ـ نقلاً عن: طبعة مركز التراث ـ تحقيق حنا أبو حنا، الطيبه، المثلث، ١٩٨٥. أنظر: ص ٣٢٦ و ٣٢٨.

II

عبد الرحيم محمود

المقالات النقدية

ليس دفاعاً عن ابراهيم طوقان(*)

ولحت له أن يبعد عن الاستشهاد بأمر يثير في الناس أشياء يجب أن تظل هادئة مستكنة .

سقت له كل هذا وعلمته إياه ولم أسأله رأيه لأني في غنى عن رأيه ، ولقد مات عنى من علمني ولم يبق بي حاجة لعلم أمثاله . وإني لأرجو أن يكون السيد بطرس قد أفاد مما سقت له ، وأن يكون قد حفظ ما قرضه من مقالي في جيبه حتى يظل يتذكر وقد تنفع الذكرى المؤمنين وغير المؤمنين .

○ مصطفى الدباغ

ولا أريد أن أقول إن الأستاذ مصطفى الدباغ مثل كال بطرس ولا أن أعامله المعاملة نفسها ، لأني أجد فيه شخصاً آخر يحاول أن يثبت ما يقول بما يعتقده أنه الحق . ولست أزعم أنه يصدر عن سخيمة وإن كان لدي ما يثبت ذلك !! وإبانته قد تكلفني تعباً ولست أزعم أنه مبطل كما أبطل كال بطرس لأنه يدعي عكس ذلك .

ومصطفى الدباغ رجل جريء . ومن جرأته هذا الهجوم الكاسح الكبير على الشعر الفلسطيني والشعراء الفلسطينيين ومن جرأته ادعاؤه أن لكل قطر أدباً وشعراً ونحن نقول بالوحدة ، وحدة البلاد ونبني ذلك على وحدة اللغة ووحدة أدبها . وأنه لمن الانفصالية بمكان ، والانفصالية بنت الاستعمار ، أن ندعو إلى الاعتقاد أن لكل بلاد أدباً خاصاً . فأبو نواس البغدادي أو البصري هو ملك لكل بلاد العرب ، وشوقي المصري ملك لكل العرب وإنتاجه تراث العرب كلهم ليس لمصري فيه نصيب أكثر

من كويتي ولا حضرموتي ولا عسيري بله سورياً أو عراقياً .

والأستاذ الدباغ جريء جداً لأنه يهاجم جيش الشعراء أوحدياً ويلوي بهم أيما التواء كما يقول عنترة كأن ليس له شعر وكأن شعره ، إن ظفر به مثلي ، بمنجاة من ما يرمي به شعر الآخرين من الخواء والاسفاف .

والأستاذ الدباغ جريء لأنه ، أول ما تناول شاعراً علماً بين شعراء العربية . وحينما حاول الهدم بدأ بالكبير وثنى بغيره فمن يليه ولا اخاله مبقياً كبيراً ولا صغيراً حتى لا يبقى في الميدان غيره .

وهو جريء أيضاً لأنه تناول في مقاله أديباً كبيراً جداً ألا وهو السكاكيني وأراد أن يرد إليه قوله في ابراهيم الذي نشره في مجلة « الأديب » . وجريء جداً (وهنا النقطة الحساسة) لأنه أقدم على المعركة وهو لا يحمل السلاح ، ولم يتزود لها بما يضمن له الانتصار والفوز .

○ آراء غريبة

ومن الغريب أن الأستاذ الدباغ حين يريد أن يستشهد ، يلجأ إلى أضعف شعر الشاعر ، أو ما يخاله كذلك ولا يزال يرى الضعف ويهوله ويكبره حتى يصل إلى ما يصبو إليه من إملاء رأي وإحقاق باطل .

فهو يتغاضى عن كل قصيد للشاعر يجمع القوة والمتانة والمعنى الرائع . ويجاوزه إلى غير ذلك ، وهو يحكم على قصيدة كاملة ببيت منها كمن يحكم على القصر الفخم بحجر واحد منه ولا يراعي انسجاماً ولا وحدة ولا ينظر النظرة الإجمالية إلى المعاني والأغراض .

○ الحـــق

والحق في النقد الأدبي أن يؤخذ كل أدب أولاً إجمالاً والحق والمعروف بين النقاد الفاضلين أن يحكم للأديب أو للشاعر بأحسن ما عنده لا بأسوأ ما عنده .

ومن الجرأة التي ذكرناها أن يسلك الأستاذ الدباغ مسلك غير النقاد الفاضلين الفاهمين لأصول النقد الأدبي .

الحق في النقد الأدبي أن يؤتى بأجمل ما في الشيء ، ويهون ويرى ما فيه من نقص ويحكم . فهل فعل الأستاذ الدباغ ذلك ، هل جاء بعجائب الشاعر الكبير طوقان ووزنها ؟؟ هل نظر إجمالاً إلى انسجام القصيدة عنده ، هل فعل الأستاذ الدباغ ذلك أو بعض ذلك ؟؟ الجواب عن ذلك « لا » إذن ما قيمة النقد ؟ وما أهمية الحكم ؟

لقد راجعت نفسي مراراً قبل أن أكتب هذا الرد لأني حزنت لمفهوم الأستاذ من النقد . ولمفهومه من استجمال الأدب . وقلت إن من العبث هداية من يصر على أن يضل الهدى .

○ مع هـــذا

ومع هذا دعنا نفهم معه ، إن أراد ، النقص الذي في الأبيات التي أوردها .

قال ابراهيم :

عرف الناس والمنابر والأقلام أفضالكم فهاتوا سواها
كان أولى لكم لو ان مع القو ل فعالاً محمودة عقباها

○ رأي الدباغ

رأي الدباغ في هذين البيتين اللذين انتزعا انتزاعاً مخيفاً من القصيدة أن ليس فيهما ما يؤثر . وأن فيهما كلاماً عامياً . أو ما يقارب العامية من اللفظ .

○ رأيي ورأي أصول النقد

ولكن رأيي أن انتزاع هذين البيتين المسكينين من قطيعهما تجن وظلم . كمن ينزع الابتسامة من فم « الجوكندة » ويقول أنظر ما أبشع فم الصورة !!! وكمن ينزع المسيح من حضن أمه في الصورة ويقول أنظر ما أنقص الصورة !!! وكمن يستر جميع رأس الحسناء بما فيه الوجه إلا عذرة فيقول ما أبشعها . وإلا فما التساوق والانسجام إلا

تكملة جزء لجزء وإتمام جمال جزئي لجمال كلي .

إن الشاعر ابراهيم حينما قال هذا كان يألم لحالة ناس يحبون الظهور ولو على جثث الناس ويتذرعون لذلك بالمنابر والأقلام والتهويش ويمنون على الناس ذلك ويزعمون أنهم قاموا بجليل من العمل . آلمه ذلك فقال يخاطبهم بقصيدة منها هذان البيتان . إنه أي تهوين ، وأي إنقاص لا يمكن أن يصل إليهما بما أراد الناقد من إيذاء . حتى إن قطع هذين البيتين عن اخوانهما لم يذهب بقوتهما ولم يذهب بمعناهما فهما متماسكان ولو إنفراداً أمام هجمته الشعواء العشواء .

وإني لأجد أن أجمل ما في البيت الأول كلمة « أفضالكم » هذه الكلمة التي في محلها ولا يمكنك ولا يمكن أي إنسان أن يأتي بغيرها في محلها . فهي تحمل معنى السخرية والهزء والزراية ، وكل ما أراد الشاعر الكبير أن يعبر عنه من الاستخفاف بما قام به هؤلاء المتظاهرون من جليل مدعى وعمل « إيجابي » مزعوم .

البيت الثاني

كان أولى لكم لو ان مع القو   ل فعالاً محمودة عقباها

ولقد كان هذا البيت نتيجة ، كان نصيحة وموعظة .

والشعر إن لم يكن ذكرى وموعظة وعبرة فهو تقطيع ... كما قال شوقي . إن الشاعر ابراهيم بعد أن سخف أقوالهم غير المجدية أراد أن يدلهم على العمل . وهل ضيعنا يا ناقد الا أننا نقول ولا نفعل . وهل أضاعنا الا أننا نكثر من الأقوال ونقل ، بل لا نعنى بالأفعال . « كبر مقتاً عند الله أن يقولوا مالا يفعلون » صدق الله العظيم .

إذاً فالمعنى عارم ملآن . وإذن فالفكرة قائمة واضحة غير مبهمة في البيت والمبنى ؟؟ المبنى يأخذ الأستاذ الدباغ فيه كلمة « أولى لكم » . ويقول عنها إنها من كلام العوام دارجة في لغتهم وعلى فرض هذا ، فماذا يبقى للشعراء إن أرادوا أن يتحاشوا ذكر كلمة مما ينطق به العامة . إذن فلنبحث عن لغة غير لغتنا ، ولتكن لغة دباغية ، إن شئت . وما العامية إلا الفصحى محورة . وما العامة إلا بعض العرب يتكلمون بلسان العرب وما

قولك هذا إلا عكازة ضعيف أربأ بك وأنت الأديب الكبير أن تقع في شططه وتهافته .

ثم لو أنك كلفت نفسك النظر في القرآن كما كان يفعل ابراهيم الشاعر الكبير لما وجدت في كلمة « أولى لكم » عيباً فهي من كلمه وذكرت في أكثر من موضع فيه . فقد قال الله تعالى في سورة محمد ﷺ ، حتى أدلك ، « فأولى لهم طاعة وقول معروف » وقال : « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » صدق الله العظيم وأنت لو تبصرت في ذلك لشهدت في ابراهيم غير ما شهدت ولفتشت لك عن حجة أخرى وباب للطعن تلجه يسعك ولا يضيق عنك ويحشرك حشراً يشمت بك الذين يعلمون أكثر مما تعلم .

البيت الثالث

وجاء الأستاذ الدباغ ببيت ثالث وظن أنه أصاب مجزاً بجيئه . وادعى أنه أفحم مردداً له بما نقل عن البحتري . والعارف للكلام يرى الفرق البعيد بين ما أراد البحتري وما أراد أخوه ابراهيم (وابراهيم في رأيي أخو البحتري في مقدرته على إنتقاء الألفاظ ذات الجرس) ولا أريد أن أفسر له ما أراد البحتري وما أراد ابراهيم لأني أعتقد أنه لا يعني قال من أن ابراهيم سرق ذلك من البحتري .

وقصة الصدف واللؤلؤ ، قصة طويلة في الأدب العربي وتشبيه مشاع لكل شاعر طرقه إذا كان يحتذى القرآن وهو قدوة الناطقين بالعربية . وكيف لا يكون هذا التشبيه مشاعاً وكل إنسان يعرفه والقرآن أشاعه بقوله « أمثال اللؤلؤ المكنون » . وابراهيم حين قال بيته :

والحور لؤلؤة في أثر لؤلؤة   شكلن من غرف في القصر أصدافا

التفت إلى اللؤلؤ المقصور في الصدف ، « وحور مقصورات » تعبير قرآني ، ومن أبلغ من القرآن ؟؟ وأراني أقول للأستاذ وأنصح له بعد هذا أن يردد طرفه في كتاب الله ففيه عون على ما يريد من صقل لغته وإعلاء كعبه في اللغة لأنه لن يصل إنسان مهما سما خيالاً وقوي مادة فكر أن يجيد صناعة الأدب إن لم يأخذ من لغة القرآن بطرف . ولعلي سقت هذا النصح إلى السيد كمال بطرس ناصر الذي ادعى ما ادعى الأستاذ الدباغ من عدم متانة ابراهيم في اللغة واللفظ . وإني لأسوقه إلى كل متأدب وخاصة

الذين يلجؤون إلى أدب النقد ويمسكون بناحية اللفظ والتركيب في انتقاداتهم .

○ ثـــم ؟؟

ثم يدعي الأستاذ الكبير الدباغ أن ابراهيم لم ينظم بشتى الأغراض . فهل هذا صحيح ؟؟ على فرض الصحة ، فعدم نظم شاعر شتى الاغراض ليس دليلا على ضعف الشاعرية . وإنا لنجد في الشعراء ، وفي مقدمي الشعراء من اختص بغرض واحد . فزهير مثلاً مختص بالحكمة والمدح ، والأعشى بالهجاء والمدح ، وعمر بن أبي ربيعة بالغزل ولكن كل هذا لم يزر بشاعرياتهم جميعاً ولم يقل إنسان إنهم غير شعراء . بل أخذ ما قالوا كعنوان لما حواه الغرض من أقوال فيه .

○ ومـع هـذا

ومع هذا فابراهيم لم يكن مجدباً بناحية من النواحي الشعرية فلديه الوصف و « الحبشي الذبيح » والراعي . وغيرهما دليل قاطع مانع أنه كان وصافاً ووصافاً ماهراً . ومع هذا أيضاً فإنك لا تقدر أن تدعي ذلك حقاً لأن الشعر ذاته والشعر كله وصف حسب أصول النقد . فالغزل حين يتغزل وصاف ، والهاجي حين يهجو وصاف ، والمادح حين يمدح وصاف وكل ضروب الشعر وصف إن لم يكن لمادة فلمعنى ، وإن لم يكن لجسم فلروح وهل الألم والحزن في الشعر وهل الوطنية والحماسة إلا وصف لإحساس وغريزة ؟

لكنا هو التحامل ولكنا هو الجدل الذي لم يقصد به وجه الله والحق والأدب .

○ عود على بدء

أعود فأقول إن من الظلم ألا يستشهد على قوة شاعر أو على ضعفه إلا بيتين أو ثلاثة وهو ذو آلاف كما أنه من الاجحاف بالحق أن نحكم على إنسان إلا بخير ما عنده من ناحية الأدب . ورب قصيدة واحدة في ضرب واحد تجبر النقدة أن يعلوا صاحبها . وهذا ليس جديداً فالقدماء حكموا لأصحاب المعلقات بمعلقاتهم ومن بعدهم حكموا

للبوصيري بميميته ولشوقي ببائيته . ولن تعدم في شعر ابراهيم قصيدة واحدة تحكم له بها في الشاعرية العظيمة والسبق والخلود إلا إذا كنت لا تريد ذلك ولن تضيره لأنه لا تعدم الحسناء من عائب .

1- ما جبران ؟

هذا المقال كتبته فتاة ترى شخصيتها بارزة فيما كتبت مع أنها أرادت أن تستر عن القراء نصف اسمها ، ويعجبك من هذا المقال صراحة قل أن يتصف بها الناس وذوق لا تراه عند كثيرين وجزالة يقصر عنها نفر من الفحول .
« الأمالي »

إن لقراءتي أدب جبران قصةً طويلة تحتاج إلى مقال خاص . فيه وصف للحياة التعليمية ولعقليات بعض المعلمات اللائي يجعلن من المدرسة ميدان شغب وكفاح وتفاخر فارغ . وإن لها لحديثاً إذا قصصته على القارىء حزن كثيراً وضحك كثيراً وألم ولو ببعض الالمام بما بين مربيات النشء الفاضل . من غيرة وتحاسد ، و « مناورات » عدائية تُخرجُ المدرسة عن كونها دار تهذيب للنزعات غير الفاضلة وعن كونها مكاناً تُلطّف فيه غرائز القتال وحب السيطرة والظهور .

مُلخص القصة أني تزاحمت أنا وأخت لي .... على تعليم الأدب في المدرسة وكان ذلك في أول سنة لممارستي التعليم . وحين أبيت تدريس الرياضة ورفضت اقتراح المديرة الضالعة مع مزاحمتي ؛ كان لا بد من وقفة تفاخر . فراحت « فلانة » تقول إنها تجيد تعليم الأدب أكثر مني وأنها قرأت أدب الفرنجة وحفظت للحريري من مقاماته ودرست لفلان وفلان وجبران قلت لها : « إني لا أنكر عليك رسوخ قدمك في الأدب بعد إذ عددت ما عددت من أعلام ولكنك نسيت شيئاً مهماً . نسيت القرآن والحديث !! » .

وكانت لنا زميلة ورعة مسلمة أعجبها قولي فردَّدت . نعم . نعم . القرآن والحديث . إنّ من لا تعرف هذين لا تعرف اللغة ولا تعرف من اللغة .

الحاصل ... قضي الأمر وكان ما أردتُ لكن عَلَماً من الأعلام التي عَدَّتها صاحبتي ظلّ في خاطري . قلت : إن تقرأ فلانة أدب الفرنجة شيء حسن ؛ وإن تحفظ للحريري هذيانه خير من ألا تحفظ له وإن تدرس فلاناً الكاتب وفلاناً الشاعر لا بأس به ولكن ما جبران ؟؟ لقد كنت أسمع هذا الاسم وقرأت لَه مرة أو مرتين ولكنه لم يقع عندي موقعاً ، وقلت : يا مريم !! هذا من لبنان ، كبّره اللبنانيون عادتهم في تكبير أنفسهم فنفقت سوقه ؛ فما أغناك عن أن تضيعي وقتك به . جبران ؟؟ إن الاسم لا يبدو لي رائقاً ـــ It does not appeal to me .

جبران ؟؟!! أية صيغة هذه ؟؟ اسم ممنوع من الصرف !!

ومضت الأيام : وإنا لفي قصة شاعر بائس مظلوم ، وإذا بمشاغبة من مشاغبات الطالبات ترفعْ إصبعها ...

ـــ ما لك ؟ لماذا تقاطعينني كثيراً . قلت لك دائماً اكتبي سؤالك كيلا تنسيه أجبك عليه في آخر الحصة .

ـــ يا معلمتي ... هذه مناسبة ... إن ما حدث للشاعر من ظلم ذكّرني بما حدث « لميّ » .

وهنا ظهرت علائم الحزن على الوجوه ، كأنما ذكّرتهن بموتاهنّ . وهنا كنت لا أقدر أن أدير دفة الصف . تلك تتنهد . وتلك تُهز قبضتها . وتلك تتأفف .

وقالت لي نفسي : يا مريم أحسن ما تعملين أن تتكلمي عن « مي » ... كوني لَبقة !!

قلت : نعم . نعم ... الشيء بالشيء يُذكر . وإن الظلم ، الذي جعل من شاعرنا مبدعاً للمعاني ، خالقاً للأخيلة الجميلة . هو الذي سيجعل من « ماري » شاعرة خالقةً مُبدعة ، وفيلسوفة موفقة النظرة ... ودخلت المديرة في أثناء ذلك . وقام لها الطالبات تحيةً وجلسن . واستأنفت أنا كلامي : وإني لأعتقد أنها ستزيد صفحة حزينة

ملؤها الشاعرية المظلومة، فترفع بذلك من قدر الإنتاج الأدبي في لبنان خاصة والعالم العربي عامة.

وأردت أن أكمل فقاطعتني المديرة... ودخلت في بحث عن لبنان لا طعم له ولا مناسبة. وخلعت على هذا البلد ألقاب المديح... لبنان عبقر... لبنان الجمال والنبوغ... منه اليازجيان ومنه فلان وفلان وجبران. جبران الشاعر، الرسام، الفيلسوف، المظلوم.

قالت فتاة: وما ظلامته.

قالت المديرة: عدمُ التقدير. (وهي تقصد بذلك الفخر وترجع إلى مشادة بيني وبينها أو بينهن تناولت أدباء النصارى. أو أدب النصرانية العربي، أنكرت فيها أن يكون لهم كبير شأن ولذلك حديث خاص سأجتهد في نقله إلى القراء إن شاء الله».

قلت أنا: نعم... إن أعظم ظلم يقع بأديب ألاّ يُقدَّر أدبه ولكن...

قالت تلميذة: ولكن ماذا، يا معلمتي.

قلت: إن الأديب العظيم يظهره إنتاجه ويرفعه ما يقدم من الأعمال الخالدة. والإنتاج الأدبي كالإنتاج التجاري يكثر عليه الطلب إن كان ذا ميزات طيبة، وهو إن كسد يوماً فلا بد من أن تربح تجارته عند رجوع الناس إليه مُستقبلاً. أما إذا كان الإنتاج من النوع الرخيص، فهو لا بد كاسد مهما أثيرت حوله من «الدعايات» والإعلانات. «أمّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

قالت التلميذة المشاغبة المستخدمة للشغب عليّ: إذن تكلمي لنا عن جبران، جبران المظلوم، ما دمنا في قصة الظلم منذ الساعة.

قالت المديرة: نعم، تكلمي لهنّ. وخرجت.

ماذا أقول؟؟ إني لا أعرف جبران ولا شيئاً عن جبران. فأخذت أصف لبنان وما يمكن أن يوحي من المعاني، وما يمكن أن يخلق من أدباء، وصفتُ الطبيعة ومؤثراتها؛ قارنت المشرق بالمغرب وفارقت بين أدب الأندلس والمشارقة. وانتهت الحصة وخرجت

وظنت التلميذات أن ما قلت كانت مقدمة للبحث عن جبران ولم يدر بأخلادهن أن ذلك كان تخلصاً... خرجت وأنا أتمثل بقول هنبقة مع حفظ الفارق، طبعاً:

الله نجّاني ونجى البقرة   من جاحظ العينين تحت الشجرةْ

★ ★ ★

رحتُ إلى المكاتب أبحث عن مؤلفات جبران واشتريت وريقاتٍ عليها شعر سماها جبران «المواكب» وخلوت بهذه الوريقات أقرؤها وبدأت بالمقدمة فإذا هي تنص:

«أيها القارىء العزيز. أتعلم من هو جبران. جبران خليل جبران وكفى بهذا الاسم فخراً للناطقين بالضاد».

قلت لنفسي: يا لي شقيّة. جبران فخر الناطقين بالضاد ولا أعرف عنه شيئاً؟؟ هذا جهل.

ومضى المقدم يطري ويمدح. حتى قال: «لا أخطىء إذا قلت ويقول معي كثيرون إن جبران قد أصبح أمير الكتاب والشعراء بلا استثناء».

قلت: يا مريم!! هكذا أضعت السنين بين كتب الأدب ولم تقرئي لأمير الكتاب والشعراء بلا استثناء؟؟ إنك إذن لجاهلة.

قالت مريم: لماذا هذا اللوم. إنه لو كان جديراً بإمارة الكتابة والشعر لبايعه الكتاب والشعراء بدل شوقي، خصوصاً والكتاب منشور منذ ١٩٢٣.

قلت يا مريم هكذا يقول نقولا عريضة..

وقلبت صفحات. وإذا بمقدمة أخرى، تقدم الشعر، تقدم الأدب نفسه، لا الشاعر، ولا الأديب. مثال ذلك أن يزرع فلاح قمحاً فيزكو ويؤتي أكله فيأخذه إلى السوق، إلى البائع يبيعه له. فيمسك البائع بذراع الفلاح ويقدمه للناس السائمين، قائلاً: هذه العضلات المفتولة أنتجت القمح، هذه العضلات القوية لا تنتج إلا ما يروق وما يحسن. هذه العضلات..».

ثم يقوم البائع، أو شريكه ويحفن حفنة من القمح ويقول هذا هو القمح، القمح

الصافي ، القمح الذي من صفته كذا وكذا . وهذه طريقة طبعاً ، للإعلان يجيدها اللبنانيون كثيراً لما فيهم من طبيعة التجارة . أما البائع الآخر ... فهو نسيب عريضة !!! هو قريب نقولا ، ربما ، أو شريكه ، فهما شركة .. سلعتها جبران !!

مقدمة نسيب عريضة محاولة لتفهيم القارىء مغزى الشعر في المواكب . وهو يقول إن الشعر في المواكب مقاطع يقول كل مقطع واحد يحمل فلسفة تخالف فلسفة الثاني . يقول المقطع الأول شيخ اختمر تجربة ويقول الثاني شاب بسيط لم تدخله « ميكروبات الاختمار » . الأول يعيب تعقّدات الحياة ، والآخر يردُّ عليه ويدعو إلى حياة البساطة . (هكذا يقول السيد نسيب) يستعرض الشيخ مظاهر هذا العالم فيشبع كل مظهر تمحيصاً ونحتاً . ويظهر وجه البشاعة في هذا المظهر ومن هنا جاءت تسمية الكتاب « بالمواكب » .

وقبل المرور على هذه المقدمة أريد أن أفهم القارىء أن السيد نسيب عريضة يقول إن كل فكرة تتركب من مقطعين المقطع الأول للشيخ والمقطع الثاني للشاب كما مرّ ، والاثنان كما يقول السيد نسيب مختلفان . يعني أن الشيخ يقول شيئاً والشاب يُدحضه ويدعو إلى غيره . هذا ...

لندخل الآن إلى المتن . لنقرأ النص الشعري .

اقرئي يا بنت ... قرأت ... ففهمتُ من المقطع الأول والمقطع الثاني نفس الفكرة .

في المقطع الأول :

فافضل الناس قطعانٌ يسير بها   صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثرُ

يعني أن الناس يسوقهم بعضهم .

في المقطع الثاني :

خلق الناس عبيداً   للذي يأبى الخضوعْ

فإذا ما هبّ يوماً   سائراً سار الجميعْ

يعني أن يسوقهم بعضهم.

فالمقطعان متشابهان إذن . وليس هنالك نقض وردّ كما زُعم السيد نسيب عريضة لهذا فأنا أضرب بزعمه الأرض والحائط معاً ولن أحاول أن أفهم إلا ما أفهمه أنا نفسي لا ما يريدني أن أفهم .

وهنالك مقطع يتركب من بيتين يتلو هذين المقطعين ، لا قيمة له في البحث لأنه عبارة عن تصفية موسيقية لا تمت إلى النغم بصلة . لكنها تصفية يريد أن يخدش بها الشاعر إذن السامع . تصفية ما أشبهها بكلمة « هه . هه » في أغنية أطفال الشارع :

يا كرمسطو ... هه . هه   هزّي وسطُو ... هه . هه

يعلم الله أني إذا قرأت الكتاب لم أفكر بقراءته للنقد .. قرأته لأستفيد . ولكن يا خيبة الظن !!

لم أجد في المواكب شيئاً جديداً . لم أجد استعراضاً شائقاً . وجدت باباً من الفِكَر ... من الفكر المسموعة كثيراً .

لغة المواكب ... أية لغة هذه ؟؟

في الواقع ، إني لا أحب العنف في الأشياء كلها ، ولا أحب النقد الذي يراد به الهدم لا العمران . في اعتقادي ، إن العالم محتاج إلى بناء ، محتاج إلى اصلاح ونفسي لا ترضى عن اصلاح عنيف ... قصر عال ... مهما كانت هندسته ، سُبّة في التعمير ، فإني لا أطيق أن يوضع تحته البارود وينسف دفعة واحدة . لكني أريد ، أحب أن يُنْقَضَ حجراً حجراً . قرأت للدكتور عمر فروخ مقالاته عن جبران ، وكنت أقرأها على مسمع وبصوتٍ عالٍ أمام الفاخرات المتطاولات ، فيسكتن فأتمثل بقول الراجز :

ما لك لا تنبح يا كلب الدوْمْ   قد كنت نبّاحاً فمالك اليوْمْ

لكن مع هذا كله ولتوافقنا كثيراً في فكرتنا عن الرجل ، كنت أرى من العنف الابتداء من حيث الإنتهاء .

ذلك إن أول مقالات الدكتور عمر فروخ كانت الإنكار ثم دلّل لماذا يُنْكر . وهي طريقة في الرياضة مشهورة ، طريقة فرض المسألة محلولةً ؛ ثم البرهان . وهي أيضاً طريقة

في التربية تسمى الطريقة النازلة إلى العقل وهي إعطاء النتيجة والقاعدة أولاً ثم تثبيتها .

إلا أن الذي لا يعلم ذلك يعد هذا النوع من النقد تحاملاً ، وهذا الاصلاح هدماً .

ويعتذر الدكتور ، على ما أظن ، بأنه لا يكتب إلا للذين يفهمون ويريدون أن يعلموا . والفلاسفة الأدباء ، أو الأدباء الذين تخرجوا في الفلسفة لا « يواربون » ولا يلتوون بأحكامهم فيقولون للكاذب : كاذب ولا يلطّفون من ذلك فيقولون للكاذب : لم تقل الحقيقة ولم ترافق الصدق .

إن النواة الهابطة في معارج الخلود التي لا تمر ما هبطت بمن يُدعى جبران ، صورة عظيمة وخيال ولكنها عنيفة في البدء .

سألتك الله ، ونحن في عصر الديمقراطية ، ألا يحق ويجب أن تعرف الناظرين إلى القصر العالي على النقص فيه ، وأن تشير إلى سوء الهندسة قبل أن تنسفه .

إن المحكمة قبل أن تدين شخصاً تقول له « الحيثيات » ثم تقول إنه مجرم وأن عقابه كذا من أنواع العقاب .

لكن عذر الدكتور أن الحق لا يُستحيي منه . وعذره أن لا التواء ولا مداهنة ، ولا رقة مع المخطيء . وهذه ، طبعاً ، خلة أراها كثيراً في الرجال ، الذين لا يطيقون إلا الصراحة وقولَ ما في النفس كاملاً وغير منقوص كيفما اتفق .

إن من مقالات الدكتور الأولى مقالةً عن شعر جبران ولقد انتقى مثلي مواكبه ولم يجد الدكتور فيها كبير شأن ، ولا ما يحوج إلى المقام عندها فمضى عنها بعد قليل من الكلام ، أرانا به قيمة هذا الشعر باختصار .

لكن أنا سأحاول أن أقف طويلاً قَدر ما أستطيع استعرض مواكب جبران لأرى وأري أنه لم يكن مظلوماً . وأنه قُدرّ تقديراً كبيراً ربما كان أكثر مما يستحق .

○ لغة المواكب

اللغة ، مفرداتها وتراكيبها ، ركن وطيد في إبراز الصورة جميلة ، وإن امرءاً يريد أن

يصف جميلاً وهو لا يُحسنُ أن يجد لهذا الجمال كلماتٍ ومباني تسعه لمسكين عيّ وفي المواكب صُوَر من هذا العيّ وعدم المقدرة على ضبط ما سهل من قواعد اللغة ، مفرداتٍ وتراكيب .

وإنك ليطالعك في أول صفحة من المواكب غلط لغوي وعروضي فهو يقول :

فلا تقولنَّ هذا عالم علمٌ　　　ولا تقولنَّ ذاك السيد الوَقُرُ

فأفضل الناس قطعانٌ يسير بها　　　صوت الرعاة ومن لم يمشِ يندثرُ

والواجب في « يندثر » أن تكون مجزومة لأنها جواب للشرط وإن حركت جاز أن تحرك بالكسر وإذا حركت بالكسر كان الاقواء هو عيب من عيوب العروض . إلا أن جبران الشاعر يجوز له ما لا يجوز لغيره فليرفع ولينصب كما شاء .

إني لأعجب للناس كيف يجيزون للشاعر خطأ ويأخذون ذلك على الناثر . وإني لأعده ضعفاً في الشاعر أن يتجوزّ كثيراً فينصب ما حقه أن يرفع ويرفع ما حقه أن يجزم . والملاحظ في مواكب جبران أنه لا يقيم لـ « مَنْ » الشرطية وزناً ولا يُعْمِلها أبداً كأنها لم تُرْوَ عاملةً عمن وضعوا اللغة . وهو غير ما سبق يقول :

فمن يعانِقُ في أحلامه سحراً　　　يبقى ومن نام كلّ الليل يَنْدَثِرُ

ومن يلازمُ ترباً حال يقظته　　　يعانقُ الترب حتى تخمدَ الزَهَرُ

لقد نظر جبران في أفعال الشرط وأجوبتها ووجد أنه إذا جزم خرج عن البحر واختل الوزن فلم يجد خيراً من أن يتجاهل وجود « مَنْ » المسكينة ، أو هو جاهل لها . من يدري ؟؟؟ ثم ماذا ؟؟ أنظر قواعد اللغة كيف تُؤتى وتُهدَم . اسمع :

فسارق الزهر مذموم ومُحتقر　　　وسارق الحقل يدعى الباسلَ الخطرُ

أنظر كيف رفع الباسل ، في حين أنها واجبة النصب لأنها مفعول يُدعى ، التي صار مفعولها الأول نائب الفاعل وظل مفعولها الثاني مفعولاً . وعلى هذا فالخطأ لا يبقى عند « الباسل » فقط بل يتعداه إلى « الخطر » التي يجب نصبها لأنها نعت لمنصوب .

وجبران يتجاهل حرف الألف بعض الأحيان لأن في قراءته وإعطائه حقه من فتح

الفكين ما يذهب بوزن الشعر :

وبما السعيُ بغاب ... أمسلاً وهو الأمل
إنما العيشُ رجاء ... إحدى هاتيك العلل

فألف إحدى ضاعت ويجب أن تضيع لأنه بغير ضياعها لا يستقيم **تقطيع البيت** بتفعيلاته وقس على ألف إحدى ألف ماذا في قوله :

فإن لقيت مُحِباً هائماً كَلِفاً ... في جوعه شَبَعٌ في ورده الصَدَرُ
والناس قالوا هو المجنون ماذا عسى ... يبغي من الحبِ أو يرجو فَيَصْطَبِرُ

و «الشرقي» وسكون يائها المضعّفة أمر عجب في قوله :

فما طوت شمألٌ أذيال عاقلةٍ ... إلا ومرّ بها الشرقيّ فتنتشر

وسكون فاء « جفنات » في قوله :

هل جلستَ العصْرَ مثلي ... بين جفْنات العنبْ

أمر أعجب إذ القاعدة أن تحرك عين فَعَلات إن لم تكن عِلة .

ثم أنظر إلى همزة الوصل التي تُقْطع إبقاء على الوزن في قوله :

والظرف في الناس تمويه ، وأبْغضهُ ... ظَرفُ الأولى في فنون الاقتدا مهروا

مع أن الأصل في همزة الخماس أن تكون همزة وصل . ولكن عذيري ... والوزن يريد هذا . وغير ذلك من أغلاط نحوية وصرفية كثيرة لو أرادت مبتدئة ممن أعلمهن أن تجد كثيراً منها لوجدت . كالغدّ المشددة في قوله :

فهو النبيّ وبرد الغد يحجبه ... عن أمةٍ برداء الأمس تأتزرُ

والغدّ بالشدة لم يعرف ولكنه عرف على أصله الواوي وما كان أجدره باستعمال الغَدْو إذا كان لا بُد من ذلك . لأنه ورد بلغتهم وأمثالهم . غير أنه من يقول لنا إن

جبران كان يعرف ذلك ؟؟ «وان مع اليوم أخاه غَدْوا» .

أما المفردات ، واستعمالها استعمالاً يدل على عدم معرفة مَعْنياتها فحدث عنه ولا حرج وإنه لكثير كثرة لا تطاق في مواكب جبران . وإني لناقلة لك بعض هذه الأخطاء الكبيرة فهو يقول ، وعمر السامع يطول ، وصبره أيضاً ...

ليس في الغابات عذل ... .
فإذا الغزلان جُنّت ... إذ ترى وجه المغيب
لا يقول النسر (واهاً) ... إنّ ذا شيء عجيب
إنما العاقل يُدعى ... عندنا الأمرَ الغريب

« فواهاً » هذه كلمة تستعمل للتفجيع نادراً ، وللتعجب من **الطيب** دائماً والعرب قالوا :

واهاً بك وواهاً لك ؛ يعنون ما أطيبك وليس في « واهاً » معنى الاستهجان والمذمة كما يفهم القارىء . من شعر جبران بعد إذ سبقها العذل وتلاها ما يفيد ذلك .

« وغُلْبةٌ أو غَلْبةٌ » بمعنى الانكسار لا وجود له في اللغة إلا أن يكون ذلك في لغة العوام . إن جبران يقول :

ففي انتصارات هذا غلبة خَفِيَت ... وفي انكسارات هذا الفوزُ والظَفَرُ

إن هنالك « غَلَباً » قال تعالى : غُلِبتُ الرومُ في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم سيَغْلبون في بضع سنين . ثم أنظر إلى صيغة غير واردة أيضاً ، اسمع !!

من آملٍ بنعيم الخلد مُبْتَشِرٍ ... ومن جهول يخاف النارَ تَستَعِرُ .

لاحظ « مُبْتَشِرٍ » وخذ معجمات اللغة كلها وإنك لن تجدها . وبشرت الخشب فابتشر والخشب مُبْتَشِر غير مُستبشر . وزيادة الهمزة والتاء التي يقصد بها المطاوعة . لا تدخل على اللازم .

قد يعرف جبران هذا ولكنه يريد أن يزيد صيغة جديدة إلى هذه اللغة الفقيرة .

ولكن ... ماذا تعمل بالوزن إنه يجر ما تجره القافية، وإنه يُعقب ما أعقبه السجع القاضي «قم» حين أراد قاضي قضاة بغداد أن يشكر له هدية فأحوجه السجع والجناس إلى أن يكتب: أيها القاضي بقُمْ، قد عزلناك فَقُمْ. ثم؟؟

وقلّ في الأرض مَنْ يرضى الحياة كما تأتيه عفوا ولم يحكم به الضجرُ.

إن «**عفوا**» هذه استعملت كما استعملها جبران الخط إلى تعبير العامة. والعرب لم يستعملوها هكذا؛ إنه يريد أن يقول: كما تأتيه كيفما اتفق وقُدّر. فجاء بما يجيء به من لا يعرف من العربية طرق الإبانة عن نفسه.

وهناك استعمال غريب أيضاً غير ما مرّ بنا ذلك قوله:

فإن تحرزّ من أبناء بَجْدَته يظلُّ عبداً لمن يهوى ويفتكر

ولست أدري أنا ولا القارىء الملم بلغته ماذا عنى جبران بأبناء بجدته. إنه لا شك يعني أبناء جنسه ويفهم هذا من القرينة والسياق.

ويقول العرب ذوو العربية إن فلاناً ابن بجدتها وهم يعنون أن فلاناً العالم المتقن لأمر ما. وبجدة الأمر داخله وباطنه وليس ثمت من معاني البجدة الجنس أو النوع. كما أراد المرحوم جبران ولكن ماذا يعمل. إن هذا البحر من العروض يستلزم «أبناء بجدته» هذه كي لا تثور أمواجه، ويطغى.

هذه مآخذ نحوية ولغوية أخذتها للغته فقط ولو حاول غيري أن يجد غيرها لما أعياه ذلك لأنها كثر في مواكب جبران، التي بدت بأغلاطها كأنها مواكب مآتم حزن، لا مواكب مآتم الفرح والسرور. والفقيد المحزون عليه لغتهُ مسكينة، مسكينة جداً؛

أمّا معاني المواكب، فهي أعجب من لغتها، شوهاء شوه اللغة التي في المواكب، سقيمة، مسروقة. لها بحث خاص إن شاء الله.

«**مريم ...**»

2- ما جبران؟؟

بقلم مريم...

قال لي أبي وهو يعظني: أي بنية!! إياك وحب الظهور فإنه دليل على النقص. والساعي له صدفة تلفظها اللجة لتوهم الناس، ولا تنى تلمع حتى يُلَقّاها من يكسرها لاعناً فيها الآل الخداع والبارق الخلب.

أي بنية!! واللؤلؤة الفريدة مكنونة، في ظلمات اليم مخدورة؛ خفاؤها يحمل الناس على إخفائها ولو ظهرت كالصدفة لصدفت عنها النفوس.

«ومحب الظهور مراء وليس كالرياء يذهب الأجر ويبطل العمل الصالح».

ودخل أبي في صلاة قرأ فيها: «..... ولا تزكوا أنفسكم....» وظلت أنتظر حتى أتم صلاته أبطأ ما يكون وقد يستبطىء العجلان. ولما انفتل من صلاته قلت: وما دعا إلى النصيحة هذه يا أبة؟!

قال: تقدمة تقدمت ما استأذنتني لكتابته عن جبران، (وهو يعني ما أولانيه أخي الدكتور عمر فروخ من مدح توج به مقالي).

قلت: يا أبت!! أتمنع الناس أن يشكروا الحسَنَ إذا تراءى هم ذلك؟؟ ثم ما ذنبي؟؟

قال : كأني بك راضية عن ذلك ... انكن معاشر النساء لكذلك . ورحم الله شوقياً ...

قلت : لا يغرني ثناء.

قال : ولا تعملي لذلك !!! إياك !!!

وانطلق يسعى يمير العيال وطفقت أفكر فيما قال .

★ ★ ★

حب الظهور ؟؟ هذا طبيعة في الأناسي . مظهر من مظاهر التسلط والرغبة فيه . والرغبة في السيطرة سنة ينتظم بها الكون ؛ وتنتظم أحياءه كلها . فَلِمَ نعيب حب الظهور ؟؟ وهو حب الحياة . ولِمَ يحظر علي والدي أن أذيّل ما أكتب باسمي كاملاً ؟؟ إنه يقول لي دائماً : « الشهرة أحابيل تعرقل فتحاشيها وابقي مغمورة خير لك وأبقى . في الظهور تعب والموج المتعب أكثر ما يكون على السطح الظاهر والإنسان لا يزال في تعب ما دام ظاهراً على ظاهرها فإن توارى طيها فقد استراح » .

★ ★ ★

حب الظهور غريزة مالكة ، أو بطانة لغريزة مالكة . وما حيلتنا بما خالط الدم في العرق ، إذن ؟؟ لكنا هو العقل ، يعقل حراك النزعات ، خلق لذلك . فلو عاش الناس بغرائزهم وحدها على هنواتها لأكل قويهم ضعيفهم كالسبع . ولو أراد كل محب للظهور أن يصل إلى بغيته ويهتدي على ضالته بدون قيد لتخربش كتاب العالم .

الدين ــ وهو العقل ــ في كل أمره جاء ليلطف الغريزة العارمة . ألا ترى حب الامتلاك قاد إلى السرقة وقطع الدين يد السارق حداً . وحب الاقتناء قاد إلى البخل ــ فالبخل غريزة ــ وداوى الدين ذلك بالزكاة فرضاً . ألا ترى إلى تأمين الحياة Security of life الغريزة الأساسية كيف خفف غلواءها بارخاص النفس في جهاد وتفانٍ من أجل مبدأ .

العقل ــ وهو الدين ــ خُلق ليعقل رجلي الغريزة فلا تمشيان إلا بقدر . ولا تخطوان

إلا بمقدار .

والرياء ، وهو حب الظهور ، أبطل الأجر وذهب بالثواب وهو عدم الظهور . ويكفي المرء خزياً أن يقال له يا مرائي . فكأن المتشاهر ما تطاول إلا لينغمر ، وما علا إلا لينحط فياليته ما تشاهر وما علا .

لكن الناس غير ديّنين بالطبع لأن الشر أصل فيهم . فهل غير إبطال العمل والذهاب بالأجر دواء للمتكالبين على الظهور ؟

لعل حبَّ الناس كلهم للشهرة والسيطرة دواء لهذه النزعة ، « كما يتداوى شارب الخمر بالخمر » وكما يتداوى بجرثومة الحمى من الحمى . فإن اشتهر « زيد » غمره « عمرو » وإن تعالى عمرو حطه زيد والحرب بين زيد وعمرو عوان ، من قديم العصر وسالف الزمان ، وربما كان تضاربهما الطويل الذي لم يودِ بأحدهما بعد في النحو من أجل هذا .

زيد يرى في عمرو زيادة تجلب الشهرة فتجعله بدعاً في الاعلام ، وزيد كلما رأى هذه الواو أكلته نار الحسد فينشد يضرب . وعمرو يرى في معنى زيد زيادة يريدها لنفسه فوق ما عنده فيجعل يدس ويشغب . والحرب بينهما لا يبرحان ، حتى تتوارى واو عمرو وتنقص زيادة زيد .

قال الناس وافتنوا في البحث عن أصل عداوة هذين . فقالوا إن الخصام من أجل داود الذي سلبه عمرو واواً ، وقالوا غير ذلك . غير أن زيداً عربي ابن عربي وداود يهودي فليس من العقل والنقل في شيء أن يحارب زيدٌ عمراً هذه الحرب الضروس التي لم تضع أوزارها ولن ... من أجل يهودي ، إلا أن يكون زيدٌ هذا أحد سكان بيت المقدس الذي بورك حوله .

أيها الباحثون . خلوا عنكم !! حب الشهرة هو الذي أفسد ما بين أخويكم فأصلحوا ذات البين . وإن بغى أحدهما فقاتلوا الذي يبغي حتى يفيء ... » .

أيها الباحثون !! عصى الشيطان ربه وغوى وأغوى من أجل الشهرة التي نازعه إياها آدم أو رأى أنه ينازعه عليها .

أيها الباحثون !! فأيما مخلوقين دقا بينهما عطر منشم فحب الظهور سبب . وأيما مخلوقين أخر نبقا لينباعا فحب الظهور أصل ؛ فتعلموا !!!

★ ★ ★

وحب الظهور بين جنسي الأوادم مختلف جداً . فهو بين الذكور يؤدي إلى سفك دم وإزهاق روح وطمس حقيقة ، غالباً . والتاريخ شاهد . وهو بين الإناث إسفاف وسخف . ويكفي أن تعرف أن إحدانا لتلبس ثوباً جديداً فتدور تريه الناس فلا تترك طريقاً إلاّ سلكته ولا مزدحماً إلا خاضته . ويضيق العالم الذي يسع الناس كلهم فلا يكون إلا ثوبها الذي يسعها . وإن إحدانا لتتزين بخربصيصة فلا تفتأ تحكي عن غلاء الحلي التي منها خربصيصتها وتفني الحلي إلا الخربصيصات . وإن إحدانا لتتختم بحديدة ـــ الواحدة من الحديد ـــ فلا تبرح تعرض إصبعها بمناسبة وغير مناسبة حتى لكأن جسمها كله تقلص إلى إصبع وتقمصت الاصبع في خاتم .

هذا الظهور السخيف لا خوف منه على بشرية . فهو من الخرم لذاته ـــ كما في أصول التشريع ـــ واكتفي بالنهي عنه ـــ في الأحزاب ـــ وتغرير الأهل من أجنـــه « كذى العر يكوي غيره وهو راتع » ومحبو الشهرة كذابون . لأن ذلك يستلزم التدليس والإدعاء .

ومحبو الشهرة سراقون صفاتٍ ليست لهم ويلبسون جلد غيرهم .

هذا غرٌ لا يكاد يحسن قولاً ؛ يسمع بالشعر ويسمع أن له أوزاناً ، فينطلق ينظم ، ويقول هذا شعر !! فتقولين له : ولكنه غير موزون . فيقول : أعياني وزنه ، ولم أدر كيف يوزن ، وعز الميزان فقسته قياساً بالمسطرة وجعلت كل شطر طول الآخر وكل شطرين طول آخرين وما الفرق ؟؟ الوزن أخو القياس .

وهذا غِرٌ لا يكاد يفقه شيئاً يسمع بالقصة ويسمع أنها تعقب شهرة فيحيك قصة كيفما اتفق له . وحين تقولين له أين الحوادث ؟ وأين وأين ؟ فيقول أرى كأن نومي وقيامي وأكلي وما يجري لي غير حوادث ؟؟ ولقد ذكرت كل ذلك في القصة وحبكته حبكة مقتدر مِفَنّ .

وهذا غر ؛ يسمع أن هنالك منطقاً وفلسفة وأن أناساً يرحلون لهما إلى ألمانيا والنائيات ويتخرجون فيهما ؛ فيغدو إلى أهله يهرف ويخرف . وحين تقولين إنك لا تفهمين ما يقول يجيبك إنها الفلسفة لا يعلمها إلا القليل .

وهذا غر ؛ يسمع برفائيل ومشاهير المصورين فيرسم خطوطاً مستقيمات وعوجا ويقول لك هذه صورة رمزية ؛ وهذه رسمة مثالية . هذا الخط المستقيم يرمز إلى استقامة الضمير الحي في العالم ، وهذا المعوج المتأطر يعني العوج في خلق بني آدم وفي طباعهم .

كل هؤلاء طلاب شهرة ، يطلبونها بما رأيت من سفاسف . وليس عليهم حق ، ما دمنا نعرف أنهم إنما يحاولون كفاية غريزة وسداد حاجة . لكن اللوم والعتبى على من يشدون أزرهم ويشجعونهم . فلا يقولون للشاعر إنك من الصنف الرابع من أصناف الشعراء وتستحق .... ما من حقه . ولا يقولون للقاصّ : إن لما جئت به طعم قصاص لا طعم قصة . ولا يخفتون نأمة المتفلسف ولا يهدون ضلالته ولا يعقدون لسانه .

إن أخطر ما أرى على الأدب هؤلاء ، المادحون المقرضون يقرضون الشهـــادات المفسدة وينعتونه بالمبدع والمفن ويصفونه بالخالق . هؤلاء خطر على الأدب .

ألا ينبغي أن نقول لمقرض التقريض إنه زور كذب . ولماذا لا نسفهه ونرد شهاداته دائماً .

أيكون « تقريض » الأدباء ، أو المتأدبين بعضهم من قولهم الأيادي قروض وأصل المادة « قرض » .

إن عتب أحدنا على زور كذب من مقرضي الشهـــادات هؤلاء وعـــاب عليـــه استحسانه للمستهجن أجاب إن المسألة مسألة ذوق ومزاج ، وأجاب إن الحسن والقبح في الأمور النسبية ، فلا عتاب ولا لوم .

في الرياضة ، الواحد والواحد اثنان ، لا جدال في ذلك .

وفي الأدب في كل شيء جدال ، وفي كل صغيرة أقوال .

ولو كانت قضية « الواحد والواحد اثنان » من قضايا الأدب لتمحل الناس وافتعلوا لها الأقاويل، يروونها عن ثعلب والخليل. ولكان لكلٍ منا رأي لأن قضايا الأدب الحكم فيها الذوق والمزاج؛ والذوق والمزاج قاضيا النار في القول الشهير: « قاض في الجنة وقاضيان في النار ».

جر هذا الحديث هؤلاء — للإبعاد الشديد — الناس من الأدباء يشكلون شركات الإنتاج والترويج، ويعقدون تحالف دفاع وهجوم. إن قال أحدهم « فالقول ما قالت حزام » ولو كان أكذب من مسيلمة وبرق الصيف. وإن شَعُر أحدهم (صار شاعراً بضم العين) أخذ أحدهم البيت يتغنى به والآخر يرقص عليه. ولبيت العنكبوت أمتن، ولشعرة في بيت شَعر أغلى وأحسن. وإن قص أحدهم قالوا أوحي إليه، وإن ملأ أوراقاً بهراء قالوا ذلك التنزيل وإن لم يكن فأخوه وإلا فابن عمه.

وإن وقف عاقل معترضاً يصيح بهم ما هكذا الشعر ولا القصة ولا التفلسف، هاجموه كلهم؛ ونزلوا به ونالوا منه على الشريطة بينهم، وعلى الاتفاق المعقود والأصر المأخوذ.

هؤلاء، لعمر أبيك، أعداء الحق وقباضو روح الأدب. يمدحون القبيح ويستقبحون المليح؛ انقلبت أذواقهم؛ ويريدون قلب أذواق الناس.

هؤلاء شركاء الظهور، وانصباء الاشتهار. أعيى واحدهم شقُّ الطريق للبروز في الأرض، فتوسل بالمجموع من شاكلته. وتطاول وعطا واشرأب ووقف على أخمصيه ولكنه ظل قصيراً فاستحمل نفسَه الأخوانَ من جنسه يرفعونه ولو قليلاً « والأيادي قروض ».

نعم... في بلدٍ من بلاد العالم — ولا أعني لبنان — يوجد هذا. ولكن وجدانه يعني عدم الأدب.

مدح في مدح... قتل النقد، وخنق الاصلاح، ورث الابتكار وصرنا نهذي... وقلنا شَعُرنا، وكتبنا، وألفنا.... ومدح في مدح...

وإن تطل الحال يا مسعود — كما ترى، ضاع الجنى والعود

يعمل عامل فيسيء، ويقصد أن يسيء فلِمَ لا نؤاخذه بما عمل، ولم لا نعلمه كيف يعمل؟؟ ونفهمه أن يقول ذيت وذيت وإن يفعل كيت وكيت، إن أراد أن يقول وأن يفعل؟؟!!

★ ★ ★

إننا لا نفعل ذلك؛ ولا نسكت — كما يسكت أضعف الإيمان. بل يروح واحدنا ومجموعنا يمدح ويطري، آملاً أن يُمدح ويُطري أو يُسكت عنه غداً، حين يسيء ويُسِف « والأيادي قروض ».

كل كتاب يصدر، وكل شعر ينشر، في هذه الأيام فتح في التأليف وفتح في الشعر، وابتداع لم يسبق، ولن يلحق، ولهذا قعد العاملون عن العمل، أو عملوا بدون مستجيد، لأن الصالح والطالح جزاؤهما واحد وما الفرق بين الخير وأخي الخير إن تساويا جزاء وتشابها عقبى؟؟ فيم إتعاب النفس؟؟

دخل « الزيف » إلى سوق الأدب فكسدت وقلق الشاري وتزعزعت ثقته وسيقل الطلب حتماً، وسيقل العرض أيضاً، عكس التجارة تماماً. وستصير الكتب وغير الكتب إنما تخرج لتدخل حوانيت البقالة يلف فيها الفلفل، والبهار، وكل هذا جره اخوان « الأيادي قروض » وشركاء « ارفعني أرفعك ».

وجبران ومن لف لفه من هؤلاء، فإن أردت أن تقفهم عند حد، وإن حاولت أن ترى الناس ما في أعمالهم كلها من « زيف » هاجموك وسلقوك بألسنة حداد باطلاً. وهكذا التحالف، وهكذا الشركات، وهكذا الاتفاق الأدبي الدفاعي الهجومي ...!

مقدمة طويلة لم أردها وكنت أريد أن أكمل ما بدأت به من استعراض مواكب جبران الديوان البدع في الدواوين، البالغ من الصفحات سبع عشرة عداً، ملأى... إحساساً وشعوراً.

لكن ارجعي وقولي الأمر في الأدب أمر « كيف لا كم »، « **Quality not Quantity** ».

ثم ارجعي وقولي أيضاً إن المواكب ليست « كيفاً ولا كماً » وكيفها أقل شأناً من

كمهـا . وكيـف ذلك ؟؟ ذلك أن لغـة المواكب وقـد رأيت ما هي ، تشبـه معـاني المواكب ، وسأريك ما هي .

ذلك أن معاني المواكب ليست لجبران . ذلك أن هذه المعاني قالها مَن قبل جبران بصورة خير من جبران ...

يقول جبران :

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا   والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا

وقول جبران هذا سمعناه كثيراً من كل زاهد ومن كل فيلسوف منذ خُلقت الأرض وعرف الأدب والفلسفة ، والشاعر القديم يقول :

الشر في النـاس خلـق   والخير فيهم تخلـق

ذو الفضل يكسد لكـن   أخـو النقـائص ينفـق

ولو أردت أن أجيء على أسماء شعراء قالوا هذا لطال التعداد ويكفي أن أجيء بالمعري وبما قال في هذا الباب قال :

ألم تر أن الخير يكسبه الفتى   طريفاً وإن الشر في الطبع متلد

وقال :

والشر في الجد القديم غريزة   في كل نفس منه عرق ضارب

وقال :

ونحن في عالم صيغت أوائله   من الفساد فغيّ قولُنا فسدوا

وقال :

في طبعنا الزيغ والفساد   وهذا الليل طبعٌ لجنحه الحَذرُ

(شدة الظلام)

وفي كل صيغة من هذه الصيغ التي صاغها أبو العلاء يظهر الفرق بين الشاعر والباعر والمالك للغته وغير المالك ولكن مالي ولهذا :

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

قد يقول قائل : «إن أردنا أن نعيب على كل قائل قوله لأنه ردد معاني لغيره لم يكن هناك في الشعر إلا معيب»:

ما ترانا نقول إلا معاراً   ومعاداً من قولنا مكروراً

أقول ... إذن فأين الابتداع ، وأين الابتكار . وكيف يُرى الشاعر أنه شاعر إن لم يبتدع وإن لم يبتكر :

وأقول أيضاً : إن الإنسان ليغتفر لمردد قول القدامى ترديده إن يلبس الصورة لباساً جميلاً ، كما كان يفعل البحتري وأبو تمام مثلاً ، فتبدو الصورة كأنها مبتدعة جديدة .

غير أن جبران لم يستطع أن يخلق ، ولم يستطع أن يجد الثوب اللفظي الجميل للصور والمعاني يسلبها غيرَه فكان ذلك عجباً في عجب عجاب . وبدت هذه المعاني بأطمار بالية من اللغة تراها ناكسة الرأس مكسورة الخاطر شأن السبايا الحانات إلى أهليهن وذويهن .

ولكي يعلم أني لا أتجنى على جبران سأنقل بعض المعاني التي أخذها من أهلها غصباً ، وخاصة المعري ، فقام بما يقوم به أجبن جبان ... وأجبن جبان من يسرق الميت وينهب الذي لا يستطيع رداً ولا حراكاً ، لأن الشجاعة في اللص أن يسلب الصاحي القوي والجبن والخسة فيه أن يسلب الساهي الضعيف . والميت ساه ضعيف بل دون ذلك بكثير لأنه لا يصحو ولأنه لا يقوى إلا في وقت معلوم هو بالتدقيق غير وقت استضعاف واستغفال ...

يقول جبران :

وأفضل الناس قطعان يسير بها   صوت الرعاة ومن لم يمش يندثرُ

وأظن أنه يريد أن يقول وأكثر الناس ، لأن التفاضل أو التفضيل ناب عن هذا الموضوع ... والمعنى هذا رُددّ منذ أن عُرفت سيطرة الفرد على المجموع ، ومنذ حوول اصلاح هذه الخلة من خلال المجتمع ، إذ انطلق كل مصلح يقول للخلائق المستضعفة

إنهم مثل القطعان يرعاها فردٌ ظالم وهي إن لم تسر كما يريد صوّت عليها أو ساطها.

وأنتم القطعـــان يُرعيكـــم راعيكم الشيح ويرعاكمُ (يأكلكم)

وأبو العلاء، يقول:

إنمـــا سائسُكـــم دائب يرعـــى المطايـــا وسوقُ الحمير

واعتاد الفلاسفة أن يتهكموا بالدين الصناعي التجاري؛ وبما أن جبران يريد أن يتفلسف قال:

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الألى لهمو في زرعــه وطـــرُ
من آمل بنـعيم الخلـــد مبـــتشر ومـن جهـولٍ يخاف النار تستعرُ
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولـولا الثـواب المرتجى كفـروا
كأنما الديـن ضرب من متاجرهــم إن واظبـوا ربحوا أو أهملوا خسروا

وقد جمع أبو العلاء كل هذا ببيت واحد: ومثله كثير في لزومياته:

والدين قد خسَّ حتى صار اشرفه بازاً لبازيـــن أو كلبـــاً لكُـــلاب

فأي الاثنين أفاد ؟؟ ناشدتك الله !! ولم التطويل وإقلاق البال ؟! ناشدتك الله !! والعدل ؟.. يستعرض جبران مظاهر المنطق المعكوس في العدل:

فالموت والسجن للجانين إن صغروا والمجد والفخر والإثـراء إن كبروا
فسارق الزهـر مذمـــوم ومُحتقـــرٌ وسارق الخيل يُدعى الباسل الخطر
وقاتـل الجسم مقتـــول بفعلتـــه وقاتـل الـروح لا تدري به البشر

والشاعر القديم يقول:

لا عدل في الناس قتـل الفـرد جرٌ فـا الجاني ولكـن قتـل الجمع مغفـــور
المجرمـــون إذا حسنت جرائمهـــم جوزوا وإن هي جلَت شنعةً جوروا
وسارق البَيْضِ مأخـــوذٌ بفعلتـــه وسارق البـيضِ ممدوحٌ ومشهـورُ
ما عدلُ أبنـــاء حواءٍ سوى حَبَب طافَ على الماءِ وهو،الوشكَ،مفجورُ

ولكن بدل أن يسرق جبران تشبيه العدل بالحَبَب المفقوء فكر بماذا يشبهه، بماذا؟؟ بالثلج الذائب:

إن عدل النـــاس ثلـــجٌ إن رأتـــه الشمس ذاب

وهنا العبقرية، وهنا النبوغ. فتعلّموا!!!

ويقول جبران:

فذا يعربـــد إن صلّـــى وذاك إذا أثـــرى وذلك بالأحـــلام يختمـــر
فالأرض خمارة والدهـــــر صاحبها وليس يرضى بها غير الألى سكـــروا

وكشاجمٌ قال هذا:

هذه الدنيـــا كحـــــان عـــتقت فيها الخمـــورْ
والأمانـــــــيّ كؤوس ويـــد الدهـــر تديـــرُ
إن نــــل منها رضينــــا وتـــــلا الهمّ حبـــورْ
هكـــذا نحن سكـــارى وبنـــا حق السمـــورْ (الهزء)

يعني أن جبران وكشاجماً قال كلاهما شيئاً واحداً، سبحان الله!!! لا شك هذا توارد الخواطر!!! وجبران يقول عن الشخص الحر ذي الأحلام والمثل بعد كلام طويل:

وهـو الغـريب عن الدنيـا وساكنها وهـو المجاهر لام النـــاس أو عذروا

وأبو العلاء يقول:

والحـــر فـــي أوطانـــه متغـــربٌ فتظنه في مصره بوبارِ (الموضع لا يسكن)

فأي القولين أبلغ ؟؟ ناشدتك الله!!

ثم قول جبران:

والحر في الأرض يبنـــي من منازعـــه سجناً له وهـــو لا يدري فيـــؤتسرْ

إن هوى النفس من قديم العصور شبه بسجن وقيد. وأيما زاهد قرأت له، كأبي العتاهية، وغيره وجدت هذا المعنى منثوراً هنا وهناك:

أنـت أسـير لجـنود الهـوى   رهين حبس ليس يرضى الفكاك
قد كبلتـه بالقيـود المنى   فلم يعد يستطيع فيها الحراك

وقال أحمد بن عبد الله بن سليمان:

وقد غلب الأحياء في كل وجهةٍ   هواهم وإن كانوا غطارفة غُلْبا

وجبران شبه هذه المنى وما فيها من أمجاد بالفقاقيع العائمة، الحبب، فقال:

إنما الأمجاد سخف   وفقاقيع تعومْ

وأبو العلاء قال هذا في مثل هذا:

القلب كالماء والأهواء طافية   عليه مثل حباب الماء في الماء
منه تسمت ويأتي ما يغيرها   فيخلق العهد من هند وأسماء

وهذا أيضاً توارد أفكار وتصادف خواطر ؟؟ يا عجباً !!! ثم ؟؟

وما السعادة في الدنيا سوى شبح   يرجى فإن صار جسماً مله البشر
لم يسعد الناس إلا في تشوقهم   إلى المنيع فإن صارو به فتروا

والبيتان لهما معنى واحد كما ترى. ومعنى واحد مشهور يتضمنه المثل في كلمتين: الممنوع متبوع. أما في الشعر فحدث عنه ولا حرج:

لذة المرء أملْ   فإذا ما نيل مُلّ
تحسن النهلة من عذْبٍ ولا يحلو العَلَلْ

وأحب شيء إلى الإنسان ما منعا...

وأما وجبران يريد أن يعرف الناس أنه فيلسوف، فسوف لا يكتفي بنقد الأوضاع واستخطاء المنظم بل لا بد من التطرق إلى عالم «اللا شيء» والتكلم عن الروح:

وغاية الروح طي الروح قد خفيت   فلا المظاهر تبديها ولا الصور
فذا يقول هي الأرواح ....

وينطلق جبران يعدد أقوال هذا وهذاك وهي أمانة في النقل يُشكر عليها لأنه روى لنا

أقوال غيره وقال إنها لغيره على غير عادة...

غير أنه لا بد من رأي خاص فقال:

لم أجدْ في الغاب فرقاً   بين نفسٍ وَجسَد

وحرية الرأي حق طبيعي. ولكن... هل صحيح أن لا فرق بين نفس وجسد في كل ظرف. أنا على يقين أنه غلطان وأن بين النفس والجسد بوناً عظيماً كما بين جبران والفلسفة.

والهوا ماء تهادى   والندى ماءٌ ركدْ

والندى ماء ركد؟؟ وهل هو إلا ذاك ؟؟

كأننا والماء من حولنا   قومٌ جلوس حولهم ماء

أي: وظلال الحور حورٌ   ظنّ ليلاً فرقد

قالوا دخل شاكٍ على الملك في الأندلس يشكو له ناظر أحباس غمطه حقاً فوجد الملك في ظل كلما انكمش انتقل الملك... ووجد حوله شعراء يقولون في ذلك...

فقال هو:

دب النعاس بأغصان وقد خمرت   أزهارها كعيون ضامها السهر
فنام بعضٌ وبعضٌ قام يحرسه   من مبغض راح بالأغصان يأتمر
كأنما الظل ظنّ الليل داهمه   فنام ما راعه همٌ ولا خطرُ
وتخلس الشمس من أجزائه خلساً   وفي الظهيرة لم يظهر له أثر
كناظر الحبس اكالٌ لعهدته   كنار ربي لا تبقي ولا تذرُ

وهذا من بدائع التخلص إلى الحاجة لقنينيه أبي حين كان يقرئني ما لا بد منه لأديب. فهل بعد هذا يقال إن جبران أجاد في هذا، لأنه جاء بشيء جديد. اسحب استحسانك يا أخي يا دكتور عمر!!

والموت وما بعد الموت أمور لا بد للمتفلسف أيضاً أن يلم بها في تفلسفه وكذلك

فعل جبران :

والموت في الأرض لابن الأرض خاتمة　　ولـلاثيري فهـو البـدء والظفـر

ومـن يلازم ترباً حال يقظتـه　　يعانق الترب حتى تخمد الزُهُـر

وأبو العلاء يقول :

فلا يرهَبنّ الموت من ظلّ راكباً　　فإن انحداراً في التـراب صعـودُ

والغريب أن جبران يقفّي على الفقرة الخاصة بالموت ببيت يهوّنه على الناس فيقول :

إن هول الموتِ وهـمٌ　　ينثنـي طيّ الصدور

وهو تهوين مأخوذ من بيت أبي العلاء، ويتلوه بيت آخر :

فالـذي عاش ربيعـاً　　كالـذي عاش الدهور

وهو أيضاً مأخوذ من قول أبي العلاء :

أضحى الـذي أجّـل في عمـره　　مثـل الـذي عوجـل في مهـده

والصوفيون يقولون :

«**أول الحياة الموت، والدنيا جسرٌ القبرُ آخره**».

ودارا ساكـنٍ وحيـاة قومٍ　　كجسر فوقـه اتصل العبـور

هذا ... وهناك غير ما ذكرت معانٍ أخرى سرقها جبران، دارجة بين الناس فقوله :

وقل في الأرض من يرضى الحياة كما　　تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجَـرُ

والمعنى كما ترى مطروق مقول معروف منذ الجاهلية وامرؤ القيس يقول :

يطلب الإنسان في الصيف الشتا　　فإذا جاء الشتـاء أنكـرَهْ

ليس يرضى المرء حالاً واحـداً　　قتـل الإنسان ما أكفَـرَهْ

فأبْوخ بجذوة كجذوة حرارتها من الجاهلية ...!!! ولهيبها عارية !! أما النـادي والطبيعة وكلٌّ ما إلى ذلك فخلس اختلسها من آداب غيره. والرباعيات وشعر الفرس خصوصاً وشعر الفرنجة كثير الذكر لمثل هذا وإن شئت دللـتك على «بيرون» في

الطبيعة ودو لامارتين. أما بيرون فقرأت له بلغته التي أعرف كيف أفهمه بها، وأما دو لامارتين فقرأت له ترجمة.

ولقد ذكر لك أيضاً أخي الدكتور عمر خُلسَ جبران من ابن العربي ومن غيره.

وقبل الإنتهاء أحب أيضاً أن أزيد أن كل المعاني في المواكب الجبرانية تُردد أكثر من مرة فيها. ولو كلفت نفسك بقراءتها لوجدت ذلك في أول صفحة وفي كل صفحة ولقد مر بنا بعضها.

وذلك كما تعرف ثرثرة.

وأبعد عن الثرثار حتى الورد من نهر على الظمأ اسمها الثرثارُ.

رحم الله جبران ... أخذ من وقتي أكثر مما يستحق، وأخذ من الشهرة ما ليس به حريّ وقمين.

واللوم والعتبى على شركاء الظهور وعصابات التزييف وشركة «الأيادي قروض».

مريم ..

أصناف السراقين

بقلم مريم ...

لا يعرف الناس إلاّ نوعاً واحداً من السراقين وهم سراقو المال . ولأن المال عزيزٌ على النفس مُحبب إليها ، كان سراقو المال بغيضين مذمومين . ولأن المجتمع يستوحي الفرد في التشريع استن قطع يد السارق ، أو زجه في غيابات السجون إرضاء لاثرة الفرد المسروق منه .

وسراقو المال ، في نظري ، أهون السراقين شراً وأقلهم أضراراً . فهم لا يسرقون إلا عن عوز : والعوزُ ، لو كنت قاضية ، لعددتُه شبهة اتحامـى بها الحدّ ... أو عن حسد ، والحسد ، لو كنت حاكمة ، لتداركته بما يزيله من الحكم ؛ فأقويت القوي ، وقويتُ الضعيف ، وجعلت الناس سواسية ، مع تهذيب للغريزة ، وتطبيع على الخير .

أما السراقون السراقون فقد عميت عنهم الأبصارُ والقلوب فيفعلون فعلهم ولا من يقول لهم : يا سراقين . ولا من يَحدّ .. وإنه لظلم ما فوقه ظلم !!!

ذه زوج مع زوجها وفراخهما . يظل رجل يحوم حولها ، ينصب من قلة دينه شراكاً ، ويسرق النظرات ... ويسرق فرصة يدّعي لها فيها : أنها سرقت لبه وقلبه . ولُبّه في رأسه وقلبه في صدره لم يزالا .. ويظل يغزل ويغزل من الكذب خيوطاً حتى يسرقها من زوجها وفراخها ، زغب الحواصل ، فيسرق سعادة كثيرين بها ...!!!

وذا زوج مع زوجه وفراخهما ؛ تظل أنثى ترفرف حوله وتـذر له في الطريق حب الأماني ... ولا تزال به حتى تسرقه ، وتسرق به هناء زوج وهناء فراخ ، وصلاح بيت !!

تلك وهذاك ومن شاكلهما ، صنف من أصناف السراقين .. سراق القلوب ، وناهبي السعادات ...!!

أي جزاء لهذين !!؟؟ وأي حدّ ؟؟

لا جزاء ، ولا حدّ !!!

★ ★ ★

وذا فتى خلقه الله ليكون رجلاً ، عوذَ العذارى وملاذ الحمى ، إلا أنه لا يريد ذلك ...!!! فيذهب يسرق صفاتِ امرأة ... يزجج حاجبيه ، ويحمر شفتيه ... ويمشي يتثنى ... ويتخفر ــ وللوقاحة خيرٌ من خفارته ــ ويكذب أن النبي قال : اخشوشنوا ... وإن الشاعر قال :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيول

لا يمرّ بمرآةٍ إلا وقف أمامها يُصلح من زينته ؛ ولا بزجاجة ولا ماء إلا راح يرى نفسه فيهما ... نرجسة الأسطورة ...!!!

وذه فتاةٌ ... خلقها الله لتكون امرأةً ... أمّاً . إلا أنها لا تريد إلا أن تكون أباً . تهجر الخدر إلى الطريق وتتقاسى ... وتعاملُ الفتيان كما يعاملهم الفتى ... وتحكي ما يحكي الرجل !!! وتلبس ما يلبس ... حتى هذه الشريطة من القماش المزوّق يضعونها في العنق كالرسن .. وتتقاوى .. وتسرق صفات الرجال ...!!

وتمرين به وبها فلا تدرين أيهما الفتى ... وأيهما الفتاة !!

هذان سراقان ... سراق أنوثة ، وسراقة رجولة .

أي جزاء لهما ؟؟ وأي حد ؟؟... لا جزاء ولا حد ... وإنه لظلم ما فوقه ظلم .

★ ★ ★

وتذهبين إلى عملك مسرعة ، فتلقاك صديقة فارغة ... وتستوقفك تحكي لك خرافاتٍ وهذاء ؛ وتستغيب المسكينات والمساكين ... تمسك بطرف ثوبك فلا

تستطيعين فراراً . وحين يتعب ما بين فكيها ــ وما أظنه يتعب ــ تسيبك بعد إذ ربطتك طويلاً وبعد إذ أخرتك عن ميعاد عمل خير !!!

وتذهبُ إلى عملك .... ويلقاك ثرثار . فيحدثك بذي شجون ... ويستطرد استطراد أدباء الأقدمين ... ويجبرك أن تسأل : قل لي لماذا ؟؟ فتقول ، وينطلق يشرح لماذا ... وقل لي مثل ماذا ؟؟ فتقول ، ويروح يفسر مثل ماذا ... ويهرب الوقت ويهرب معه رزق العيال ، وقوت الأطفال ، وتؤوب :

والريح تصفر في جيبي فتملأها   وليس تملأ ريح فارغ المعد

تلك ، وهذاك ، سرَّاقان . يسرقان منك الوقت وكل ما في الوقت من خير . وهذان ومن شاكلهما سراقون ... سراقو وقت .

هل من جزاء ؟؟ هل من حد ...؟؟ لا جزاء ولا حد !!!

وذه أمة ، تريد أن تحيا ، وتريد أن تعيش بحرية ــ وهل الحياة إلا حرية ــ فتأتي أمة أخرى ظالمة ، بحجة واهية ... بحجة الوصاية ، وبحجة التمدين ....!!

فإذا الغنى يصبح فقراً ، والعلم جهلاً ، والقوة ضعفاً ... يسرقون كل ذلك وينكرون . بل يسرقون اسماً فاضلاً ويسمون أنفسهم مستعمرين وهم المستخربون حقاً ....!!! يوحشوننا ... ويكذبون إنهم يمدوننا ..!!

وإن ثار الساكن ... وتمرد المستخذي ... ضربوه وفرضوا عليه أن لا يقول حسّ ولا بس ! يهبوننا الألمَ ويبخلون علينا أن نتألم ... ويوقعوننا في الشكواء ، وينكرون علينا الشكوى فلا يُشكون .

هذا صنف من أصناف السراقين ... وهو أخطر الأصناف . لأنه سرقة بالمجمَّع .. فهل من جزاء ..؟؟ وهل من حد ؟؟ أيها الناس ... أيها البشر !!! لا جزاء ، ولا حد !!

★ ★ ★

وذا شاعرٌ ... يكدح ويغوص في بحر الخيال فيصيب لؤلؤة في معنى ... بعد إذ يوشك أن يغرق . ويأتي شاعرٌ ، لا يكدح ولا يحسن أن يغوص ... فيغزو ويسرق ...

ويدّعي الملك ... ثالثة الأثافي !!!

هذا ومن شابهه صنف آخر .... الشعراء السراقون .

وهذا الصنف أسخف الأصناف ، وأقلها خطراً وأدعاها إلى الضحك !! كما كان صنف سراقي الحرية أخطر الأصناف ، وأدعاها إلى الاستفظاع !!!

ولكن ... هل من جزاء ، وهل من حد ؟؟

وهل لي أن أطلب إلى القراء أن يضعوا حدوداً ويسنُّوا جزاء لمثل هؤلاء السراقين ؟

مريم ...

الأدب المسكين

بقلم مريم ...

أخيَ الدكتور !

لقد قرأت ما كتبت لي . وإن في قصة آلاف الآلاف لأعجب العجب !! آلاف الآلاف تذهب عبثاً في إقامة صنم تهدّه نفخة وتحطمه همزة !!؟!

كان يجب أن تصرف على اليتامى والمساكين . كان يجب أن يُبْنَى بها ملجأ للعجزة والمجانين . كان يجب أن يطعم بها جائع ويُكسى عريان . كان يجب يُعبّد بها طريق في الجبل الجميل كان يجب كل هذا أو بعضه فيفيد من الناس آلاف الآلاف هذه .

لكنها ذهبت هكذا هباء . وضاعت هكذا سُدى . ذلك الخسران المبين !!

أخي الدكتور !

ألم يكن في باب من أبواب الخير التي ذكرتُ ما يخلد الرجل ويرفع ذكره ؟؟! ألم يكن في أحد الأمور التي سلفت ما يضمن لجبران الشهرة التي ابتغاها له الأعوان والأنصار ؟؟ لكنا هو المنطق المعكوس . لكنا هو الظلم . فنسجل يا أخي !! سجل غلطة على غلطات جبران وأعوان جبران الإنسانيين .

الأدب مسكين ... يظنه كل الناس ذليل الظهر فيركبونه يحملهم إلى الشهرة إنهم رأوا ألاّ سبيل إلى الظهور . فالحرب لا قِبَل لهم بها ولا قدرة عليها . والابتداع لا طاقة لهم به ولا وسع . لا سبيل إلى الظهور ..!! لأن البلد قد كمل فما فيه محتاج ولا به حاجة . فلِمن يُحسن المحسن ليقال له : يا محسن ، فيشتهر ؟؟

بقي الأدب ... مسكين !! ركبوه كلهم ...!! كل من أجاد الأبجدية عُد أديباً . وكل من تأتأ كالأطفال حسب منطيقاً . وكل من هذر اعتبر شاعراً أو فيلسوفاً ...!!

مسكين !! كان اثنين ذليلين فجاء ثالثاً ... العير يربط على الخَسْف برمته ، والوتد يُشَج فلا يُرثى له ، والأدب في لبنان يركبه الصبيان ، ويدعيه الغلمان !!

أخي الدكتور !

اعتقادي أن الأدب بضاعة ، لأن التأدب صناعة . والبضاعة تباع بثمن . وقد تعطى بالمجّان كرماً . أما أن تعطى البضاعة للشاري بالمجّان ويُعطى فوقها ثمناً فهذا ما لم أسمعه ولم أعرفه نزل بكتاب . ولم أرَ غير أدب جبران يُعطى شاريه ثمن أخذه .

اعتاد الناس أن يدعوا بالأدب إلى فكرة إنسانية عامة أو سياسية خاصة ولم يعتادوا أن يدعوا للأدب نفسه إلا إذا كان هذا الأدب لا يقدر على الوقوف بين الناس بركائز .

الأدب القوي يدعو لنفسه ، ويذيع بنفسه . وإن أقام الناس دونه سدوداً هدمها وتخطاها .

ولو لم يكن أدب جبران كسيحاً لما توكأ على عكازة من مال ؛ وعلى عكاكيز من أقلام مأجورة ، وضمائر معروضة في كل سوق يُنادي عليها : يا من يشتري !! يا من يشتري للتأييد والخَذْل ، وللدفاع والهجوم !!

لجماعة أن تتفق على زعيم وتجمع على رئيس في كل شيء ، إلا في الأدب . ولو صرف الناس أضعاف ما صرفوا لما استطاعوا تخليد جبران عن هذه الطريق . فليستريحوا !! إن عجل بني اسرائيل الذهبي لم يلبث طويلاً يُعْكف له ، بل كُفِر به وشيكاً ، وقد ظل ذهباً . فكيف بجبران الذي لن يظل ذهباً .

وقد قُلتَ لي إن جماعة «الأيادي قروض» سيردون وسيحْملون . وهم معذورون !!

إنهم يا أخي ، ضفادع جَعَلَت لها غديراً أسمته جبران ونَـقّت فيه ، ولا حياة لها بلا غدير .

إنهم يا أخي ابتنوا حائطاً دعوه جُبران ، وعَلَوْه ليراهْم الناس عالين !!

إنهم ، يا أخي ، ركبوا سفينة واهية تمخر بهم بحر الظهور الهائج المائج !!

فأنت حينا تهدم حائطهم الذي يريد أن ينقض وحين تخرق سفينتهم فإنما تهدمهم وتخرقهم . إن جبران لهم مأدبة وكلهم طفيلي والغ[1] فلا تستغرب سخطهم إن حرمتهم من التطفل والولوغ إنهم لم يغضبوا بجبران[2] بل غضبوا لأنفسهم ... فاعذرهم وما عليك منهم فسيكيفهم الحق وعملك له . وما يدريهم لعل في ذلك فائدة لهم إذ يزادون في الأجر ليحمسوا ويحسنوا الدفاع .

وقد اقترحت يا أخي أن نؤلف كتيباً في جبران وأخطائه وقد خطرت ببالي قصة بهلول حين قالوا له : يا بهلول ، عُدّ لنا المجانين . فقال : «لا بل أعد لكم العقلاء» . فدعهم يا أخي يعدون حسناته لأن ذلك أهون فأخطاؤه أكثر من أن تحصى ولعل في ردهم الذي ينوون أن يردّوا علينا ما يطلعنا على جديد لم تره عيوننا في الصنم الذهبي .

أما أختي في البصرة فوفقها الله . إنها لم تفهم ما عنيت . ولو فهمت لما أخذت عليّ قسماً من جملة انتزعتها فمسخت المعنى كالقارىء الواقف على غير موقف في قوله تعالى : «فويلٌ للمصلين .... » .

إن في الفرائض أن الميت لورثته ما يتبقى بعد دين أو وصية . والذي للناس ، يا أختي ، دين وأنا حاولت فرزه عن «تركة» جبران لأبرىء ذمته ، وبعد ذلك تنالين نصيبك وما أظن شيئاً ينالك .

أما قولك ، يا أختي ، لو كان جبران حياً لما تجاسرت أن أخط حرفاً ففرض باطل وأولى لك أن تبحثي في الواقع . ويكفيك أن تعرفي أن أختك «أخت الرجال» وإنها تجاسرت أن تخط حروفاً في مآخذ على من لو قيس إليهم جبران لكان نملة على جبل .

وإنهم لأحياء يرزقون . «ومن كان محقاً كان بالنصر حقيقاً ولا أرضى بباطل من حق»[3] . فخل عنك ... وإلا فمدي يديك من البصرة وشدي بشعري إن أردت قتالاً . وارفقي بأختك . ووفقك الله .

مريم ...

---

(١) الوالغ أخو الطفيلي . هذا للشراب وهذا للطعام (الزمخشري : في «أعجب العجب») .

(٢) غضب بالميت ، وغضب للحي (المثل السائر) .

(٣) من هنا تعنى بدل . يا من لم تقرءوا القرآن وتسمعوا قوله تعالى : «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة» .

فصل في الشعبذة أو الشعوذة

بقلم مريم ...

حيرتني الشعبذة والشعوذة أنّى جاءتا وأيةً سلكتا إلى لساننا . ولعلّي أقلّ من الأوائل حيرة . فقد دالوا ولم يتفقوا على إحداهما « فالجوهري » نفى الثانية وأثبت الأولى « والثعالبي » نفى الأولى وأثبت الثانية(١) ، وفي « اللسان » : « إن الشعوذة مستعمل وليس في كلام أهل البادية » .

قلت : إن القول ما قالت حزام . أهل البادية ليسوا مُشعوذين ولا ينبغي لهم أن يكونوا ... إنهم قومٌ على صراط مستقيم . صَفَوا نفوساً فلا شيَه ، وطهروا قلوباً فلا خبث . والشعوذية والشعبذة ـــ لنرضي الجوهري والثعالبي ـــ شائبة وخَبَث لا يفعلونه فلا يقولونه . وإنهم لكذلك دائماً :

سئل اعرابي : كيف تقول : استخذيت أم استخذأت ؟ قال : لا أقولهما . قيل : ولِمَ؟ قال : لأني لا استخذي .

والشعبذة أو الشعوذة بنتُ حيوان(٢) معقد كحيوان أهل المدن . ذلك أن ليس في البادية التواء ولا عوج ولا كذب ولا رياء . ذلك إن البادية صريحة مكشوفة وغير البادية مُعَمّىً مكفور(٣) والبَدَويّ صريح ؛ إن أكل تمطّق وأسمع الجيران تمطّقه ، وخرج إليهم وله جشاءة معناها أني أكلت وشبعت . وإن جاع غزا وصار من صعاليكهم وهو إنما يعني : أريد أن آكل وفي هذا صراحة صريحة .

أما المدنيّ فإن أكل أكلَ في زاوية ، الزاوية في حجرة ، الحجرة في دار ، الدارُ في دوَّار . وكل ذلك من صم الأحجار . هذا ويطبق شفتيه ، ويضع يديه على فيه ويَقْبعُ(٤) في قميص غليظة كيلا يراه جائع ويبصره معتر . ثم يخرج على الناس ألصق بطنه بظهره ومشى متحانياً قائم الصلب ، متداني الخطو ، يوهم الناس أنه جوعان يستحق الشفقة والصدقة . وإن جاع ادَّعى الشبع فنفخ كرشه حتى تكاد مصرانه أن تتفتّق كذباً ... نصّاب(٥) يريد أن يغررّ بالناس ليجُرَّ مغنماً ويرفع مغرماً .

المدني صخرة ، لا يحب ولا يبغض ؛ وإن أحب كتم ؛ وإن أبغض تكتم ؛ وقد يبدي الحب وهو يبغض ، وقد يبدي البغضاء وهو يحب ... شعوذةً .

أما البدوي فحبه ظاهر وبغضاؤه كذلك ، يكشف لسانه ما كن جنانه ، لا يُحسّن مذمّماً ولا يذم حَسناً ... لا يشعوذ .

هذا تأويل قاله « اللسان » فليعلقه من اقتناه وليحشّه على « تاج العروس » من احتواه .

الشعبذة والشعوذة من كلام أهل المدن ومعناه من أفعالهم . أما المعنى فأصله ، كما ذكرت ، من تعقد حيوان الحضر ومن التضليل الذي يستلزمه هذا الحيوان . وأما اللفظ فكيف جاء ؟؟

رأيتُ الشين والعين إذا تتاليا بادى بدى فاءً وعيناً وعززا بثالث كان في المعنى ريح التفريق . وقد تعبق هذه الريح حتى يشمها المزكوم ؛ وقد تقلّ وتقلّ حتى لا يشمها إلا الشموم الشموم . ولو حاولت رسم « خط بياني » بادئاً من أول المادة لتبين لك ذلك ولرأيته يعلو بلامٍ ويهبط بلام(٦) . إلا أن الريح باقية في الكثرة والندرة .

« الشّع » من الشعبذة يفيد التفريق ولا يخفى أن المشعبذ نراه يكثر من الحركات والأقوال حتى يُفرّق انتباهنا فنذهل عما يقصد إليه .

يضع البيضة على راحته ويبدأ يقول ويكثر ، ويتحرك ويكثر ؛ يده تشير ورجله تركض وعينه تغمز ولسانه يلمز والناظر إليه يفرق ملاحظته بين كل هذا فلا يفطن للبيضة إلا

وقد اختفت . أين راحت ؟؟ بحركة وحركات ؛ وكلمة وكلمات ؛ يخرج المشعبذ البيضة من أنف الناظر فيكون أول ولود بيوض عُرف ... وتقول هذا هو السحر .

والباء والذال من شعبذ معناهما الفوز والغَلَبة ، من البذّ فتكون « شعبذ » إذن معناها التفريق فالفوز . وعلى هذا فالذي يُفرق فيفوز مشعبذ أم مشعبذ وعلى هذا تكون « بريطانيا » وأخواتها وهي « أم الباب »(٧) ، مشعبذات . تفرق الناس إلى طوائف لتسودها . فالهند ــ والأمثال تُضرب ــ لو برقت طوائفها مجتمعة لكان من ذلك بحر لجّي يغرق العادين . إلا أن طوائفها شعبذ عليها المتشعبذون ففرقوها طرائق قِددا فبرقت كل طائفة على أختها فغرقت ونجا الظالم وبذّ .

وقد تكون الباء والذال من البَدَدَ (بالاهمال) وهو التفريق . والدال والذال أختان تنوب إحداهما عن الأخرى وتقوم مقامها لتقارب مخرجيهما . وقد قرأ الأعمش « فشرّذْ بهم من خلْفهم » وأشار إلى ذلك البيضاوي وغيره بدون عزوٍ إلى أحد . وحديث أم سلمة للجارية حين سألها مساكين : يا جارية أبدِيهم تمرة تمرة ، قاله بعضهم بغير الاهمال . والبذ كالبد زنةً ومعنى ولذلك قالوا : تمر بدّ أي مُفرق لا يلتزق بعضه ببعض .

وعلى هذا تكون شعبذ فرّق وزاد في التفريق للتأكيد . كما تؤكد الفعل بآخر من معناه فتقول علوتُ ارتفعت .

فالمشعبذ مُفرّق نغاية في نفسه يقضيها فلبتق الشعب المشعبذين لا يفرقوه إلى بطون وأفخاذ وأقل من ذلك . لأني رأيت الخير كل الخير في الجماعة فالصلاة خيرها صلاة الجماعة وهي لا تزيد عن صلاة الفرد بقول أو فعل إن لم تنقص(٨) كأن الله يريد منا أن نعتقد أن الاجتماع أحسن من التفرق وأنّ أقرب ما نكون إليه مجتمعين . وأحدهم يقول لسانه : أحسن لنا أن نغرق مجتمعين من أن ننجو متفرقين ... أما قلبه فالله أعلم بما يقول ..!!!

هذي « شعبذ » . وشعوذ ما أصلها ؟؟

أقول لعل أصلها من شَحَذ . والشَحذ هو التحديد للغرب في كل آلة كالسيف والمواسي واستبدلت العين بالحاء لأنهما حرفا حلْق مثل حشد وعشد بمعنى جمع .

وحوّج وعوّج سيان ثم زيدت الواو في المبنى لتزيد في المعنى(٩) . مثل عَلِد بمعنى صلب واشتد وعَلودَ بمعنى زاد صلابة وتمكّناً فلا يتزحزح . ومن « شحذ » أخذ الشحاذ المُلحّ في الطلب كالشاحذ يدأب على الغرب يحدّه .

فالشحاذ أخو المُشعْوذَ(١٠) يُلح في كلامه وحركته حتى يصرفك عن أمر أنت له محب ويأتي بك إلى أمر أنت له قالٍ كاره . يضعف اليقين ويُقوي الشك أو يجعل من الشك يقيناً كما يخلق من الباطل حقاً ... « أخذٌ كالسحر يُري الشيء في رأي العين بغير ما عليه أصلة »(١١) وأزيد أنا على « رأي العين » رأي العقل والبصيرة .

وإن كان هذا فكلنا مشعوذون ومشعوذات ، التاجر والسياسي والأم في بيتها وكل راعٍ في رعيته .

والمشعوذُ يُدعى أبا العَجب . وهي كنية يكنى بها الدهر المتقلب ذو التعاجيب . وعلى هذا تكون المرأة أم العجب وأباه معاً لأن الدهر ليس كالمرأة تعجيباً وتقلباً . وهو يدعوها : يا معلمتي .

قال الأميرُ الشاعر(١٢) :

وقالت لقد أودى بك الدهرُ بعدنا فقلتُ معاذَ الله بل أنت لا الدهرُ

وأنا أزيد ــ وإني لمن معشر النساء ــ وأقول معاذَ الله ألفاً ... بل أنت أبو العجب وأمه ابنها المرأة ، لا الدهر . أنت خيرُ من شعوذ ولا فخر ...!!! أنت بنتُ أمك ... كان آدم في نعيمين رضا الرب والجنة فأخرجته إلى جحيمين ؛ غضب الرب والندم في الأرض ... أخرجته بالشعوذة ... هكذا .

الجنة التي عرضها السموات والأرض .... التي فيها وفيها .... كان آدم قانعاً بها لكن حواء ضيقتها عليه وقللتها في نظره ، وحصرتها كلها في الشجرة المحرمة وشعوذت عليه وأخذته بسحر فأكلا فهبطا منها وهبطنا نحن منهما للتعس والشقاء .

يا ترى أي مقدرة على الشعوذة أوتيت حتى أضلت نبياً مقرباً إلى الله ؟؟ وأية طرائق اتبعت حتى أرته حسناً ما يراه الله غير ذلك ؟؟ يا ترى أي لسان ذرب وأية حركة خفيفة كانا فيها حتى أخذته بأخذ كالسحر فأطاعها وعصا الله ... لا أستطيع أن

أتخيل هذا ولا بعضه...!!!

إننا منها بضعة... تذهب إحدانا مع أبيها إلى السوق تتحوج لها حاجة واحدة فتشعوذ عليه وترجع بحاج(١٣). وكفى بنا شعوذة إن بشعتنا بأحمر وأبيض وأسود تخلق من وجهها وجهاً سبحان الخالق... واحد اثنين ثلاثة(١٤) وكانت بشعة فصارت جمينة.... وكانت... باسم الله أعوذ فصارت ما شاء الله(١٥) رقيتك من كل عائنة...

وفي الرجال مشعوذون!

يخطب أحدهم الناس من على مدفع وليس من على خشبة أو متن جواد ويحمل أحدهم مظلة في الربيع حين لا قرٌّ ولا حرٌّ. ويدعى أحدهم فخراً بهدم «الباستيل» وهو له في كل بلد من بلاد المساكين «باستيلات» حشوها مظاليم مساكين!!! إلاّ أنه يريد أن يهوش ويشعوذ.. أي علينا(١٦)؟؟ ونحن بُك مبتلون؟؟

وأبغضُ المشعوذين عندي جمعية المشعوذين في جنيف بلد الجَنَف، والائتمار بالضعفاء. وأغرب ما أستغرب في هذه المنسرة أن كل واحد يعرف أن الباقين يشعوذون عليه فيسكت وسكوته شعوذة. يا غرائب... يا عجائب..!! وأغرب من ذلك أننا كلنا نعرف ذلك ولكننا لا نزال نهرع مهطعين إليها عند الملمة كما هرع أسد الله النجاشي... يحمل إليها أنباء الظلم كحامل التمر إلى هَجرَ... وهي التي تظلم... وهي التي تقرر الظلم... ثم تشعوذ علينا تريد حملنا على الاعتقاد أنها من ذلك براء.

إننا، بني آدم، لا نزال نؤمن بالسحر... بالشعوذة!

مريم...

---

(١) تاج العروس. (٢) حياة. (٣) مغطى. (٤) يدخل رأسه في جيبه.

(٥) ليس في مادة نصب ما يفيد الاحتيال والغش بالمعنى الدارج ولعله الذي ينصب نفسه لعمل ليس له كالمترسل وليس برسول، والمتورز وليس كذلك أو لعله من نصب الشرك ليصيد وعلى هذا يكون كل الناس نصابين.

(٦) اللام من «فعل».

(٧) في النحو: «كان» و«إن» أما بابيهما... ولهما امتياز كبريطانيا وفرنسا وأصبح وليت أختا كل على التالي فاعجب لأم وأخت معاً... وأعجب لبريطانيا وفرنسا من أمهات يأكلن الأولاد كالضباب.

(٨) في الصلاة وراء الإمام اختلف أصحاب المذاهب في قراءة المأموم في صلاة الجهر وعدمها. كما اختلفوا في القراءة في صلاة غير الجهر أيضاً.

(٩) ابن جنى. (١٠) حُمِل على صيغة المفعول للمبالغة. (١١) التاج. (١٢) أبو فراس.

(١٣) جمع حاجة كساع جمع ساعة.

(١٤) الأعدا المرسلة التي يقصد بها العدذ فقط تبنى على السكون «درة الغواص وشرح ابن عقيل».

(١٥) كنايات عن القبيح الذي يعاذ منه والمليح يمسح عليه بما شاء الله.. والعائنة التي تصيب بالعين.

(١٦) حذف المنادي للعلم به ولشهرته. وأصلها أي هذا علينا تشعوذ؟؟



سلمىٰ القرَّة

ممرضة لبنانية كانت تعمل في نابلس ، أحبها الشاعر . وكتب عنها معظم قصائده الغزلية : وقد نشرت (الصورة) إلى جانب قصيدة عبد الرحيم محمود : « روحي فقد راح الذي بيننا .... » . أنظر : مجلة « المنتدى » ــ عدد ــ ٤٩ ــ مجلد ــ ١ بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٤٧ . وقد علقت المجلة قائلة : « أبى علينا الشاعر نشر صورته لئلا يتورط في غزل آخر » .

مؤلفات عز الدين المناصرة

العنوان	النوع	السنة
١ ــ يا عنب الخليل	ــ مجموعة شعرية	(١٩٦٨)
٢ ــ الخروج من البحر الميت	ــ مجموعة شعرية	(١٩٧٠)
٣ ــ قمر جرش كان حزيناً	ــ مجموعة شعرية	(١٩٧٤)
٤ ــ باجس أبو عطوان يزرع أشجار العنب	ــ قصيدة طويلة	(١٩٧٤)
٥ ــ لن يفهمني أحد غير الزيتون	ــ مجموعة شعرية	(١٩٧٦)
٦ ــ جفرا	ــ مجموعة شعرية	(١٩٨١)
٧ ــ الكنعانياذا	ــ مجموعة شعرية	(١٩٨٣)
٨ ــ حصار قرطاج	ــ قصيدة طويلة	(١٩٨٤)
٩ ــ مسطر حامض	ــ مجموعة شعرية ــ تحت الطبع	(١٩٨٧)
١٠ ــ السينما الصهيونية	ــ دراسة	(١٩٧٥)
١١ ــ الفن التشكيلي الفلسطيني	ــ دراسة	(١٩٧٥)
١٢ ــ عشاق الرمل والمتاريس	ــ مذكرات	(١٩٧٦)
١٣ ــ مقدمة في نظرية المقارنة	ــ دراسة ــ تحت الطبع .	
١٤ ــ شؤون فلسطينية	ــ دراسات ــ تصدر قريباً .	
١٥ ــ الجفرا والمحاورات	ــ دراسات ــ تصدر قريباً .	

المحتويات